رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فن القيادة في الإسلام

تأليف المقدم الركن
أحمد عبد ربه مبارك بصبوص

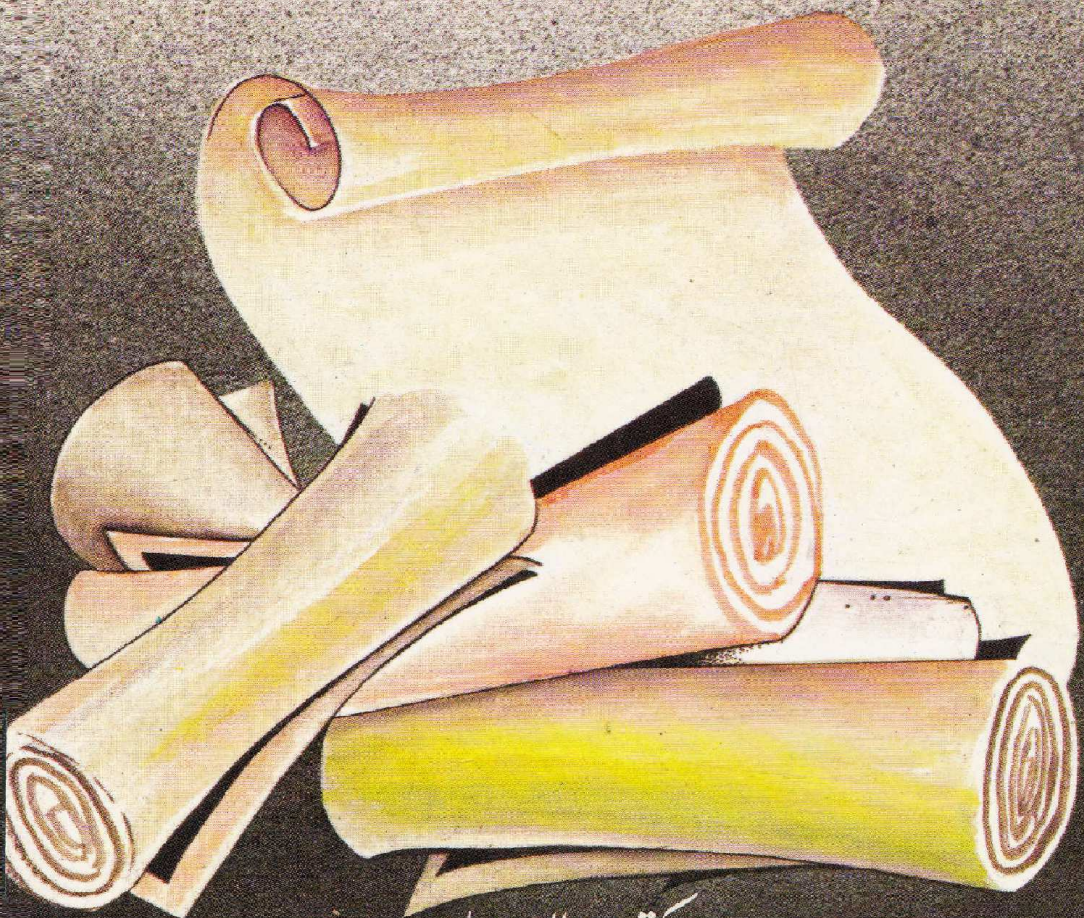

مكتبة المنار

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فن القيادة في الإسلام

٢١٦ر٧
احم أحمد عبد ربه مبارك بصبوص
فن القيادة في الإسلام / أحمد عبد ربه مبارك بصبوص . ـ الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٩٨٧ .
(٢٧٦) ص
ر . أ (٥٨٤ / ١٢ / ١٩٨٧)
أ ـ الإسلام ـ جهاد أ ـ العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فن القيادة في الإسلام

تأليف المقدم الركن
أحمد عبد ربه مبارك بصبوص

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مكتبة المنار
شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
هاتف ٩٨٣٦٥٩ ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليك يا سيد الرسل يا أعظم وأشجع قائد عرفته الانسانية عبر تاريخها الطويل يا شاحذ الهمم ومعبىء حشود الجند الأفذاذ الذي لم تتخلَّ عنهم في أصعب المواقف عبر جهادك الطويل والذي بهم ومعهم كان التحامك بنار الخصم في غزواتك وحولك أشاوس الصحابة تحتمي بك بعد أن كَلَّلْت جبينهم بالمجد والفخار ، فألهبت حماسهم فذبّوا عن دينهم ووطنهم فقاتلوا ونالوا إحدى الحسنيين .

إليك يا من دخلت أبواب التاريخ بمصاريعها يا ملهم القادة فن القيادة أهدي هذا الكتاب. وأهديه رسالة حية إلى كلية الحرب الملكية الأردنية راجياً منح هذا البحث ما يستحقه من الاهتمام لكي يتسنى لقادة المستقبل معرفة فن القيادة في الإسلام حتى يكتب الله لهم النجاح بمهامهم من أجل إعلاء كلمته في سبيل الوصول إلى مجد الأمة والوطن بأعلى كفاءة وأقل وقت وأقل جهد ودونما تكاليف تُذكر .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم سماحة مفتي القوات المسلحة الأردنية
العميد الدكتور نوح علي سلمان

كثيراً ما تتفق مضامين البحوث وتختلف عناوينها ، وكثيراً ما توجد الحقائق العلمية دون أن تنظم تحت عنوان واحد . وهنا يأتي دور المؤلف الذي يستطيع عرض الحقائق المعروفة بإسلوبه الخاص أو جمع الموضوعات المتفرقة تحت عنوان واحد . ولا شك في أن عمل المؤلفين عمل شاق لكنه سهل على من سهله الله عليه إذ مما يحتاج إليه في هذا المضمار أن يعرف نفسية الناس ومستوى المامهم بالموضوع ثم يحاول من الحد الأدنى لمعرفة الجمهور ـ حسب تقديره ـ أن يقيم بناءً متكاملاً لبحثه يتخيله تماماً كما يتخيل المهندس البناء قبل أن يبدأ مرحلة تنفيذه على الواقع ، فإن هو بدأ بمعلومات دون مستوى الحد الأدنى الفعلي لجمهور القراء وقع في التكرار ودبت السآمة الى نفس القارىء فما يلبث أن يطوي الكتاب وقد فاته ما في أواخره من جديد .

وإن هو ارتفع فوق المستوى الأدنى الفعلي لجمهور القرَّاء لم يفهموا عليه ولم يستطيعوا ربط أفكارهم بأفكاره ليتابعوا معه تفاصيل الموضوع وتأمل ما فيه من جديد وفي كل الحالات فإن الحقائق العلمية تظل محتفظة بقيمتها العلمية ورحم الله البوصيري إذ يقول :

فالدر يزداد حسناً وهم منتظم وليس ينقص قدراً غير منتظم

ولا بد أن يكون في التأليف شيء جديد ولو كان أسلوب عرض

المعلومات على الأقل وبعد ذلك يتفاوت في مقدار الحقائق التي كشفها كل منهم والنتائج التي وصل اليها . وبمقدار ما تكثر الحقائق والنتائج الصحيحة يسبق المؤلف أقرانه المشاركين له في البحث .

وفي معركة اتصالنا بالثقافة الأجنبية نجد الذين لم يطلعوا على الثقافة الاسلامية ينبهرون من بعض العناوين والأفكار ويظنون أنها مما انفردت به ثقافة الأجانب وأن لا مثيل لها في ثقافتنا ونظام ديننا مما يجعلهم يستسلمون لتلك الثقافة الغربية وينأون عن ثقافة دينهم وهذا يعني انسلاخهم عن أمتهم ولحاقهم بقوم آخرين ، أو على الأقل تفضيل غير هذه الأمة عليها .

ولقد أدرك ذلك كثير من الكتاب المسلمين الغيورين على أمتهم ودينها وثقافتها وأبنائها فكتبوا تحت تلك العناوين التي بهرت إخوانهم معلومات عن حقائق دينهم وثقافتهم وعقيدتهم سواء بإسلوب المقارنة بين الإسلام وغيره وتجليه تفوق شريعة الله للعباد على شريعة العباد للعباد أو بأسلوب عرض المواضيع الإسلامية غير مقارنة بغيرها ، فرأينا عناوين مثل : نظام الحكم في الإسلام ، نظام الإسلام الاقتصادي ، نظام الأسرة في الإسلام ، التشريع الجنائي في الإسلام . . .

وكانت النتيجة لهذا النوع من الكتابة التي خاطبت أبناء العصر بلغتهم أن فتحت عيون أبناء المسلمين على حقائق تجعلهم يعتزون بدينهم وثقافة أمتهم وبالتالي بأنفسهم وفتحت عيونهم على النعمة الكبرى التي أكرم الله بها هذه الأمة يوم خاطب العالم كله بلغتهم ، وقد أقبل الكثير من أبناء المسلمين يكتبون بهذا الأسلوب من ضمن حركة الصحوة الاسلامية التي يشهدها العالم اليوم .

ومن المواضيع التي عرضت بأسلوب وعنوان معاصر موضوع « فن القيادة في الإسلام » فأنت لا تجد في تراث المؤلفين المسلمين السابقين كتاباً ولا بحثاً ولا فصلاً بهذا العنوان : لكن هل معنى ذلك أن الأمة التي فتحت مشارق الأرض ومغاربها وخاضت آلاف المعارك الحربية وانجبت آلاف القادة العظام لم يكن لديها معلومات واسعة عن القيادة الناجحة ؟ إن التوجيهات

الربانية في القرآن العظيم وتوجيهات النبي ﷺ القولية والعملية ، والخبرات الطويلة لهذها الأمة بشؤون الحرب وقيادة الجموع مدنياً وعسكرياً هذه كلها تشكل ثروة كبيرة في هذا المجال وقد كانت تمد القائد العسكري والقائد المدني بالمعلومات الضرورية لتحقيق النجاح ، وحل المعضلات ومواجهة المستجدات ، ولقد وضع علماء المسلمين كتباً في سياسة الناس تعد من أهم المراجع وأقدمها في بيان الحقوق الدستورية والإدارية وفيها مدى صلاحيات وواجبات ومسؤوليات كل موظف في الدولة من القمة الى القاعدة مثل كتاب (الأحكام السلطانية) للماوردي ، « والأحكام السلطانية » لأبي يعلى ، و « غياث الأمم في اللتياث الظلم » لامام الحرمين ، ودوّن علماء الأدب في أسفارهم ما تضمنته مجالس الخلفاء والولاة والسلاطين مما يتعلق بالحكم والسياسة وما تناقلته الألسنة في هذا الموضوع ، ودونوا أيضاً أخبار الحروب والمعارك ومقارعة الخصوم فنجد في كتاب « عيون الأخبار » و « العقد الفريد » وغيرها أخباراً عديدة فيما يتعلق بالسلطان والسؤدد والحرب وهذه تشكل دروساً لمن أراد أن يتولى شيئاً من قيادة الرجال عسكرياً ومدنياً .

والحاجة ماسة لمطالعة هذه الكتب لاستخراج كنوزها وعرضها على أبناء الأمة ليستفيدوا من ثروات أجدادهم الفكرية ، والباحث في هذا المجال لا بد أن تكون له خبرة بالعلوم العسكرية ليستطيع التعبير عن المعاني التي تتضمنها النصوص القديمة بلغة معاصرة ويستطيع صياغة البحث وفق خطة متكاملة من ناحية فن العلوم العسكرية وأن يكون ذا بصيرة ليحلل الأحداث ويستشف النظام الذي كانت تسير وفقه .

وقد بذل بعض اخواننا العسكريين جهوداً مشكورة في هذا المجال ولكنه لا يزال واسعاً ويمكن الكثيرون المشاركة فيه وتقديم أشياءً جديدة للقراء .

وهذا ما فعله أخونا المقدم الركن أحمد بصبوص فقد نظر بمعرفته العسكرية التي اكتسبها من خلال الدورات التي اجتازها وعلى رأسها دورة كلية الأركان ومن خلال الممارسة العملية للشؤون العسكرية وقيادة الرجال نظر في

مصادر هذا الموضوع ومراجعه يحفزه الى ذلك روح طيبة معتزة بالإسلام وأمجاد أمتنا العريقة فكان هذا البحث الذي نقدمه للقرّاء الكرام والذي يحتاجه كل باحث في هذا الموضوع وخاصة أولئك الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ووقفوا شبابهم وطاقاتهم لخدمة هذه الأمة يريدون وصل حاضرها بماضيها ويريدون لهذه الأمة بناءً شامخاً بالأمجاد على أسس الأمس المشرق لتظل لهذه الأمة شخصيتها المستقلة .

ولقد عهدت إلى بعض اخواني المرشدين بدراسة الكتاب فأثنى خيراً على الكاتب والكتاب والموضوع ، وتصفحت أبوابه وقرأت بعض مواضيعه فأفدت منه لكني لم أقرأه كلمة كلمة وعسى أن أتمكن من ذلك .

وفي الختام أشكر للأخ المؤلف هذا الجهد المبارك وأدعو الله أن يجزيه عليه خير الجزاء وأن يوفقه لما يحب ويرضى .

العميد الدكتور
نوح علي سلمان
مفتي القوات المسلحة الأردنية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة للمؤلف

القيادة ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الانسان وتراثه الثقافي ومشاركته لمن حوله في مجتمعه فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة الى من ينظم العلاقات القائمة بينهم وفي هذه الحالة يتولى أحدهم القيادة. والقيادة فن يكتسب وينمى ويمارس بدرجات مختلفة من قبل أي شخص مؤهل لتحقيق غاية أو تنفيذ مهمة معينة . ويعرف الفن بأنه نوع من المهارة الناتجة عن التجربة أو الدراسة أو المراقبة ، وباستطاعة أي شخص أن يكتسب فن القيادة وينمّيها بدرجات إذا وجه بصورة صحيحة ، وكان يتمتع بالإمكانيات العقلية والبدنية الضرورية ، وبذلك تتأثر مقدرة الفرد على القيادة برغبته في الدراسة والتمرين وتطبيق أساليب القيادة الصحيحة . وبالتأكيد فإن قيادة الرجال ليست بالمهمة السهلة ، لأنها تعني التأثير على الآخرين سواء كانوا عسكريين أو مدنيين من قبل شخص مؤهل متفهم للمبادىء والقواعد صاحب عقيدة ومبدأ ، ينجز الأعمال ، ويحمل من يقودهم على إنجازها ، يصلح لكل المواقف والأحداث ويتميز بالخلق والمعرفة ، ويكون متميزاً ومحترفاً إذا كان مستقيماً يضع تقوى الله أمامه .

أما القيادة العسكرية (فإنها تختص بمهنة العسكرية والتي تكون الغاية منها خلق وإدامة منظمة تقوم بإخلاص وبرغبة تامة بتنفيذ أية مهمة معينة ومعقولة وتتصرف تصرفاً مناسباً في حالة عدم توفر تعليمات وأوامر) .

ولذلك يجب على القائد أن يتلقى التعليمات ويعمل بموجبها وينفذها

حرفياً وبكل أمانة وإخلاص وبغض النظر عن شعوره الشخصي .

والحقيقة فإنه لا بد للقادة من أن يتميزوا عن غيرهم بصفات حسّية ومعنوية متشابكة حيناً ومتداخلة حيناً آخر . ومن صفات القائد الجيد أن يظهر مقدرته في الحالات الخطيرة مثل حالات النجاح وتبقى بوتقة الحرب هي التي تقرر المعدن الثمين الذي يصنع القائد .

وعلى القائد أيضاً عدم اللجوء إلى العقوبات التي يرفضها القانون ، وتدينها الروح الوطنية وعليه أن يعرف أكثر مما يعرفه أتباعه لأنه لا يمكن لأي ضابط أو قائد أن يكون في مستوى عمله ما لم يعرف من العمل الذي بين يديه أكثر مما يعرفه أتباعه .

وعليه أيضاً أن يدرك ما هو ممكن وغير ممكن وأن يجعل من نفسه قاضياً ورقيباً وأباً للوحدة التي يقودها .

ولذلك لا بد أن يجمع كل ما ذكر من صفات حتى يتمكن من الاطلاع بدوره المهم الملقى على عاتقه . لأن الرجال العظام يغيرون مجرى التاريخ وإن الذين يعملون على إفادة أكبر عدد ممكن من المجتمع الانساني يعتبرون أرقى الشخصيات جميعاً حيث لديهم الرؤية الواضحة تجسيداً للهدف الأمثل للوصول إلى النجاح النهائي بأعلى كفاءة وأقل وقت ودونما تكاليف تذكر .

لقد كان اهتمام القادة والمفكرين بالقيادة اهتماماً بالغاً بما ذكر حولها من آراء وأفكار متعددة ومتنوعة ، منهم ف.م.ويغل الذي ذكر عن القادة الجيدين بأن مثلهم كخيل السباق ركاضة بكل الأشكال .

ولم ينسوا عزة النفس وكرامة القائد في مسيرته ومسلكه وهذا ما أوضحه الماريشال دي بليل وزير الحربية الفرنسي (١٧٥٨ ـ ١٧٦١) الذي ذكر في رسالته إلى ابنه الكونت دي جيزور عند استلامه كتيبة شامباين قوله (إنني أفضل أن أبكي موتك على أن أبكي شرفك أو عزتك ، ولتكن محباً للمجد ورغبتك بالوصول إليه مستمرة دائماً ، فقد كان المجد للشوق سنداً لي على مدى حياتي الصعبة كلها وهو الذي انساني ضعف صحتي ووهن بنيتي) .

ومنهم الجنرال مونتغمري الذي ذكر بأن القادة الأفذاذ ينشأون أكثر مما يولدون قادة ولا يصل أي ضابط إلى الرتب العالية دون دراسة متواصلة طويلة لإدارة الحرب تستغرق الحياة ، وإذا أهملت الدراسة لا يتوقع أي قائد أي نجاح . ويؤكد بقوله بأني قلت مرة لمرافق طموح كان يعمل معي إلاّ أنه كان يميل إلى الكسل تذكر أنه بدون الكفاح العظيم لا يظفر في هذه المهمة أحد .

أما الجنرال ايزنهاور فيؤكد بأنه على القائد أن يمتلك درجة لا بأس بها من الثقة بنفسه غير آبه بما يدور حوله من سخرية واستهزاء ، ويبقى مخلصاً لأهدافه النبيلة سواء وصل إلى القمة أم لم يصل فإنه يكون قد أرضى ضميره بقيامه بواجباته على خير ما يرام وهذا بالمناسبة هو السبب الذي أوجدنا الله من أجله على الأرض .

كما حرص نابليون على أن تجمع بينه وبين جنده روابط قوية تقوم أساساً على الثقة المتبادلة ، ومن أعظم ما سجله له التاريخ أنه استطاع أن يفتح سهول لمبارديا بجيش من الحفاة العراة رغم شح الموارد إذ خاطب جنده عند مسيره إلى إيطاليا فقال : « إني أراكم تحتاجون إلى الكثير مما تستحقون وها أنا ذا على رأسكم أسير بكم إلى المواطن التي تكسبكم العزة والفخر والغنيمة » وخاطب يوماً أمته فقال متحدثاً عن جيشه لا ريب أنني أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال) .

٣ ـ القيادة في الإسلاك كل من يتولى شيئاً من أمور المسلمين العامة ، فالخليفة وعماله وقواد الجيش والقضاة ، ورؤساء الشرطة والوزراء وغيرهم ممن يقومون بأعمال عامة في الدولة الإسلامية هم المعنيون بكلمة القيادة . وهم بما خولهم الله من سلطة وبما أعطاهم المسلمون من ثقة عليهم من العبء أكثر مما على غيرهم من المسلمين . والقيادة في الإسلام تعني قيادة البشرية نحو بر السلام ملتزمة بأداء فرائض الله ، تشده نحوها وتزجر عن نواهيه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[1] وقوله عليه الصلاة والسلام : (كلكم راعٍ وكلكم

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

مسؤول عن رعيته) . فهي إذن تكليف لا تشريف وخدمة لعباد الله قبل أن تكون مكسب رزق ، أو استعباد لبني البشر يرتهن المرء بادائها يوم الحساب .

فمن هنا ينبغي أن يهذب المرء حاجاته الفطرية ويكبح جماح هوى نفسه ويستمثر هذه الأمانة في تقوى الله وطاعته ليكون مثالاً للإمام العادل ، وبذلك يحافظ على رعيته بأمانة وإخلاص قال عليه الصلاة والسلام : (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاَّ حرم الله عليه الجنة)[1] .

(والقائد المسلم صاحب مدرسة ورسالة[2] ويدرك تمام الإدراك أن قيامه بإعداد أجيال من القادة من اسمى واجباته وأمانة في عنقه ، فنراه يقبل على اداء الواجب وعلى الوفاء بالأمانة بكل حماسة وإخلاص وحيوية دافقة . فها هو الرسول القائد في كل موقف وكل حدث كان يقاتل عدوه في مواقع متقدمة في المعركة فقد شاركهم في أحد حتى جرح في القتال وقد كسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه حتى أشيع أنه قد مات ، وعندها ارتبكت صفوف المسلمين وانتحى الرجال جانباً فرآهم أنس بن النضر فسألهم « ما يجلسكم ؟ » قالوا : « قتل رسول الله » فقال لهم الرجل : « ما تصنعون بالحياة من بعده ، قوموا فموتوا على ما مات عليه ». وفي بدر أبى عليه الصلاة والسلام أن يبقى بعيداً عن المعركة وأصرَّ على أن يشارك رجاله لقاء العدو .

وقد شهد بشجاعته علي بن أبي طالب حيث قال : (إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتنا يوم حنين ونحن نلوذ برسول الله وهو اقربنا إلى العدو) .

وكان الرسول القائد ثابتاً على عقيدته ومبدئه ويؤكد على ذلك عندما

---

(١) متفق عليه .

(٢) المدخل إلى العقيدة العسكرية الاسلامية ، اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

أرسلت قريشٌ عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ، قائلاً له : « يا ابن اخي إنك منا حيث علمت من المكان والنسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، فاسمع مني اعرض عليك أموراً ، لعلك تقبل بعضها إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا » ، ولكن الرسول ﷺ لم يكترث بكل هذا واشتدت عداوة قريش له مما عظم على أبي طالب عداوة قومه له فقال لمحمد ﷺ : « ابق على نفسك وعلي ، ولا تحملني ما لا أطيق » ، قال الرسول : يا عماه ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

ويتساءَل محمود شَيت خطاب[1] في هذا المجال قائلاً : « أيضحي إنسان بماله ونفسه وأهله وقومه مثل هذه التضحية ؟! ، أيجاهد رجلٌ بما يملك من مال ونفس وغال ورخيص مثل هذا الجهاد ؟ ، أيستطيع أحد أن يتحمل كل هذا البذل والتضحية والجهاد ! إن المرء حين يستوعب هذه (الأمثلة) الرائعة المذهلة من بذله وتضحيته وجهاده يكاد يصعق بروعتها وبهائها وجلالها فكيف به لو استوعب كل تفاصيل ما بذله من تضحية وجهاد في سبيل الله » .

٤ ـ إننا نجد بأنه لكل حدث تاريخي في المدرسة العسكرية الإسلامية رجالاً قاموا به واملوا على مسمع من الزمان سطوره . وبقدر أهمية الحدث تقاس عظمة من قاموا به . فالأدوار العظيمة الكبيرة لا يحسن أداءَها إلاَّ من أوتوا من الشجاعة والذكاء والعبقرية نصيباً عظيماً .

وحينما اتجهنا في التاريخ الاسلامي ، نجد النماذج الرائعة للرجال الأفذاذ ، والأبطال الأشاوس ، والعبقريات النادرة التي تدهش العقول بما خلفته من تراث رائع يُكلل هامات الإنسانية بالمجد والفخار ، وفي الجانب العسكري من هذا التاريخ نرى ما يمكّن في النفوس الفخر والاعتزاز

---

(١) كتاب العقيدة والقيادة .

بالبطولات الإسلامية التي تضرب أروع الأمثال في القيادة الحكيمة والخطط الرشيدة والانتصارات الباهرة والفتوحات العظيمة والجندية الحازمة مما يزيدنا إيماناً بعظمة هؤلاء القادة الذين قاموا بتلك الأدوار المهمة في تاريخنا العسكري الإسلامي وعاشوا بها حياة حافلة بجلائل الأعمال عامرة بالمجد والنضال .

وقد بدأ أبو بكر رضي الله عنه عهده بقوله : (لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) .

وعمر بن الخطاب رجل الدولة المعروف الذي حاز على اللقب الخالد (الفاروق) ذلك الخليفة العظيم الذي ما سلك طريقاً إلاَّ وسلك الشيطان طريقاً آخر . فقد كان يتحمل المسؤولية بشجاعة الحاكم القوي فهو الذي قال : (لو أن شاة عثرت على ضفاف دجلة لكان المسؤول عنها عمر لِمَ لم يمهد لها الطريق) ، عمر أمير المؤمنين الذي كان يتأخر عن خطبة الجمعة ثم يجيء مهرولاً في بردة فيها إحدى وعشرون رقعة تحتها قميص لم يجف من البلل ثم لا يكاد يصعد المنبر حتى يعتذر للناس عن تأخره فيقول : (حبسني عنكم قميصي هذا كنت انتظره حتى يجف) حتى أصبح هذا الرجل قائداً في ذاكرة التاريخ وفي ضمير البشريةحتى قال فيه عبد الله بن مسعود : (كان اسلامه فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة) .

وها هم قواد الإسلام العظام الذين جاءوا بعد الخلفاء الراشدين يسيرون على نفس النهج ويكتبون التاريخ بسطور العبقرية النابعة من بحر الرحمة والانسانية .

منهم ربعي بن عامر الذي ارسله سعد بن أبي وقاص قبل القادسية رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وعليه تاج وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي

بثياب قديمة ممزقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلاَّ رجعت . فقال رستم : إئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فمزقت ، فقالوا له ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . ومنهم خالد بن الوليد الذي خاطب حامل البريد الذي جاء بأمر العزل (بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلني عن القيادة ولكنه لا يملك أن يجردني من سيفي فسأظل حاملاً لهذا السيف في خدمة أمتي)[1] . وعندما أدرك عمر بن الخطاب حزن المسلمين للمعاملة التي عومل بها خالد أثناء عزله عن القيادة وتوليتها إلى أبي عبيدة عندها رأى بأنه من الضروري أن يكتب إلى جميع أمرائه وولاته فكتب لهم : (إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة)[2] ومنهم أيضاً أبو عبيدة (أمين الأُمة) الذي وقف مع جنوده في الصعاب والأزمات ، وذلك عندما استدعاه الخليفة عمر بن الخطاب لزيارة المدينة حتى يمكن انقاذه من مرض الطاعون الذي فتك بأرض الشام فرفض ذلك لأنه استنتج من كتاب عمر بأنه يستأخر في المدينة إلى أن تنتهي الجائحة .

وبذلك دفع حياته ثمناً لإخلاصه لرجاله لأنه لم يتخل عنهم في أعنف المعارك فكيف يتخلى عنهم بسبب الطاعون (لأنه لا ينبغي للقادة الذين يحرصون على سلامة أنفسهم أن يفوزوا في أي حرب يخوضونها) . وكان القائد المسلم لا يطأطىء الرأس ولا يتخاذل أمام المواقف ، فعن أبي موسى قال : انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه

---

(١) الطبري ـ الجزء ٣ .

(٢) الطبري ـ الجزء ٣، صفحة ١٦٧ .

وعمارة عن يساره والقسيسون جلوس ، وقد قال عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك ، فلما انتهينا من مجلسه طلبوا منه الرهبان بقولهم : اسجدوا للملك فقال جعفر : لا نسجد إلاَّ لله .

فلذلك نجد بأن المبادىء لقادة الإسلام التي ذكرت تم معرفتها من البادِيَة حيث أنهم لم ينتظموا في كليات عسكرية يتلقون فيها مبادىء الحرب ولكنهم توصلوا إليها بفكر ناضج وإحساس صادق وبفطرة سليمة وتفهم كامل وإدراك واعٍ وقدرة فائقة تدل على استعدادهم الفطري الممتاز للقيادة فعلينا إذن التأسي بهم والسير على خطاهم وفي هذا المعنى يقول الرائد الركن بهاء الدين محمد اسعد والرائد جمال خلفات في كتابهم (العسكرية الإسلامية وقادتها العظام) علينا التأسّي بأولئك الأبطال الميامين الذين اجتذبهم الإسلام من الكهوف وأغوار الوديان حفاة عراة ثم أقعدهم بعد أن صهرهم في وبتقة الإيمان أمام دفة قيادة الدنيا ، فصنعوا بالإسلام وصنع الإسلام بهم تاريخاً لم تشهد الدنيا مثله في البناء والعظمة والنزاهة والإشراق تاريخاً في خلقه عظيماً في بطولته فذاً في استقامته مفلحاً في قيادته شباب يجمع بين صدق أبي بكر وعدل عُمر ونبل عثمان وفروسية علي وبسالة خالد وحنكة عمرو وحلم معاوية وإقدام الزبير ، يوم كانت جيوش الإسلام تتوغل في أحشاء أوروبا الغربية ويقف أمامها (أيام بني أمية) خمسماية ألف مقاتل على بعد ثلاثماية كيلومتر من باريس ني الوقت الذي كانت فيه مئات الألوف من جنود دمشق الأمويين وقادتها تندفع كالطوفان نحو الشرق جارفة معالم الوثنية وآثار المجوسية لتلقي بها في مزابل التاريخ) .

٥ ـ يقرر علم النفس العسكري أن للقيادة العسكرية عنصرين أولهما صفات القيادة التي يجب أن يتصف بها الإنسان ليكون قائداً ناجحاً ، وثانيهما مبادىء القيادة وهي القواعد والأصول التي يجب أن يتبعه القائد ويطبقها عند ممارسة القيادة .

ونجد بأن صفات القيادة المثالية وصفات أخرى غيرها اجتمعت في رسول الله قائد جيش الإسلام الأول والقائد القدوة والمثل الكامل . ومن هذه

الصفات والمزايا كمال الأخلاق والعقل وحسن السياسة مع احترام النفس والتواضع ، بالإضافة إلى الصبر وقوة الاحتمال مع الثبات على المبدأ ، ثم مزايا أخرى كالوفاء ، الشجاعة ، النجدة ، حسن العشرة ، الثقة المتبادلة ، المحبة المتبادلة ، روح الدعابة مع التوازن النفسي وبعد النظر وقوة الشخصية .

وقد جاءت العسكرية الإسلامية[1] بكل ما وصلت إليه دراسات الخبراء وأبحاث العلماء من مبادىء القيادة وجعلت لها منزلة رفيعة إذ ربطتها بمبادىء الدين فولدت بذلك أقوى الحوافز التي تدفع القادة إلى اتباعها والحرص عليها ونذكر من هذه المبادىء : معرفة القائد لعمله ولنفسه ولرجاله مع رعاية شؤون الجند وحسن معاملتهم مع المحافظة على أرواحهم ، ثم توضيح الأهداف للجنود ، ومداومة اعلامهم وذلك باتخاذ القرارات السليمة والحاسمة ، مع تحمل المسؤولية وتنميتها في المرؤوسين .

وقد قررت المدرسة العسكرية الإسلامية لبناء المقاتل أيضاً خير المناهج التي تكفل أن تجتمع للفرد كل السجايا والفضائل الحربية على أمثل واكمل الوجوه مثل الشجاعة وقوة التحمل مع الخشونة ، الحزم ، الصراحة ، الغيرة على الشرف والنخوة ، مع النظام والانضباط والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق . وقد قررت أيضاً مزايا الجندي الممتاز والتي تتلخص في العقيدة الراسخة ، المعنويات العالية ، الضبط القوي ، التدريب الجيد ، التنظيم الصحيح والتسليح الممتاز .

٦ ـ لقد درست بتمعن وإدراك تاريخ قادة الإسلام الحافل بالبطولات والتضحيات وتبين لي بأن الإسلام عقيدة وشريعة ، عبادة وقيادة فمن القيادة يكون التصميم والتخطيط ومن الجنود يكون العزم والتنفيذ ومن التخطيط والتنفيذ المدروس تخرج أهداف الأمة إلى حيز الوجود .

---

(١) المدخل إلى العسكرية الاسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

وعندها كنت أواصل الليل بالنهار حسب الظروف والوقت الذي يتاح لي بعد أداء الواجب الرسمي .

وقد بذلت غاية ما وسعته طاقتي وقدرتي وإمكاناتي وما قدر عليه جهدي لإعداد هذا الكتاب ولقد أحسست خلال ذلك بأن الله عزَّ وجلَّ يرعى هذا العمل ويباركه فلا أكلُّ ولا أملُّ وأواصل البحث والدراسة والتدقيق والتفكير في كل ما أكتب . ومع هذا شعرت بقصوري فقد كان الأجدر بي منذ وقت بعيد أن أبحث وأدرس وأكتب وأجتهد حتى أوضح مفهوم القيادة في الإسلام أمام القادة والضباط والجنود ، لأن ما تعلمته في حياتي العسكرية من دراسة متواصلة لإدارة الحرب حتى كلية القيادة والأركان موجود في مدرسة الإسلام العسكرية . وغاية ما أتمناه أن نطبق ما تعلمناه عن قيادة الإسلام العظيم وأن يكون ولاؤنا للحق وأن يمنحنا الله قوله مهما تكن المعارضة شديدة ، وبذلك نبقى مخلصين للأهداف النبيلة لإعلاء كلمة الله في سبيل الوصول إلى مجد الأمة والوطن .

راجياً من الله عزَّ وجلَّ أن ينفعنا بهذا العمل وأن يجعله من العلم النافع في ميزان حسناتنا يوم القيامة .

فإن نجح الكتاب فالشكر لله ، وإن لم ينجح فالحمد لله الجواد المنان عليه توكلت وإليه أنيب .

٧ ـ وفي الختام لا يسعني إلَّا أن اشكر سمو ولي العهد الأمير الحسن بن طلال المعظم على اهتمامه بمؤلفاتي وتوجيهه ـ حفظه الله ـ كتاب شكر لي على بداية بواكير انتاجي كتاب (العقيدة القتالية في الإسلام) مما منحني الحوافز المعنوية لمواصلة النهوض بمهام جديدة .

كما أشكر معالي السيد ذوقان الهنداوي وزير التربية والتعليم حول توصيته باقتناء مؤلفاتي في مكتبات مدارس الوزارة واشكر جميع مديري مكاتب التربية والتعليم في جميع أنحاء المملكة الذي شرفني الله بمعرفتهم .

كما أشكر فضيلة الدكتور نوح علي سلمان مفتي القوات المسلحة

الأردنية الذي قام بتقديم هذا الكتاب فجزاه الله خير الجزاء ووفقه لما يحب ويرضى .

كما أشكر الفريق الركن عبد الهادي المجالي مدير الأمن العام والفريق خالد الطراونة مدير الدفاع المدني على تشجيعهم لمؤلفاتي وإيصالها إلى أفراد الأمن العام والدفاع المدني .

كما أقدم الشكر الجزيل إلى العميد الركن فاضل علي فهيد مدير التدريب العسكري الذي قدم كل مساعدة وعون لي ومنحني كافة الحوافز للنهوض بهذا الكتاب فهو صاحب الكلمة الهادفة والمواقف الموزونة .

وأشكر رئيس شعبة المطبوعات وركن أول دراسات في نفس المديرية .

وأقدم الشكر أيضاً إلى العقيد الركن قاسم محمد صالح مدير التوجيه المعنوي وضباط التوجيه المعنوي وأخص بالذكر أركانية الدراسات والمحرر المسؤول في مجلة الأقصى على ما بذلوه من جهد صادق ومتواصل لإنجاح هذا الكتاب .

كما أشكر الأستاذ إبراهيم ساير مدير مكتبة المنار والأخوة الكرام في ادارة المكتبة على الجهد المتواصل لانجاح الكتاب والمعاملة الجيدة حوله .

وأخيراً لن أنسى تقديم الشكر والعرفان إلى زوجتي (أم أيمن) وذلك لمساعدتها لي عاماً كاملاً ووقوفها معي لإنجاز هذه المهمة العظيمة ، حيث أصبح التأليف داخل البيت جزءاً هاماً وأساسياً من وجودنا وحياتنا ، والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير .

أحيانا الله سعداء وأماتنا شهداء .

المؤلف

المقدم الركن : أحمد عبد ربه بصبوص

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

عمومِيَّات وَمَفاهِيم القِيَادَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
عموميات ومفاهيم القيادة

القيادة والقائد لغة واصطلاحاً :

كلمة قيادة يونانية الأصل مأخوذة من معنى الفعل اليوناني بمعنى يبدأ أو يقود أو يحكم .

والقيادة حسب رأي (آرندت) تقوم على علاقة اعتمادية متبادلة بين من يبدأ الفعل وبين من ينجزه ، وإن هذه العلاقة يترتب عليها تمثيل دورين متباينين[1] .

يمثل الأول منهما من يتولى القيام بالعمل ـ وهو القائد ـ ووظيفته إعطاء الأوامر وهذا حق مقصور عليه ويمثل الدور الثاني من ينجزون العمل ـ وهم الأتباع ، ووظيفتهم تنفيذ الأوامر ، وهذا واجب عليهم .

وتعني كلمة قائد الشخص الذي يوجه أو يرشد أو يهدي الآخرين بمعنى أن هناك علاقة بين شخص يوجه وأشخاص آخرين يقبلون هذا التوجيه والإرشاد الذي يستهدف تحقيق أغراض معينة .

ويقابل مصطلح القيادة بالانجليزية كلمات ، القيادة (Leadership) ، الأمرة (Command) ، الادارة (Management) .

---

(١) نشرة من اعداد العقيد الركن أحمد عبد الله خريسات .

فكلمة القيادة (Leadership) هي أوسع اصطلاح للقيادة ولا يشمل السلطة فقط بل والقدرة على التأثير في الآخرين .

وهناك عدة أسماء ومصطلحات تتداخل على نطاق واسع في الاستعمال العسكري والمدني فهناك من يسميها الأمرة «Command» والتي هي السلطة القانونية التي يمارسها القائد على مرؤوسيه بفضل رتبته وتعيينه . ولذلك فإن القائد «Commander» هو الرئيس الرسمي المعين للوحدة وهذه الرئاسة تشمل عادة متطلب ممارسة القيادة ولكن تطبيقها يعتمد على قدرة القائد كفرد أو سلوكه أو مهمته .

فالقيادة (Leadership) هي سلطة ونشاط وتأثير على الآخرين ، أما القيادة «Command» فهي السلطة القانونية . والكثير من العسكريين يعتبر الاصطلاحين مترادفين . أما كلمة الادارة (Management) فهي القيام بالجهد لتحقيق هدف التنظيم وذلك باستخدام الأفراد والأدوات في الإنجاز الاقتصادي الفعال للمهمة .

أما علم الإدارة فهو إخضاع كافة الجهود للبحث المعلمي والتجارب للوصول إلى قواعد يغلب عليها صفة الثبات وكل ذلك يخضع إلى نظرية الظروف الوقفية[1] «Contingency Theory» وأيضاً إلى النوعية أولاً (Quality First) .

وكفاءة القيادة تتوقف على قدرتها على إنجاز الأهداف المحددة باستخدام الموارد المتاحة دون ضياع للوقت أو الجهد . أما فاعلية القيادة فتتوقف على قدرتها على تحقيق أقصى النتائج والخدمات التبي يمكن تحقيقها باستخدام الموارد المحددة المتاحة أحسن استخدام ممكن .

مستويات القيادة والادارة في القوات المسلحة :

من الممكن تمييز مستويات عامة عديدة للقيادة في القوات المسلحة

---

(١) الظروف المحيطة بالقائد والاتباع .

ويمكن تصنيفها بما يلي : القائد (Leader) على مختلف المستويات . وأيضاً الضابط الكبير (General Officer) من رتبة عميد فما فوق وضابط الميدان (FieldGradeOfficer) ، وضابط الصف (Noncommissioned Officer) .

وتتوقف فعالية القيادة على الأسس التالية : أسلوب القائد ، نوع المهمة نوعية المرؤوسين ، عنصر الزمن ، عوامل البيئة الخارجية ، الموقف (Situation) أما في مجال الإدارة فهناك عدة تصنيفات كالادارة العليا والإدارة الوسطى والإدارة الدنيا (الاشرافية) .

مستوى الادارة	وظائف الادارة				
الإدارة العليا	التخطيط	التنظيم	التوظيف	التوجيه	الرقابة
الإدارة الوسطى					
الإدارة الدنيا					

وقد حدد (لوثركيولك) في نظريته التي يتم بموجبها توزيع الأعمال على الأسس التالية :

١ ـ التوزيع على أساس الهدف(Purpos)

٢ ـ التوزيع على أساس المرحلةProcess

٣ ـ التوزيع على أساس الأشخاصPersons

٤ ـ التوزيع على أساس المكانPlace

٥ ـ التوزيع على أساس الوظيفةFunction

وقد قسم لوثر جوليك وظائف العملية الادارية الى سبع وظائف رمز إليها بالكلمة الشهيرة POSDCORB على النحو التالي :

١ ـ التخطيط	Planning
٢ ـ التنظيم	Organizing
٣ ـ التوظيف	Staffing
٤ ـ التوجيه	Directing
٥ ـ التنسيق	Coordinating
٦ ـ الابلاغ (رفع التقارير)	Reporting
٧ ـ وضع الموازنات	Budgeting

كلمة القيادة والقائد ومفاهيمهما المختلفة :

لقد اختلفت التعاريف لهذه الكلمة فمنهم من عرفها (بأنها الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على توجيه الآخرين إلى هدف معين بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم وطاعتهم وتعاونهم المخلص)[1] والقيادة فن ويعرف الفن بأنه نوع من المهارة الناتجة عن التجربة أو الدراسة أو المراقبة وباستطاعة أي شخص أن يكتسب فن القيادة وينميها بدرجات مختلفة ، إذا وجه بصورة صحيحة وكان يتمتع بالامكانيات العقلية والبدنية الضرورية . وتتأثر مقدرة الفرد على القيادة برغبته في الدراسة والتمرين وتطبيق أساليب القيادة الصحيحة .

وقد عُرِّفَت من قِبَل محمود شيت خطاب في كتابه بين العقيدة والقيادة (بأنها الأعمال التي يضطلع بها القائد في قيادة الجنود) والقائد من كان على رأس الجماعة وكان للجماعة رأساً . ولا بد للقائد أن يكسب ثقة واحترام مرؤوسيه كخطوة أساسية مهمة لنجاحه ، ولا بد أن يتميز بالمعرفة الشاملة وإن كانت غير تفصيلية لشؤون وحدته كما يتميز بالعدل والحماس ومشاركة

---

(١) نشرة كلية القيادة والأركان .

مرؤوسيه في السراء والضراء .

وقد عُرِّفَتْ أيضاً من قبل اللواء محمد جمال الدين محفوظ بأنها (ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي ومشاركة من حوله في مجتمعه ، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم وفي هذه الحالة يتولى أحدهم القيادة)[1] .

وفي كتاب (تولي القيادة)[2] عرفت القيادة بأنها (فن التأثير في الأفراد ، وهذا الفن مبنيٌ على الاستخدام الفعال للتعامل مع الأفراد ومعرفة سلوكهم الإنساني بغية تحقيق المهمة بالأسلوب الذي يرغبه القائد ، وهو الذي يضبط جهود مرؤوسيه ويوجهها نحو النجاح النهائي وهو صاحب مهارة ملائمة لمتطلبات الحرب الحديثة) .

وحسب مفهومي فالقائد هو شخص مؤهل متفهم للمبادىء والقواعد صاحب عقيدة ومبدأ ينجز الأعمال ويحمل من يقودهم على إنجازها يصلح لكل المواقف والأحداث يتميز بالخلق والمعرفة والشخصية ، ويكون متميزاً ومحترفاً إذا كان يضع تقوى الله أمامه .

القيادة والقائد حسب المفهوم العسكري :

لقد عرفت القيادة حسب المفهوم العسكري بأنها السلطة القانونية التي يمارسها أي عضو في القوات المسلحة على مرؤوسيه وذلك بفضل رتبته ووظيفته ، وهو مسؤول عن إجراء الأعمال والإشراف على جميع النشاطات ضمن قيادته . وحتى يتمكن من تنفيذ هذه المسؤوليات لكل عمل تقوم به الوحدة أو تعجز عنه فإن من واجبه أن يتلقى التعليمات ويعمل بموجبها وينفذها حرفياً وبكل أمانة وإخلاص وبغض النظر عن شعوره الشخصي .

---

(١) كتاب المدرسة العسكرية الإسلامية .

(٢) تأليف العقيد صامويل هيز والمقدم وليم توماس .

وعرفت القيادة العسكرية (بأنها تختص بمهنة العسكرية والتي يكون الغاية منها خلق وإدامة منظمة تقوم بإخلاص وبرغبة تامة بتنفيذ أي مهمة معينة ومعقولة وتتصرف تصرفاً مناسباً في حالة عدم توفر تعليمات وأوامر) وتعرف القيادة العسكرية أيضاً بأنها : (فن التأثير على الرجال وتوجيههم بالطريقة التي تمكن القائد من نيل طاعتهم العفوية وثقتهم واحترامهم وتعاونهم المخلص لتحقيق الواجب أو الهدف المطلوب)[1] . ويعرف القائد بأنه : ذلك الرجل الذي يجعل الآخرين يثقون به ويؤثر عليهم ويوجههم ، ويملك صلاحية إصدار الأوامر والقرارات للمرؤوسين ليقوموا بتنفيذها عن رغبة وطيب خاطر) .

ويشمل تعريف قيادة القوات المسلحة نشاط القيادة الاستراتيجية في مجالاو إعداد الحرب وإدارتها والذي يتضمن مسألتين رئيسيتين :

○ **الأولى** : تحديد الهدف الاستراتيجي للحرب بالكامل وهدف كل مرحلة من مراحلها وذلك على ضوء الأهداف السياسية وطبيعة الحرب .

○ **والثانية** : هي قيادة القوات المسلحة أثناء التحضير والتعبئة والانتشار . أما على الصعيدين المحلي والتكتيكي فإن القيادة تتلخص في السيطرة المستمرة على التشكيلات العليا والتشكيلات والقطعات والوحدات وتنظيم أعمالها القتالية ، وتوجيه جهودها لتنفيذ الواجبات والمهام التكتيكية الموضوعة .

أما مبادىء القيادة العسكرية فهي بمثابة دليل لممارسة قيادة الوحدة كقيادة وممارسة صحيحة وهذه المبادىء تمثل أفضل دراسة بشؤون القيادة لقادة نجحوا سابقاً .

وتشير الدراسات لمفاهيم الحرب الحالية والمقبلة بأن هذه المبادىء ستظل صالحة للمستقبل كما هي صالحة الآن .

---

(١) مجلة الدفاع العربي .

القيادة الإدارية :

(أضحت القيادة الإدارية المعيار الذي يحدد على ضوئه نجاح أي تنظيم إداري ومن هنا جعل علماء الإدارة من القيادة موضوعاً رئيسياً في دراساتهم وأصبح يحتل جزءاً بارزاً في معظم كتب الإدارة العامة وإدارة الأعمال وعلم النفس الإداري وذهب كثير من رجال الفكر الإداري الى القول أن القيادة هي جوهر العملية الإدارية وقلبها النابض وأنها مفتاح الإدارة وأن اهمية مكانتها ودورها نابع من كونها تقوم بدور أساسي يسري في كل جوانب العملية الإدارية فتجعل الإدارة اكثر ديناميكية وفاعلية وتعمل كأداة حركة لها لتحقيق اهدافها . وعلى الرغم من تعدد وتبيان الأهداف التنظيمية تبقى وظيفة القائد ودوره في تحقيق الأهداف واحدة في جميع التنظيمات الادارية وهي العمل على تحقيق هذه الأهداف من خلال توضيحها وتحديدها لمرؤوسيه والحيلولة دون تعارض أهداف ومتطلبات التنظيم الإداري مع أهداف ومتطلبات الموظفين العاملين فيه من جهة وبين أهداف المجتمع ككل من جهة أخرى ، وبقدر ما تكون القيادة قادرة على المحافظة على التوازن في تحقيق هذه الأهداف فإن ذلك يساعدها على تحقيق اهدافها على أحسن وجه ، إلاَّ أن دور القائد في تحقيق أهداف التنظيم الإداري من خلال قيامه بعملية التوازن في تحقيق الأهداف الوظيفية يضع على عاتقه عبء التوفيق بين مجموعة من المواقف أو المتناقضات المختلفة)[1] فالقيادة الإدارية هي القدرة على اقامة أو بناء علاقات انسانية طيبة بين العاملين في الوحدة الإدارية تؤدي في النهاية إلى تأكيد وتقوية عنصر الثقة بين الرئيس ومرؤوسيه مما يساعد على تحقيق أهداف الأمة . ويقول في ذلك * تيد : (إن القيادة هي الجهد المبذول لجذب الآخرين إلى مدار أهداف المنظمة بشكل يجعل هؤلاء الآخرين متشوقين للمشاركة في هذه الأهداف) . أما ماير : فيذكر أن القيادة المؤثرة عبارة عن علاقة إنسانية قائمة أو ظاهرة في الأفعال التي تساعد الناس الآخرين على تحقيق حاجاتهم وأهدافهم في أي عملية قائمة مستمرة .

---

(١) العقيد الركن احمد عبد الله خريسات .

أما ليكرت : فيعرف القائد الإداري بأنه الشخص الذي يستطيع أن يبني ويحافظ على روح المسؤولية بين أفراد الجماعة التي يقودها لتحقيق اهدافها المشتركة . أما « كونتز وادونيل » فيعرفها (بأنها عملية التأثير التي يقوم بها المدير في مرؤوسيه لإقناعهم وحثهم على المساهمة الفعالة بجهودهم في أداء النشاط التعاوني) وقد عرفت أيضاً بأنها (القدرة التي يستأثر بها المدير على مرؤوسيه وتوجيههم بطريقة يتسنى بها كسب طاعتهم واحترامهم وولائهم وشحذ هممهم وخلق التعاون للوصول إلى الهدف)[٢] .

مفاهيم القيادة ونظرياتها عند مختلف القادة :

لقد عرف القادة القيادة بمفاهيم مختلفة ومتباينة نذكر منهم الجنرال عمر برادلي الذي عرف القائد بأنه الشخص الذي ينجز الأعمال أو الشخص الذي يحمل الآخرين على إنجازها .

وبأن القيادة ليست بالشيء الذي يمكن تعريفه بكلمات قليلة ولو أنها شيء يمكن الحصول عليه ولكن لا يمكن شراؤها كالبضاعة فهي غير ملموسة ولا يمكن التعويض عنها بسلاح مهما كان تصميمه . ويرى الجنرال عمر براولي بأن من أهم الصفات المميزة في القائد :

١ ـ أن يعرف عمله وليس من الضروري أن يكون اختصاصياً في كل مرحلة من ذلك العمل .
٢ ـ القابلية العقلية والبدنية والتفهم الإنساني .
٣ ـ قوة الشخصية .
٤ ـ أن يكون عنيداً أحياناً ومسلحاً بالشجاعة لإيمانه بما يعتقد .
٥ ـ صاحب خصال ومثل عليا وحظ كبير وعندما تتوفر هذه الخصال على القائدان يرتفع إلى مستوى المسؤولية .

أما الجنرال مونتغمري فقد عرف القائد بأنه الرجل العالم بفن وعلم

---

(٢) د. عبد الكريم درويش ، د. ليلى تكلا .

القيـادة والذي يجعـل الناس يتّبعـونه ، ويعتبـر علم القيادة علمـاً لأنه يجب أن يدرس نظرياً من قبل الضباط، وفناً لأن النظريات التي يحتـوي عليها يجب أن تطبق وتستخدم .

وفوق كل شيء يحتاج العلم والفن في مجالات القيادة إلى معرفـة وثيقة بالطبيعة الإنسانية .

أما القيادة فقد عرفها بأنهـا فن التأثيـر على الرجـال ، لأن الرجـال يبقى لهم الدور الأساسي في عملية الصراع المسلح بتضـافرهم وإدارتهم لـلأسلحة المتطورة والوسائط التكنولـوجية الحـديثة مـع العتاد الحـديث يبقون في لحمـة واحـدة . ويضيف مونتغمـري قائـلاً حول اعتبـار القيادة (علم وفن) بـأنه في الحـرب العالميـة الأولى عام ١٩١٤ اقتـرح على أحد الضبـاط أن يـذهب إلى إحدى دورات كلية الأركان الصغرى والتي تعقد في فرنسا آنذاك وقد سخر من اقتراحي قائلاً بأن ما لديهم في الحرب هو الخبرة العملية في الخنـادق وذكرت له عندها مما أشار به فردريك العظيم عن الضباط الذين يعتمدون على الخبـرة العملية فقط ويهملون الدراسة بأنه كان لديه في جيشه بغلان اشتـركا في اكثـر من أربعين حملة ومعركة ولكنهما بقيا بغلين في نهاية الحرب .

ويضيف الجنرال مونتغمـري قائـلاً اعتقد أن القـادة الأفذاذ ينشـأون اكثر مما يولدون قادة ولا يصـل أي ضابط إلى الـرتب العاليـة دون دراسة متـواصلة طويلة وإدارة الحرب دراسة تستغرق الحياة وإذا أُهملت الدراسـة لا يتوقـع أي قائد أيَ نجاح . ويؤكد بقوله بأني قلت مرة لمرافق طموح كـان يعمل معي إلاَّ أنه كان يميل إلى الكسل (تـذكر أنـه بدون الكفـاح العظيم لا يـظفر في هـذه المهمة أحد) وبدون شك لا بد من مواهب شخصية معينة يراها مونتغمري في القائد .

منهـا القدرة على القـرار السـريـع والحكم الجيـد والحـزم في اللحـظة المناسبة والبأس في المواقف المناسبة مع التدريب الجيد والخبرة القديمة التي أدت إلى بعض الانتصارات الباهرة على الأعداء والظروف . ويرى مـونغتمري بأن القائد الجيد هـو الذي يـظهر مقـدرته في الحـالات الخطيـرة مثل حـالات

النجاح . ويؤكد بأنه لا يوجد عامل مهم يقود النجاح العسكري اكثر أهمية من النشاط والقوة الدافعة والإرادة القوية للقائد . والقائد الذي يستطيع أن يحوز على هذه الصفات في اعلى درجاتها يعد من القادة العظام . ويضيف قائلاً وبعد أن يقال كل الكلام وتتم كل المنجزات تبقى بوتقة الحرب هي التي تقرر المعدن الثمين الذي يصنع القائد .

أما الجنرال ايزنهاور فقد عرف القائد : بأنه الشخص الذي ينجز عمله بكفاءة ويمتلك درجة لا بأس بها من الثقة بنفسه غير آبه بما يدور حوله من سخرية واستهزاء ، ويبقى مخلصاً لأهدافه النبيلة متفهماً للآخرين هو القائد بحد ذاته .

وإذا وصل الى القمة أم لم يصل فإنه أرضى ضميره بقيامه بواجباته خير قيام وهذا بالمناسبة هو السبب الذي أوجدنا الله من أجله على الأرض .

ويرى ايزنهاور بأن الذكاء والنزاهة والشجاعة غير كافية للقيادة وأن العنصر المهم جداً هو عامل خفي وهو العامل (س) . وهذه طبعاً طريقة ظريفة للقول بأننا لا نعرف ما يجب علينا أن نعرفه في القيادة .

ومن الصعب جداً تشريح عقل وروح الإنسان والتعرف على جميع الأقسام ولكنني شخصياً راغب في ترك العامل (س) إلى العلماء النفسانيين والتركيز على بضع مزايا معروفة تعتبر الأساس في القيادة منها :

١ ـ التركيز والتكريس المجرد عن حب الذات للواجب المعطى وان تغلب المصلحة العامة على مصلحته الذاتية .

٢ ـ الثبات وذلك بثبات العزيمة والقدرة على الوقوف بثبات في الملمات للنهوض من الاندحار والقتال ثانية والتعلم من الأخطاء والاندفاع إلى الهدف النهائي .

٣ ـ قوة الاقناع وطيب الخاطر وصفاء التفكير .

٤ ـ التواضع .

٥ ـ اتقان العمل وذلك بالرغبة في العمل المتواصل والمعرفة التامة

حيث تتدرج القيادة في الجيش نازلاً حتى اصغر جندي وفي مجال الأعمال .

والقيادة عند الماريشال دي بليل وزير الحربية الفرنسي سنة (١٧٥٨ ـ ١٧٦١) يظهر مفهومها من خلال الرسالة التي أرسلها إلى ابنه الكونت دي جيزور عند استلامه كتيبة شامباين[1] في الجيش الفرنسي والتي تلائم وتطابق المتطلبات والظروف الحالية في كثير مما جاء فيها . وهذا يدل على أن العلاقة بين الأفراد والممارسة العملية لقيادة الرجال لم تتبدل وهذه والنقاط هي :

١ ـ العمل من أجل الحصول على حب أفراد الوحدة .
٢ ـ احترام الضباط القدامى ومراجعتهم دائماً .
٣ ـ دراسة شخصية وطبائع ضباط الكتيبة ومعرفتهم .
٤ ـ عدم اللجوء إلى العقوبات التي يرفضها القانون وتدينها الروح الوطنية .
٥ ـ النهوض المبكر في الصباح لإنجاز الأعمال بدقة وإتقان .
٦ ـ نزاهة القائد والذي عليه أن يراقب نزاهة رجاله في الوحدة .
٧ ـ العمل على أن تكون الوحدة من أحسن الوحدات واكثرها ثقافة .
٨ ـ التصرف بصبر وبحزم بعيداً عن الغضب .
٩ ـ إطاعة الأوامر .
١٠ ـ على القائد أن يجعل من نفسه قاضياً ورقيباً وأباً للوحدة التي يقودها .
١١ ـ أن يكون القائد صاحب اخلاق عالية ومثلاً لمرؤوسيه .
١٢ ـ معرفة ما يجري في الوحدة دون استخدام التجسس من اجل تحقيق هذا ، وفي نظر الماريشال دي بليل فإن الشخص الذي يتجسس على رفاقه غير شريف ولا يستحق الثقة .
١٣ ـ أن يتميز القائد بالشرف والعزة ويظهر ذلك في قوله لابنه : (إنني

---

(١) اسم كتيبة .

أفضل أن ابكي موتك على أن أبكي شرفك وعزتك) .

١٤ ـ أن يتوق القائد إلى المجد ويسعى للوصول إليه ويظهر ذلك في قوله أيضاً : (لتكن يا بني محباً للمجد ولتكن رغبتك بالوصول إليه مستمرة دائماً فقد كان الشوق للمجد سنداً لي على مدى حياتي الصعبة كلها وهو الذي أنساني ضعف صحتي ووهن بنيتي) .

أما المزايا والخصال التي يجب أن تتوفر في القائد كما يراها المشير (سلم) فتظهر في المحاضرة التي ألقاها في كلية الأركان البريطانية في ١٥ تشرين أول عام ١٩٦٤ والتي من اهمها :

١ ـ الشجاعة وقوة الإرادة وسداد الرأي .

٢ ـ التصميم على فرض القرار رغم جميع الاعتبارات .

٣ ـ المرونة رغم التغيير في (الموقف السياسي والعملي مع تقلبات الطقس) . وأيضاً القائد والقطعات .

٤ ـ المعرفة ويظهر ذلك في قوله (لا يمكنك كضابط أو قائد أن تكون في مستوى عملك ما لم تعرف عن العمل الذي بين يديك اكثر مما يعرفه اتباعك) .

٥ ـ النزاهة مع عدم التحيز والتمييز .

٦ ـ معرفة القائد بما ينبغي أن يقول مع مصداقيته بين القول والعمل .

والقيادة عند ف.م ويفل الانجليزي تظهر بتوجيهاته التي يرى فيها مميزات القائد والتي ذكر من أهمها ما يلي :

١ ـ القوة مع الشدة والمقدرة على تحمل صدمات الحرب .

٢ ـ الشجاعة .

٣ ـ متانة الخلق ومعرفة ما يريد مع امتلاك الشجاعة والعزم للحصول عليه .

٤ ـ الحس العملي (إدراك ما هو ممكن وغير ممكن) .

٥ ـ استخدام ما هو حديث بجدارة وثقة .

ويقول ويفل : بأن القادة الجيدين مثلهم كخيل السباق (ركاضة بكل الأشكال) . أما الحكيم سقراط فيقول حول الواجبات المطلوبة من القائد (بأنه ينبغي على القائد أن يعرف كيف يحصل على زاد جنوده وعلى المدخرات الأخرى المطلوبة للحرب ، وأن يكون ذا تصور في ابتكار الخطط وأن يمتلك القدرة العملية والطاقة على تنفيذها . وأنه ينبغي أن يكون واعياً لا يعرف الكلل ، ذكياً رحيماً وقاسياً مندفعاً ومحافظاً ، وينبغي له أن يحوز كل هذه السجايا طبيعية ومكتسبة . كما ينبغي له أيضاً بطبيعة الحال أن يعرف التعبية . لأن أي جمع للناس مختل النظام ليس جيشاً كما أن أكوام مواد البناء ليس بيتاً .

وهناك أقوال لقادة وكتاب بليغة وموجزة نوردها كما هي لعلها تفيد في هذا المجال .

يقول ونستون تشرشل : إن شخصية القائد في نظري هي كل شيء في الحرب ، هي الروح التي تحارب بها الجنود وهي السلاح الذي يضربون به ، وهي المنبع الذي يستمدون منه قوتهم وإيمانهم بالنصر .

ويرى الكاتب الفرنسي (أندريه موروا) بأن القيادة هي أن يسير القائد بمجموعة من الجند خاضعين لنظام معين نحو غرض معين .

أما فولتير فيرى بأن الشجاعة الرزينة عند الاحتدام وذلك الصفاء الروحي عند الخطر هما اعظم ما تمنحه الطبيعة للقادة .

ويذكر بأنه كتب ويفل عن لي : بأنه اثناء تقدم (لي) من العلمين إلى برلين في حرب عام ١٩٣٩/١٩٤٥ كان يعلق في عربته بيت الشعر التالي لشكسبير :

يا إلّه المعارك اجعل قلوب رجالي من حديد

ويؤكد القادة على الاشراف على تنفيذ الخطط وليس وضعها فقط بإصدار الأوامر . ويذكر بأنه بينما كان الجنرال (جون جي بوشنك) يفتش منطقة معينة في الحرب العالمية الأولى وجد أن أحد المشاريع لم تكن تجري

بالطريقة المتوخاة ولو أنه كانت لدى الملازم المسؤول خطة جيدة .

سأل الجنرال بوشنك الملازم عن الراتب الذي يتقاضاه فأجاب الملازم راتبي هو ١٤١,٦٧ دولار في الشهر سيدي فقال له الجنرال : تذكر بأنك تتقاضى ١,٦٧ دولار عن وضع خطتك وإصدار الأوامر ، وتتقاضى ١٤٠ دولار للاشراف على تنفيذها . أما نابليون فيرى بأن القائد الأعظم هو ذلك القائد الذي لم يرتكب إلاَّ القليل جداً من الأخطاء العسكرية .

ويورد نابليون درساً تعلمه القادة على مدار ثلاثة آلاف عام من التاريخ العسكري .

وخلاصة ذلك الدرس (أنه لا ينبغي للقادة الذين يحرصون على سلامة أنفسهم أن يفوزوا في أي حرب يخوضونها) . أما القائد في قاموس اكسفورد فهو الرجل المختص بالاستراتيجية والمهارة العسكرية والإدارة المبدعة واللياقة والدبلوماسية .

متطلبات القيادة الحديثة :

١ ـ حزم القيادة وصلابتها وذلك بالقرارات الجريئة بحسم وصلابة مع ملاحقة تنفيذ الأوامر حتى يمكن الوصول إلى الهدف .
٢ ـ مرونة القيادة وذلك حتى يتلائم القائد مع المواقف القتالية المتغيرة والمفاجئة واتخاذ القرار في الوقت المناسب .
٣ ـ استمرار القيادة وذلك بالتأثير الدائم على سير الأعمال القتالية لصالح تنفيذ القوات لمهامها بنجاح وذلك بمعرفة الموقف والظروف بدقة وعمق .
٤ ـ سرعة القيادة وذلك لكسب الوقت باتخاذ كافة التدابير المتعلقة بقيادة القوات عند إمداد وخوض المعركة ، وذلك برد الفعل السريع لدى القائد وهيئة أركانه أمام الأحداث الجارية .
٥ ـ مركزية القيادة وخاصة في الوصول للهدف المشترك وتوجيه كافة الإمكانيات وتنسيقها في الوصول لبلوغ الهدف الموضوع ولا تعني

المركزية التدخل في المرؤوسين في كل شيء وفي اتخاذ القرارات بدلاً عنهم .

٦ ـ سرية القيادة نظراً إلى ازدياد المفاجأة والاستطلاع لدى العدو فيجب أن تكون المكتومية عامل مهم وذلك بوضع نظام وقيود مفروضة على المحادثات اللاسلكية (لأن الكلمة ملك الجميع) .

٧ ـ المبادهة والاستقلالية مع الإبداع الذاتي : وذلك بمعالجة المواقف المختلفة والطارئة بقرارات مناسبة وصائبة .

الفصل الثاني

مَفَاهِيمُ القِيَادَة فِي الإِسْلَام

الفصل الثاني
مفاهيم القيادة في الاسلام

القيادة في الإسلام كل من يتولى شيئاً من أمور المسلمين العامة فالخليفة وعماله وقواد الجيش والقضاة ، ورؤساء الشرطة والوزراء وغيرهم ممن يقومون بأعمال عامة في الدولة الإسلامية هم المعنيون بكلمة القيادة . وهم بما خولهم الله من سلطة وبما أعطاهم المسلمون من ثقة عليهم من العبء أكثر مما على غيرهم من المسلمين وهم للدولة الإسلامية كالقلب للإنسان إذا صلحوا صلحت الأمة وإذا فسدوا كان القضاء الذي لا قيام بعده ، حتى يعودوا إلى شرع الله .

ولا يمكن أن تقوم دولة بغير قيادة ولا قيمة للقيادة بدون جنود لهذا كانت القيادة والجندية في الإسلام أمراً لا مفر منه ولا غنى عنه . والقائد في الإسلام صاحب مدرسة ورسالة وهذا ما أكده اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه (المدخل إلى العقيدة العسكرية) (إن القائد المسلم صاحب مدرسة ورسالة ، ويدرك تمام الإدراك أن قيامه باعداد أجيال من القادة ، من أسمى واجباته ، وأمانة في عنقه ، فنراه يقبل على أداء الواجب وعلى الوفاء بالأمانة ، بكل حماس وإخلاص وحيوية دافقة . . ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة . فلقد كان الرسول الكريم هو المعلم الذي تنزل عليه الوحي برسالة الإسلام ليبلغها للناس ، وصاحب المدرسة التي تخرج فيها قادة أمم ، وأبطال حرب ، ورجال إصلاح وعلماء وفلاسفة ، ورواد حضارة . . .

ولم يكن هذا الإنجاز الرائع أمراً يسيراً أو هيناً ، يكفي أن نقارن بين حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعد الإسلام حتى ندرك السر في ذلك التحول الكبير .

فلقد حمل الرسول الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وجاهد حق الجهاد ، فكانت مدرسته خير مدرسة وحدت بين الناس وجمعت قلوبهم على الحق ، وقادتهم إلى الخير وحملت مشاعل الحرية والنور والحضارة للإنسانية جمعاء ، وحقق العرب بعد الإسلام فتوحات امتدت ـ في أقل من مائة عام ـ من سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً ومن الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً) .

إن الصراع بين الحق والباطل معركة دائمة ومستمرة لا تنتهي أبداً ومكان القائد المسلم أن يكون دائماً في جانب الحق وأبناء الإسلام في جاهد دائم لا ينقطع لتحقيق كلمة الله في الأرض .

والأمة الإسلامية مكلفة برفع الظلم عن الأفراد والجماعات في أقطار الأرض بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأديانهم لتحقيق العدالة في الأرض قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

ولقد كان القائد المسلم صاحب عقيدة قتالية هدفها إعلاء كلمة الله ويكفي قول خالد بن الوليد إلى حامل البريد الذي جاء بأمر العزل (بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلني عن القيادة ولكنه لا يملك أن يجردني من سيفي فسأظل حاملاً لهذا السيف في خدمة أمتي) .

لقد اهتز لهم ولاستشهادهم عرش الرحمن حدث ذلك عند استشهاد سعد بن معاذ في غزوة الخندق حينما أوحي إلى رسول الله ﷺ بسؤاله « من رجل من أمتك . مات الليلة اهتز لموته عرش الله ؟ من رجل من أمتك مات الليلة استبشر بموته أهل السماء ؟ وبالتأكيد لقد كانت حياتهم توبة مجاهد وصوت ضمير واستشهادهم ارتواء من نبع الخلود . ونذكر في هذا الفصل مفاهيم متعددة للقيادة في الإسلام كلها تهدف إلى تحمل أمر المسلمين ،

وتدبير أمورهم الدنيوية والأخروية في حماية الدين وسياسة الدنيا . فالقيادة في الإسلام يمثلها الخليفة أو الإمام المسلم ، والجنود هم الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية . وعلى هذا المفهوم كان لا بد أن أتناول الخلافة وأحكامها والبيعة وطرقها لإظهار معنى القيادة والجندية في الإسلام .

الخلافة :

تدل هذه الكلمة (كلمة خلافة) على أن قوماً يخلف بعضهم بعضاً في أمر من الأمور والمراد بها هنا خلافة رسول الله ﷺ في تحمل مسؤولية أمر المسلمين لتدبير أمورهم الدنيوية والأخروية في حماية الدين وسياسة الدنيا .

ويعرفها ابن خلدون بقوله (الخلافة : هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة . فهي ـ أي الخلافة ـ في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) .

ويقول الشيخ محمد الخضري في كتاب إتمام الوفاء « وقد اشتمل هذا الدين على قوانين بها صلاح المجتمع الانساني في الدنيا والآخرة فبلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة كما حمل ، ثم لحق بربه راضياً مرضياً ، فكان لا بد للناس من إمام يخلفه في حمل الكافة على اتباع هذا الدين ليقف كل إنسان عند حده فيتساوى القوي والضعيف والشريف والوضيع أمام الحق . فهو خليفة رسول الله ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا) . وانحصرت الخلافة في قريش لدرجة أن البعض اعتقد أن الخليفة يجب أن يكون قرشياً وأن الحاكم يجب أن يكون من قريش وبقيت الخلافة في قريش في عهد الخلفاء الراشدين ثم عهد الأمويين ثم عهد العباسيين . وبعد انتهاء الخلافة العباسية لم يتجرأ أحد أن يتلقب بخليفة وكانوا يلقبون أنفسهم بالسلاطين وذلك استناداً إلى حديث رسول الله ﷺ إذ يقول : « الأئمة من قريش » وقال : « قدموا قريشاً ولا تقدموها » .

وهذا ما أكده إمام الحرمين بقوله : « ومن شرائطها عند أصحابنا أن

يكون الإمام من قريش » .

أما الخليفة فيجب عليه أن يحرس الدين ويطبق الشريعة الإسلامية كما جاءت في القرآن والسنة وليس له أن يحيد عنها أو يتجاهلها كما عليه أيضاً الواجبات الدنيوية بسياسة الدولة وسياسة الدنيا . وهذه الأمور تخضع للإجتهاد بما تمليه المصلحة العامة وهذا ما أكده الدكتور محمد السيد الوكيل في كتابه (القيادة والجندية في الإسلام) إذ يقول : (وأما أمور الدنيا وسياسة الدولة فتلك قضية تخضع للاجتهاد بما تمليه مصلحة الأمة وتحقيق الخير للناس ، إذ ليس هناك قواعد ثابتة ألزمنا بها الدين في إدارة الدولة ، اللهم إلاَّ القواعد العامة التي تحقق المصالح وتجلب الخير وتدفع الشر ، وترد كيد الأعداء والقواعد العامة التي تضمن للأمة ذلك تتلخص فيما يأتي :

١ ـ المحافظة على وحدة الأمة وقوتها .
٢ ـ جلب المصالح ودرء المفاسد .
٣ ـ إرهاب الأعداء وتخويفهم حتى لا يكونوا عقبة في وجه الدين .

ويضيف قائلاً :

إن مهمة الخليفة في الإسلام هي تطبيق الشريعة الإسلامية والمحافظة على نظام الدولة موافقاً للكتاب والسنة فكتاب الله دستورها وسنّة رسول الله رائدها وسيرة الخلفاء الراشدين دليلها ، والمحافظة على وحدة الأمة وقوتها وجلب المصالح ودرء المفاسد وإرهاب الأعداء مهمتها .

وقد ابتدأت هذه الرسالة حين استخلف الله في الأرض بقوله تعالى : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾[1] وقوله أيضاً : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾[2] .

---

(١) البقرة ٣٠ .
(٢) النور ٥٥ .

الإمامة

الإمامة :

هي تحمل مسؤولية أمر المسلمين لتدبير أمورهم الدنيوية والأخروية ولقد ازدادت هذه الرسالة وتوثقت حيث قال المولى عزَّ وجلَّ لابراهيم عليه السلام : ﴿ **إني جاعلك للناس إماماً** ﴾[1] وأصبح المسلم مكلفاً بها قال الله عزَّ وجلَّ لمحمد ﷺ : ﴿ **يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾[2] وقد عرفت الإمامة أيضاً من قبل الماوردي بقوله[3] : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة . . . موضوعة لحراسة الدين والدنيا وهي نظام واجب بالإجماع ، يقيمه[4] بعضهم على العقل ، وذلك لأنه لولاه لكان الناس فوضى مهملين ، وهمجاً ضائعين ويقيمه بعضهم على الشرع دون العقل ، وذلك لأن أول اختصاص للخليفة حفظ الشرع ، فتعيين الإمام واجب حتم على الجماعة الإسلامية . والقرآن يوصي بطاعة ولي الأمر ، وإذن فمصدر سلطة الإمام هو

---

(١)سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٣) الخلافة والإمامة ص ٢٤٣ .

(٤) أي هذا النظام .

الله ـ تبارك وتعالى)[1] .

أما الإمام فهو من يؤم الناس ويقتدي به في أمور الدين والدنيا والمراد به هنا إمام المسلمين وحاكمهم .

ويقول الأستاذ العقاد في هذا المفهوم (من أدل الكلمات على معناها كلمة الإمام ، وقد تدل الشروط المطلوبة ممن يتولى الإمامة بإجمال لا يحتاج إلى تفصيل طويل ، فالإمام هو الذي يؤم الناس في إقامة الأحكام والشروط المطلوبة منه تجتمع في القدرة على إقامتها فكل قادر على أن يؤم الناس ، ويحفظ الأحكام فهو صالح للإمامة في الإسلام)[2] .

تنصيب الإمام :

لقد أمر رسول الله ﷺ بتنصيب الإمام في الجماعة الصغيرة بقوله ﷺ : (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[3] وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : (لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة من الأرض إلاَّ أمروا عليهم أحدهم)[4] ويعلق ابن تيمية رحمه الله على ذلك بقوله : « فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً على سائر أنواع الاجتماع » . ثم يقول : « فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات »[5] .

ما يشترط في الإمام :

ويشترط في الإمام شروط متفق عليها ، وشروط انفرد بها بعض العلماء . فأما المتفق عليها :

---

(١) (٢) الديمقراطية في الإسلام ص ٦٧ .
(٣) رواه أبو داوود .
(٤) مسند الامام أحمد .
(٥) السياسة الشرعية ص ٧٧ .

١ ـ العلم .
٢ ـ العدالة .
٣ ـ الكفاية .
٤ ـ سلامة الحواس .

يقول الشيخ الخضري : « لا بد لمن يتولى هذا المنصب العظيم أن يكون جامعاً لشروط أربعة : العلم لأنه منفذ لأحكام الله ، ومتى كان جاهلاً بها لا يمكنه تنفيذها .

العدالة : لأن الإمامة منصب ديني ينظر في سائر الأحكام التي تشترط فيها العدالة فكانت أولى باشتراطها .

الكفاية : بأن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلاً يحمل الناس عليها عالماً بأحوال الدهاء قوياً على معاندة السياسة ليصلح له بذلك ما أسند إليه من حماية العدو وجهاد العدو ، وإقامة الأحكام ، وتدبير المصالح .

وأيضاً أن يكون الإمام سليم الحواس والأعضاء مما يؤثر فقدانه في الرأي والعمل ، ويلحق بذلك العجز عن التصرف لصغر و أسر أو غيرهما »[1] .

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب : « يرى ابن خلدون ويشاركه في هذا الرأي العلماء من المسلمين أنه لا بد أن تتحقق فيمن يرشح للخلافة على المسلمين أربع صفات هي : العلم ، العدالة ، الكفاية ، سلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل »[2] .

ويرى إمام الحرمين (الجويني) استبدال شرط الاجتهاد بشرط العلم ويزيد على الشروط التي ذكرت شروطاً أخرى هي :

---

(١) إتمام الوفاء .
(٢) الخلافة والإمامة ص ٣١٩ .

١ ـ الإسلام .
٢ ـ الحرية .
٣ ـ الرجولة .

أما بالنسبة لشرط الاجتهاد فقد جاء بتفسيره في كتاب الخلافة والإمامة : « من شرائط الإمام أن يكون من أهل الاجتهاد ، بحيث لا يحتاج إلى استفتاء غيره في الحوادث ، وهذا متفق عليه ، ومن شرائط الإمام أيضاً أن يكون متصدياً إلى مصالح الأمور ، وطبها وذا نجدة في تجهيز الجيوش وسد الثغور ، وذا رأي حصيف في النظر للمسلمين ، لا تزغه هوادة نفس وخور طبيعة من ضرب الرقاب والتنكيل بمستوجبي الحدود ، ويجمع ما ذكرناه الكفاية وهي مشروطة إجماعاً » .

كيفية اختيار الإمام[1] :

يختار الإمام بإحدى طرق ثلاث كلها كانت سبيلاً لاختيار الخليفة في عهد السلف والخلفاء الراشدين :

○ **الأولى** : مبايعة أغلبية أهل الحل والعقد في بلد الإمام . وأهل الحل والعقد هم « كبار الصحابة رضي الله عنهم الذين امتازوا بكثرة الصحبة ، فاستنارت بصائرهم ، وعرفوا من يصلح للأمة ، وهذا في العصر الأول ، وينزل منزلتهم فيما بعده من العصور من له سابقة خير في الإسلام »[2] وهذه الطريقة هي التي اختار المسلمون بها الخليفة الأول .

○ **الثانية** : تعيين الخليفة قبل وفاته لمن يخلفه ، كما فعل أبو بكر (رضي الله عنه) في استخلاف عمر (رضي الله عنه) وذلك لأن طاعة الإمام واجبة حتى بعد وفاته ، يقول الخضري في كتاب إتمام الوفاء « وليست الطاعة للإمام في حياته فقط ، بل وبعد وفاته . فإذا عهد لأحد المؤمنين بالخلافة ، انعقدت له ووجبت مبايعته ، فصار واجب الطاعة وقد فعل ذلك أبو بكر لعمر

---

(١) القيادة والجندية في الإسلام ـ الدكتور محمد السيد الوكيل .
(٢) إتمام الوفاء ص ١١ .

(رضي الله عنهما) فأجازه المسلمون »[1] .

○ **الثالثة** : حصر الشورى في عدد مخصوص من ذوي الحل والعقد على أن ينتخب أغلبيتهم الخليفة ، كما فعل عمر لعثمان رضي الله عنهما .

هذه هي الطرق الثلاث التي يتم بها انتخاب الخليفة ، وهي محصورة في الشورى العامة ، أو الشورى الخاصة ، أو ولاية العهد .

يقول الخضري : « وبقيت كيفية رابعة أقر العلماء بعد العصر الأول على انعقاد الإمامة بها ، وهي : كيفية التغلب وتكون حينما لا يكون للمسلمين إمام ، واختلفوا فيما بينهم فلم يرضوا واحداً منهم ، فيجوز لمن يعرف من نفسه القدرة على سياسة الأمة بدرايته و وعصبيته أن يطلب هذا الأمر فيدخل الناس في طاعته إما طوعاً وإما كرهاً ومتى هدأت الأحوال ، وأجيب نداؤه صارت خلافته معمولاً بها ، وصار واجب الطاعة »[2] وهذه الكيفية لا تقبل إلاَّ في حالة الضرورة . ويرى إمام الحرمين أن الخلافة تنعقد ببيعة الواحد فيقول : « اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ، ولم يتأن لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار ، ولم ينكر عليه منكر ، ولم يحمله على التريث حامل . فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة ، لم يثبت عدد معدود ولا حد محدود ، فالوجه الحكم بأن الإمامة لا بد أن يكون بمشهد من الناس ، حتى لا يدعيها مدع من غير وجه حق زاعماً أنه بويع سراً .

يقول الجويني : ثم قال بعض أصحابنا : لا بد من جريان العقد بمشهد من الشهود ، فإنه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدعى مدع عقداً سراً متقدماً على الحق المظهر المعلن .

---

(١) إتمام الوفاء ص ١١ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢ .

وليست الإمامة أحط رتبة من النكاح ، وقد شرط فيه الإعلان ولا يبلغ القطع ، إذ ليس يشهد له عقل ولا يدل عليه قاطع سمعي ، وسبيله سبيل سائر المجتهدات »[1] وأرى أن تضعيف الإمام الجويني لشرط الإعلان ليس صحيحاً ، لأن الدعوى التي ذكرها الإمام في بداية كلامه قائمة لم تزل .

(١) الإرشاد ص ٤٢٦ .

البيعـة

البيعة : إعطاء العهد على السمع والطاعة لـلأمير والـوالي المسلم يقول ابن خلدون : « البيعة هي العهد على الطاعة ، لأن المبايع يعـاهد أميـره على أن يسلم لـه أمر النـظر في أمر نفسـه وأمور المسلمين ، لا ينـازعه في ذلـك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره »[1] ويقول :

« وكانوا إذا بايعوا الأميـر ، وعقدوا عهـده جعلوا أيديهم في يـده تأكيـداً للعهد ، فأشبه ذلك كلاً من البائع والمشتري فسمي بيعة »[2] .

إن الإمـام المسلم وكيل عن الأمـة في تدبيـر شؤونها الـدنيويـة وفي كل واجبـاتها وأعمـالها ، والنهـوض بها لـلإمـام في كـل جـانب خيـر من جـوانب الحيـاة ، ولكن ليس من حق الأمـة أن تنتـزع وكـالتهـا منـه ، يقـول الأستـاذ عبـد الكريم الخـطيب : « إن عقد البيعـة يضع بين يـدي الإمام سلطة مـطلقة وسلطانـاً متمكناً ، إذ يجمـع بين يديـه كل مـا للدولة من مـال وجند وهـو بقوة المال والجند يحكم ويتسلط ، ولا وازع له إلاَّ ما في ضميـره من دين . وما في قلبه من إيمان ، قل ذلك أو كثر »[3] إن البيعة بين الإمـام والرعيـة تعتبر عقـداً خـاصاً وليس عقـد بيع أو عقـد وكالـة ، الأمة فيـه هي الأصيل ، والإمـام هـو

---

(١) (٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٢ المطبعة الشرقية .

(٣) الخلافة والإمامة ص ٢٧٧ .

الوكيل وليس من حق الأصيل في هذا العقد أن يعزل الوكيل في أي وقت يشاء ولكن عزله يكون في حالة خاصة نص عليها الشارع « إلاَّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان » والبيعة في الإسلام واجبة على كل مسلم روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (ومن بايع إماماً لزمته طاعته ما استطاع ، والدفاع عنه ، وعدم تركه لعدو أو لمن يريد الخروج عليه ، وهو مطالب شرعاً بالقتال دون إمامه ، وقتل من يخرج عليه ، لأن في ترك ذلك فساد الناس وضياع الحقوق ، وإضعاف الأمة مما يؤدي إلى استهانة أعدائها بهم ، وتجرئهم عليهم ولذلك أمر رسول الله ﷺ أمراً صريحاً بقتل من يشق عصا الطاعة ، ويفرق الجماعة : وينازع الإمام الإمارة. عن عرفجة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)[1] .

وهذا ما أكده الدكتور محمد السيد الوكيل بقوله : (وذلك لأن السلطان ظل الله في الأرض يفيء إليه المظلومون ويلجأ إليه المستضعفون ، فإن امتهن السلطان وجرؤ الناس عليه يلوكونه بألسنتهم إن شاءوا ، ويجرحونه في مجالسهم إذا أحبوا ، وخرجوا عليه بسيوفهم متى أرادوا لم يعد للسلطان المهابة التي تجعله ظلاً لله في الأرض ، وعندئذٍ فلا يجد المظلوم من يأوي إليه ، ولا يعرف المستضعف من ينصره ، فيصبح الناس فوضى ، يروعهم كل صائل ، ويفزعهم كل جائر ، من غير أن يجدوا من يرد الصائلين ، ويدفع الجائرين) .

ولعل هذا السر في أن أبا بكر (رضي الله عنه) ردع أبا بلال عندما تهكم على ابن عامر ، حين صعد المنبر وعليه ثياب رقاق وأسكته ، ولم يقبل منه كلاماً على الأمير ، ولو كان مظهر الأمير غير لائق .

---

(١) صحيح مسلم .

روى الترمذي عن زياد بن كسيب العدوي قال : كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر ، وهو يخطب . وعليه ثياب رقاق ، فقال أبو بلال : انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق فقال أبو بكرة : أسكت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله »[1] وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : إن السلطان ظل الله في الأرض ، يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإذا عدل كان له الأجر ، وعلى الرعية الشكر وإذا جار كان عليه الأصر وعلى الرعية الصبر »[2] .

طاعة الإمام :

فإذا تمت بيعة الإمام على نحو صحيح لزم المسلمين طاعته فيما يأمر به قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[3] .

وعن علي كرَّم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : لا طاعة في معصية ، إنما الطاعة في المعروف)[4] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « السمع والطاعة على العبد المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية . فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[5] .

وروى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »[6].

أما موضوع الخروج على الإمام وعزله فسنورده في هذا البحث كما جاء

---

(١) سنن الترمذي .
(٢) شعب الإيمان للبيهقي .
(٣) سورة النساء الآية ٥٩.
(٤) متفق عليه (البخاري ومسلم) .
(٥) متفق عليه (البخاري ومسلم) .
(٦) صحيح البخاري .

في كتاب القيادة والجندية في الإسلام[1] .

وذلك بقوله بأنه لا يجوز الخروج على الإمام ما دام يقيم الصلاة ولو ظهرت منه بوادر المخالفات من معصية الله تعالى وواجب المسلم حينئذٍ أن ينكر ما يرى من المعصية ولا يخرج على إمامه حتى لا يشق عصا الطاعة ، ويفرق الجماعة ، وواجبه كذلك أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأن يقدم النصح ما وسعه ذلك . روى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي عن رسول الله ﷺ قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ، ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ، ويلعنونكم » قال : قلنا يا رسول الله أفلاننا بذهم عن ذلك ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، إلاَّ من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ، فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزع يداً من طاعة »[2] .

وروى عن أم سلمة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برىء ، ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع » قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلوا لا ما صلوا »[3] .

وروى عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء » ؟ قلت : أما والذي بعثك بالحق ، أضع سيفي على عاتقي ، ثم أضرب به حتى ألقاك ، قال : أولا أدلك على خير من ذلك ؟ تصبر حتى تلقاني »[4] .

ومن مجموع هذه الأحاديث الصحيحة نفهم أنه لا يجوز الخروج على الإمام الذي انعقدت له البيعة صحيحة ، وكان مستوفياً للشروط ما دام يقيم

---

(١) لمؤلفه الدكتور محمد السيد الوكيل .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح مسلم .
(٤) سنن أبي داود .

الصلاة ، فإن ترك الصلاة وجاهر بالفسق ، ينصح ويحذر ، ولا يجوز الخروج عليه .

ورأى جماعة من العلماء الخروج عليه ، لأن عدم الخروج مشروط في الأحاديث السابقة بعدم ترك الصلاة ، فإن تركها استوجب الخروج .

وجمهور العلماء على عدم الخروج على الإمام إلاَّ أن يجاهر بكفر صريح ، فعندئذٍ يجب منابذته والخروج عليه لما ورد في الأحاديث الصحيحة .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم ، وفي رواية : وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، إلاَّ أن تروا كفر بواحاً عندكم من الله فيه برهان »[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة فيموت إلاَّ مات ميتة جاهلية »[2] .

والشيخ الخضري يرى أنه لا يجوز الخروج على الإمام مهما فعل إلاَّ في حالة الكفر الصريح فيقول : « أما إذا خرج هو في أعماله عن حد الشرع بأن ظلم أو استأثر بالحقوق ، أو فسق بشرب الخمر أو ترك الصلاة مثلاً ، فالواجب على المسلمين القيام بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، عملاً بحديث عبادة « وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم بشرط ألا يؤثر ذلك في طاعته شيئاً ، فلا يجوز الخروج عليه ، وإشهار السلاح في وجهه أبداً مهما استأثر أو فعل ، إلاَّ إذا ظهر منه كفر صريح ، لا تأويل فيه ، ففي حديث عبادة : « إلاَّ أن تروا كفراً

---

(١) البخاري ومسلم .

بواحاً » وهنا لا إمامة ولا طاعة ، بل يجب على كل مسلم القيام ضده حتى يبوء بالخزي والنكال ، وقد كان أكثر الصحابة الذين في عهد يزيد على هذا المبدأ فلما شهد يزيد بما شهد به لم يجز أحد الخروج عليه إلاَّ الحسين بن علي رضي الله عنه »[1] .

عزل الإمام :

نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون لما نقول أن الإمام إذا تم اختياره بالطريق المشروع ، ووفى بوعده مع الله عزَّ وجلَّ فلم يخالف حكمه ، ولم يهمل شيئاً من شريعته وصدق مع الأمة ، فلم يحف ولم يجر ، وأعطى كل ذي حق حقه ، كان لزاماً على الأمة كلها طاعته ، من بايع منهم ، ومن لم يبايع من حضر اختياره ومن لم يحضر ، من رضي به ومن لم يرض .

إن مؤرخي السيرة وكتاب التاريخ مجمعون على أن الذين بايعوا أبا بكر رضي الله عنه هم الذين كانوا في المدينة المنورة عند البيعة ، وأن من كان خارج المدينة عندئذٍ لم يكن منهم بيعة معلومة ، حيث كان يتعذر بيعة الجميع لتعذر حضورهم إلى المدينة لبيعته ، ولم يشتهر أنهم أرسلوا رسلاً ليبايعوا عنهم .

كما أن كثيراً من المؤرخين متفقون على أن سعد بن عبادة وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء ابن عازب وأبي بن كعب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها هؤلاء جميعاً لم يبايعوا أبا بكر رضي الله عنه ولم يرضوا ببيعته هذا ما حصل في بيعة أبي بكر رضي الله عنه ومع ذلك لم يرو لنا واحد فقط من المؤرخين مسلماً كان أو غير مسلم موالياً كان أو غير موال أن أحداً ممن تخلفوا عن البيعة أو أحداً ممن لم يرضوا عن البيعة خرج على أبي بكر أو ناهضه بالسيف ، أو خالف له أمراً كلفه به ، هذا هو واقع المسلمين بعد تمام بيعة أبي بكر رضي الله عنه .

---

(١) إتمام الوفاء.

يقول الأستاذ هيكل : « على رغم هذا الخلاف بين الرواة في أمر البيعة ، واشتراك بني هاشم وسائر المهاجرين فيها ، أو تخلف جماعة منهم عنها ، فالاتفاق تام على أن أبا بكر ولى الأمر بعد الرسول ﷺ غير منازع منذ اليوم الأول ، ولم يذكر أحد من القائلين بالتخلف عن بيعته أن أحداً من بني هاشم أو من غيرهم حاول أن يثير ثائرة مسلحة أو هم بمناهضة الخليفة الأول »[1] .

ثم يقول : « أياً كان السبب الذي دعا المسلمين لبيعة أبي بكر بالخلافة يوم وفاة النبي ، فالثابت أنه لم يناهضه أحد ولم ينضم إلى من تخلف عن بيعته أحد »[2] .

والمشهور أن المسلمين جميعاً التزموا ببيعة أبي بكر ، ولم يخرج واحد منهم عنها ، حتى لما كانت فاطمة رضي الله عنها تمر بمجالس الأنصار تطلب منهم النصرة كانوا يردون بأنهم التزموا بالبيعة السابقة لأبي بكر .

يقول الدكتور هيكل : « خرج عليّ محنقاً غاضباً ، فذهب إلى فاطمة فخرج بها من دارها ، فحملها على دابة ليلاً ، فأخذ يطوف بها مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : « يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به »[3] .

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه لما زحف مانعو الزكاة على المدينة دعاه أبو بكر رضي الله عنه لحراسة المدينة وصد الزاحفين ، فلبى ولم يمتنع وهو الذي لم يبايع أبا بكر ، وبات ليلته حارساً على باب من أبواب المدينة .

هكذا وجد المسلمون أنفسهم ملزمين بالوفاء ببيعة مضت منهم لأبي بكر

---

(١) (٢) الصديق أبو بكر ص ٧٩ .
(٣) المرجع نفسه ص ٧٥ .

رضي الله عنه وإن وجدوا من هو أحق بالخلافة وهو صهر رسول الله ﷺ وابن عمه .

إذن فمتى ينفض المسلمون أيديهم من بيعة الخليفة دون مسؤولية أمام الله تعالى ؟ ومتى يعزلون إمامهم ما دامت البيعة ملزمة لهم إلى هذا الحد ؟؟

إن المسلمين يستطيعون أن يغسلوا أيديهم من بيعة تمت ومضت لإمام منهم دون مسؤولية أمام الله تعالى إذا خرج الإمام على مبادىء الدين ، وجاهر بعداوته للإسلام ، ويستطيعون أن يعزلوا إمامهم ، ويتخلصوا منه إذا أعلن كفراً بواحاً لا يحتمل الشك ولا التأويل .

تلك هي الحالة التي أجمع المسلمون على وجوب عزل الإمام فيها ، وليس هناك حالة ثانية لها ، أخذاً من النصوص الصريحة الصحيحة التي جاءت في الموضوع ، والتي عبر عنها حديث عبادة ابن الصامت الذي رواه البخاري ، والذي جاء فيه : « وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، إلَّا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله فيه برهان » .

فما لم نر كفراً بواحاً لدينا براهينه من الله عزَّ وجلَّ لا يجوز لنا الخروج على الإمام ، بل علينا أن نصبر ونحتسب ، فقد جاء في حديث عوف بن مالك الذي رواه مسلم في صحيحه : إلَّا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة » وفي حديث ابن عباس الذي رواه البخاري « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر » .

ولكن بعض العلماء ومنهم إمام الحرمين الجويني يرون أن الفسق والتغيير والفجور والخروج على سمت الإمامة مجوز لخلع الإمام ، يقول لجويني : « من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت ، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر ، وهذا مجمع عليه .

فأما إذا فسق وفجر ، وخرج عن سمت الإمامة بفسقه ، فانخلاعه من غير خلع ممكن ، وإن لم يحكم بانخلاعه . وجواز خلعه ، وامتناع ذلك ، وتقويم أوده ممكن ما وجدنا إلى التقويم سبيلاً ، وكل ذلك من المجتهدات

عندنا فاعلموه .

وخلع الإمام نفسه من غير سبب محتمل أيضاً ، وما روى من خلع الحسن نفسه ، فذلك ممكن حمله على استشعاره عجزاً من نفسه ، ويمكن حمله على غير ذلك »[1] .

من هذا العرض السريع والصريح نرى أن خلع الإمام وعزله أمر صعب جداً ، وأن الخروج عليه ومحاولة شق عصا المسلمين ، وتفريق أمرهم جريمة لا يبيحها إلاَّ الكفر البواح ، أو العجز عن تقويمه من فسق جاهر به ، وعلى المسلمين أن يصبروا حتى يهيء الله لهم مخرجاً ، ذلك لأن الصبر على الإمام الفاسق الذي يجمع كلمة المسلمين ويحمي دولتهم ، ويدفع عنهم عدوهم ، خير من وقوع المسلمين فريسة لعدو كافر ، لا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة يستحل حرماتهم ويستبيح ديارهم ، ويذل عزيزهم .

ولذلك لما سُئِلَ الإمام أحمد عن إمامين أحدهما ضعيف تقي ، والآخر قوي فاجر ، مع أيهما نقاتل ؟

قال : أما الضعيف التقي فتقواه لنفسه وضعفه على المسلمين ، وأما القوي الفاجر ففجوره على نفسه ، وقوته للمسلمين .

من أجل هذا رأى جمهور علماء المسلمين ، وتؤيدهم النصوص الصريحة في الأحاديث الصحيحة أن المسلمين في هذه الحالة يلزمون الصبر على الإمام ، ولو كان فاسقاً ولا يعزلونه لأن عزله يؤدي إلى تفريق كلمتهم ، وتشتيت شملهم ، وهذا هو ما حدث يوم خرج بعض السفهاء من المسلمين على الإمام المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث خرجوا عليه لهوى في نفوسهم ولم يكن هناك ما يبيح عزله قط ، ى لا سيما وقد برر لهم رضي الله عنه ما حاك في صدورهم ، ورد عليهم كل شبهة في نفوسهم ، وأثبت لهم براءته من كل ما نسب إليه ، ولولا الهوى المتسلط ، والنزوات المتحكمة ،

---

(١) الإرشاد للجويني ص ٤٢٥ .

لما حدث للإمام المظلوم ما حدث ولما وقعت تلك الفتنة التي فرقت كلمة المسلمين ، وأوقفتهم صفين متنازعين يقتل بعضهم بعضاً .

فحذار أن تتكرر المحنة إذا اجتمع الشمل ، وحذار أن نقع في الورطة وقد التأم الصدع ، فإن أخوف ما نخافه اليوم على المسلمين أن يخرج من بينهم من يجرح إمامهم ، ويلوكونه بألسنتهم ويثيرون عليه العامة ، وينفخون في آذنهم سمومهم فتنقاد لهم النفوس المريضة وتلهث وراءهم القلوب الضعيفة ، فتتجدد محنة الإمام المظلوم ، وينال المسلمون من شرها ما هم عنه أغنياء وعندئذٍ لا ينفع البدم ، ولا تفيد الحسرات .

ومن أجل هذا قال أبو بكرة لأبي بلال عندما تناول الأمير بلسانه قال له : اسكت ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله » .

ونستنبط من هذا أن الإمام لا يجوز خلعه أو الخروج عليه إلاَّ في حالتين :

الأولى : الكفر البواح الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة التي لا تحتمل التأويل .

الثانية : المجاهرة بالفسق وعدم قبول النصح والتقويم .

ويشترط في هذه الحالة أمن الفتنة ـ بحيث لا يترتب على خلعه اضطراب الأمن ، وضياع الدولة ـ كما يشترط وجود إمام تتوفر فيه الشروط السابقة أو أكثرها بحيث يكون في تنصيبه تقوية الدولة وتدعيمها وحفظ الأمن فيها[1] .

ولذا فإن ابن عمر ـ فقيه الأمة ـ وابن عباس ـ حبر الأمة ـ قد بايعا

---

(١) ذكر بعض العلماء حالة ثالثة يجوز خلع الإمام فيها وهي عجزه عن القيام بواجبه .

يزيد بن معاوية ، ولم يخرجا عليه . روى العصامي ، أن ابن عمر وابن عباس كانا بمكة ، ورجعا إلى المدينة فلقيا الحسين وابن الزبير فأخبراهما بموت معاوية وبيعة يزيد ، فقال ابن عمر : لا نفرق جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة ، وبايعا عند بيعة الناس[1] .

(١) سمط النجوم العوالي ج ٢ ص ٥٦.

الفصل الثالث

المبادئ الحربية التي طبقها الرسول القائد وأصحابه

الفصل الثالث
المبادىء الحربية التي طبقها الرسول القائد وأصحابه

لا بد لنا في هذا الفصل أن نعرف ماهية الحرب أولاً ثم ننتقل إلى معرفة مبادئها بالتفصيل .

(فطبقاً للقوانين الدولية تبدأ الحرب عندما تصل الاختلافات بين دولتين إلى النقطة التي يلجأ فيها كل منهما للقوة أو يقوم أحدهما بأعمال العنف والتي يعتبرها الآخر كخرق للسلام . فإن علاقة الحرب تكون قد تأسست حيث يمكن أن يقوم الخصمان باستخدام العنف المنظم ضد بعضهما وحتى ذلك الوقت الذي يمكن فيه إجبار أحدهما لقبول الشروط التي يضعها عدوّه) .

أما تعريف الحرب كما يراه كارل فون كلاوسويتز : (الحرب هي مجرد استمرار للسياسة بوسائل أخرى عنيفة ، وهي من أعمال العنف المقصود منها اجبار الخصم على العمل حسب إرادتنا) .

وتعريفها حسب قاموس ويستر بأنها (حالة من المنازعات المسلحة بين مجموعات سياسية ، مادية ، اجتماعية وخلاف بين قوى عقليّة أو قوى أخرى) .

وتعريفها كما تراه كلية الحرب الصينية الوطنية (بأنها عمل من أعمال النزاع المنظم بين مجموعات سياسية (دول) لإجبار الخصم على القيام بالعمل حسب ارادة الدولة السياسية) أما مبادىء الحرب فقد عرفت (بأنها

الجوهر الذي ينشىء في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب ، وهي العنصر الذي يتكون منه مسلك القائد في اعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة)[1] .

وقد عرفت أيضاً (بأنها دليل عسكري أساسي يزيد العمل به فرصة الحصول على نتائج أفضل إذا طبّق بشكل صحيح في الوقت المناسب وقد تكون حقائق أساسية تؤثر على تنفيذ الحرب)[2] .

أما التعريف المناسب لها كما أراه فهي (دلائل عقلية كتبت بالدم يمكن تطبيقها في كافة العمليات وعلى مختلف المستويات يمكن أن تأخذ منها الدول عقائد قتالية أو تعبوية تطبقها في قتالها مع اعدائها وذلك حسب المواقف والأحداث) .

وهنا ابين مبادىء الحرب المعتمدة لدى بعض الدول في وقتنا الحالي لنرى بأنها وجدت في ظل المدرسة العسكرية الإسلامية كما تظهر في الملحق «أ» .

وأود ثانياً أن أوضح أن هذه المبادىء التي نحن بصدد الحديث عنها لم تتوصل إليها كل القيادات العسكرية ، فكل منها ذهبت مذهباً وتمسكت ببعض منها دون الآخر . ومن هؤلاء القادة فون كلاوز تز Von Clausewitz وهندرسن Henderson وفوش Foch وغيرهم . كما تظهر في الملحق «ب» (مبادىء الحرب كما يراها بعض المفكرين العسكريين) .

---

(١) كتاب الرسول القائد ، محمود شيت خطاب .

(٢) نشرة كلية القيادة والأركان .

الملحق «أ»

مبادىء الحرب المستخدمة في بعض الدول

التسلسل	باكستان	الصين الشعبية	روسيا	بريطانيا	الولايات المتحدة			فرنسا	ألمانيا الغربية	اسرائيل
					الجيش	البحرية	الجو			
١	إدامة القصد	القصد من الحرب	التقدم والتماسك	انتخاب وإدامة القصد	الهدف	الهدف	الهدف	الرغبة في تحقيق قصد واحد	المهمة	انتخاب وادامة القصد
٢	العمل التعرضي	العمل التعرضي	التعرض	العمل التعرضي	التعرض	التعرض	التعرض	وحدة القوة والمصادر	العمليات التعرضية	العمل التعرضي
٣	الحشد	التفوق المحلي	الحشد	حشد القوة	التفوق	الحشد	الحشد	حشد القوات	جميع القوات المتوفرة	الحشد
٤	الاقتصاد بالجهد	—	الاقتصاد بالقوة	الاقتصاد بالجهد	الاقتصاد بالقوة	الاقتصاد	الاقتصاد	الاقتصاد بالقوة	—	الاقتصاد بالجهد
٥	قابلية الحركة	قابلية الحركة والمبادأة	المناورة والمبادأة	—	المناورة	قابلية الحركة	قابلية الحركة	—	قابلية الحركة	—
٦	وحدة القيادة	وحدة القيادة	الأسلحة المشتركة	التعاون	وحدة القيادة	—	التعاون	وحدة العمل	—	وحدة القيادة والتعاون
٧	الأمن	الأمن	—	الأمن	الأمن	الأمن	الأمن	—	الأمن	—
٨	المفاجأة	المفاجأة	المفاجأة والخدمة	المفاجأة	المفاجأة	المفاجأة	المفاجأة	المفاجأة	المفاجأة والخدعة	المفاجأة
٩	البساطة	—	—	—	البساطة	البساطة	البساطة	—	—	—
١٠	المعنوية	الثقة	المعنوية	ادامة المعنويات	—	المعنوية	—	قوة المعنوية	—	ادامة المعنويات
١١	الادارة	—	—	الادارة	—	—	—	—	—	—
١٢	—	المرونة	—	المرونة	—	—	—	حرية العمل	—	المرونة وقابلية الحركة

الملحق «ب»

مبادىء الحرب المقترحة من مختلف المفكرين العسكريين

المبـــــادىء	كلوزوتز ١٨٣٠	هندرسون ١٨٩٩	فورتش ١٩٠٣	كولين ١٩١٢	مواريس ١٩٢٩	مفكرة الحرب البريطانية ١٩٢٩	ليدل هارت ١٩٢٩	ليدل هارت ١٩٣٢	بورن ١٩٤٤	مونتغمري ١٩٤٥	ماكلين ١٩٤٨
الادارة										×	×
القوة الجوية										×	
الحشد ـ حشد القوة	×	×		×	×	×			×	×	×
التعاون (وحدة القيادة)					×	×			×	×	
(لا تطعن) لا تندفع إذا استطاع الخصم أن يتجنبك							×	×			
الاقتصاد في القوة			×		×	×	×		×		
استثمار افوز							×	×			
المرونة							×	×			×
حرية التصرف بالقوات			×								
حرية العمل			×								
قابلية الحركة	×			×	×	×			×	×	
المعنوية									×		
عدم تعزيز الفشل							×	×			
العمل التعرضي	×			×	×	×			×	×	×
الرأي العام	×										
المطاردة	×	×									
الأمن		×	×	×	×	×			×		×
انتخاب الهدف (القصد)	×			×		×	×		×		×
البساطة		×								×	
المفاجأة	×		×	×	×	×	×	×	×	×	×

التسلسل	باكستان	الصين الشعبية	روسيا	بريطانيا	الولايات المتحدة			فرنسا	المانيا الغربية	اسرائيل	الأردن
					الجيش	البحرية	الجو				
١٣	—	الجاهزية القتالية	—	—	—	الجاهزية	—	—	الاستخبارات والاتصالات	—	
١٤	—	—	الابادة	—	—	—	—	—	—	—	
١٥	—	—	الاحتياط	—	—	—	—	—	احتياط قوى		
١٦	—	—	—	—	—	استثمار الفوز	—	—	—	—	
١٧	—	الاتجاه المنفرد	—	—	—	—	—	—	—	الحرب الصاعقة	

ونجد أنا الإسلام قد جمع كل هذه المبادىء في حروبه وطبقها في معاركه ونفذها بجدارة وقدرة .

ولا بد أن نوضح أيضاً أن تطبيق هذه المبادىء في الحروب الإسلامية تم بمعرفة قادة نشأوا في البادية . . لم ينتظموا في كليات عسكرية تلقوا فيها مبادىء الحرب ولكنهم توصلوا إليها بفكر ناضج وإحساس صادق وبفطرة سليمة وتفهم كامل وإدراك واعٍ وقدرة فائقة تدل على استعدادهم الفطري الممتازة للقيادة وقد طبّق الرسول (عليه الصلاة والسلام) هذه المبادىء في معاركه كلها ، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته . وسنذكر بعض هذه الأمثلة ، للدلالة على تطبيق هذه المبادىء بكفاءة تدعو إلى الإعجاب .

١ ـ إختيار القصد وإدامته :

يجب توجيه كل عملية حربية نحو هدف واضح وحاسم . محدد جيداً ممكن التحقيق . ويجب أن يساهم هدف كل عملية في تحقيق هدف الحرب المستخلص من الاستراتيجية الوطنية وعلى جميع القادة فهم وتحديد الهدف وتقييم جميع الأعمال التي تطلب منهم نسبة لذلك الهدف .

(ويتم استخلاص هدف الحرب عادة من الاستراتيجية القومية ويكون الهدف على المستوى الاستراتيجي متوافقاً ومنسجماً مع جغرافية البلد ومعتقداتها وقدرتها الاقتصادية . فإذا كان هدف الحرب يتعارض مع معتقدات الأمة أو كان الهدف ليس ضمن القدرة الاقتصادية للأمة فإن ذلك قد يكلف الأمة غالياً .

أما الصورة على المستوى التعبوي فهي كما يلي :

أ ـ تستبدل الجغرافية بالأرض والطقس .

ب ـ تستبدل المعتقدات بالتدريب والعقيدة القتالية والتعبوية والتنظيم .

ج ـ تستبدل القدرة الاقتصادية بالقطعات ونظام التسليح والاتصالات والنقل)[1] .

(١) نشرة عن كلية القيادة والأركان .

كان الرسول ﷺ يختار قصده وهدفه بدقة ووضوح ويحدده ثم يفكر في افضل طريقة للوصول إليه ، ثم يقرر خطة مناسبة للحصول عليه .

لقد ظهر مبدأ (اختيار القصد) في أول معاهدة عقدها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة . ولنرى ماذا قررت من النواحي العسكرية :

أ ـ قيادة محمد رسو الله لكافة سكان المدينة مسلمين ومشركين ويهود . فإليه يرجع الأمر كله ، وله أن يحكم في كل اختلاف يقع بين السكان وبذلك أصبح محمد ﷺ هو القائد العام في المدينة .

ب ـ تعاون أهل المدينة جميعاً في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج .

ج ـ في حالة الحرب لرد العدوان عن المدينة ، تتولى كل طائفة الانفاق على نفسها « على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .

وبهذا العمل السياسي والاستراتيجي البارع ، حقق الرسول ﷺ وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية وجعل أهلها جميعاً على اختلاف دينهم يداً واحدة على اعدائهم .

ويظهر لنا في ذلك بأن من حق الرسول ﷺ أن تكون قريش (مقصده) النهائي الذي يختاره وعليه أن يوحد أهل المدينة جميعهم حتى يتسنى له أن يصل إلى هدفه النهائي ضد قريش التي اخرجته من بلاده ظلماً وعدواناً .

(ولعل من أبرز امثلة (اختيار القصد) . ما فعله الرسول في غزوة الحديبية ، فقد كان هدفه النهائي من تلك الغزة التأثير على معنويات قريش من غير قتال فخرج محرماً ، وتفادى بحنكته ومرونته الاشتباك مع قريش حتى وصل بقواته إلى الحديبية ، وبقي هناك مصراً على مقصده فأفسح المجال للمفاوضات ، والتي نتج عنها عقد هدنة بين المسلمين وقريش ، وكانت النتائج كالتالي كما وردت في كتاب الرسول القائد :

أ ـ اعتبار المسلمين كطرف مساوٍ لقريش ، وهذا اعتراف رسمي بدولة الإسلام

من أعدائها .

ب ـ الهدوء والأمن الذي سمح بحرية للدعوة وانتشار للإسلام .

ج ـ كسب المسلمون الرأي العام والتشهير بقريش لصدهم من البيت الحرام وهذا مما جعل القبائل تعطف وتساعد الإسلام تمهيداً لفتح مكة في المستقبل .

د ـ نجاح المسلمين في الحصول على الحياد المسلح .

٢ ـ العمل التعرضي :

يعني الروح الهجومية التي يتحلى بها القائد نحو مواجهة المواقف التي لا بد من وقوعها بقوة وإرادة مصممة على القتال . وهو ضروري لتحقيق النتائج الحاسمة وللحفاظ على حرية العمل . فالمهاجم أقوى من المدافع لأنه يمتلك زمام المبادرة ويتميز جنوده بالمعنويات العالية ويولد عندهم التفكير الخلاق بالنسبة للحرب كما ينتخب المهاجم النقطة المناسبة التي يهاجمها وبذلك يستثمر نقاط ضعف العدو ويواجه بحزم التطورات غير المتوقعة . أما بالنسبة للمدافع فيجب أن يكون قوياً في كل مكان لأنه لا يعرف من أين عدوه سيهاجمه .

ويمكن اعتبار كافة غزوات الرسول جميعها تعرضية ما عدا غزوتي أحد والخندق ، إذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم لمواجهة المسلمين .

والتعرض في دولة الإسلام ليس معناه الاعتداء والتحرش والتعطش لسفك الدماء بل المبادرة من قبل القائد لمنح قواته الحوافز المعنوية لمواجهة العدو بأقل وقت وأقل التكاليف وبأعلى كفاءة .

ويوضح محمد فرج في كتاب (المدرسة العسكرية الإسلامية) مفهوم التعرض في الإسلام بقوله :

(ففي عهد الرسول كان المسلمون في غالبية غزواتهم هم المهاجمون . وفي عهد أبي بكر هاجم المسلمون المرتدين ومانعي الزكاة .

وفي عهد عمر انتقلت الجيوش الإسلامية إلى خارج الجزيرة ، وكانت معاركهم كلها في أرض أعدائهم . ففي الشام حيث تقدموا من موقع إلى آخر ، من اليرموك إلى دمشق إلى حمص . . .

وفي العراق حيث إجتاحوا الأرض بمن عليها في مواقع متعددة بدأها خالد بن الوليد في الكواظم ، حيث تحقق أول انتصار على الفرس ، وأنهاها سعد بن أبي وقاص في المدائن حيث قضى على دولتهم ورفع راية الإسلام . وفي مصر وشمال أفريقيا حيث انتصر عمرو بن العاص في الفرما ثم توالت الانتصارات الإسلامية حتى دخل المسلمون بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد بلاد الأندلس .

وفي آسيا إذ وصلت الجيوش الإسلامية إلى بلاد السند والصين وانتشر فيها الإسلام . وإذا أردنا هنا أن نقدم أمثلة للتعرض الإسلامي فهذا يعني أن ننشر تاريخ الحرب في الإسلام . وأننا لنرجو ونحن نقول إن الإسلام استخدم مبدأ التعرض (أي الهجوم) ألاَّ يُفهم أن الإسلام كان معتدياً فالتعرض الإسلامي كان نوعاً من الدفاع عملاً بالمبدأ الذي يقول : « إن الهجوم هو خير وسائل الدفاع » .

كان دفاعاً عن الدين والوجود والكيان الإسلامي .

٣ ـ المفاجأة :

تعنى الظهور أمام العدو في وقت لا يقدره وبصورة لا يتوقعها وبأسلوب يجهله وتنتج عن ضرب العدو في مكان أو زمان أو طريقة بشكل لا يتوقعه أو بشكل هو غير مستعد له وهي من أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب لما لها من تأثير معنوي ونفسي على العدو . مما يجعل الاضطراب يدب في عمله وعقله وهناك عدة وسائل يمكن الحصول بها على المباغتة .

أ ـ كتمان الاستعدادات للخطط الحربية وذلك نتيجة السرعة والخدعة مع تطبيق القوة القتالية ، الاستطلاع الفعال .

ب ـ التنقل السريع للقطعات من نقطة إلى أخرى تمهيداً لانزال الضربة

على موضع لا يتوقعه العدو .

ج ـ استخدام الأرض الصعبة أو بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة للعبور أو في جبهة لا يقدر العدو أهميتها .

د ـ استخدام اسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب تعبوية جديدة ، أو بقوات كبيرة العدد لم تكن في الحسبان . وقد تكون المفاجأة تكتيكية في ميدان المعركة وقد تكون استراتيجية خارج ميدان المعركة .

ولا بد من معرفة العوامل التي تساعد في تحقيق المفاجأة ومن أهمها السرعة ، الخدعة ، السرية ، سهولة الحركة ، التفكير بكل الاحتمالات المتوقعة يقول مولتكه : (الأحظ أن هناك دائماً ثلاث طرق مفتوحة أمام العدو ولكنه يأخذ عادة الطريق الرابع) والمباغتة كان لها دور كبير في الحروب الإسلامية سواء في المكان أو في الزمان أو في الأسلوب .

فلقد أخفى رسول الله العظيم نواياه في غزوة فتح مكة حتى عن أهله وصديقه أبي بكر ، دخل أبو بكر على ابنته عائشة زوج النبي وهي تهيء جهاز الرسول ، فقال لها : « أي بنية ، أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز » . قال أبو بكر : « فأين ترينه يريد ؟ قالت : والله لا ادري .

بهذا الكتمان ، استطاع الرسول أن يحرّك جيشاً كبيراً من عشرة آلاف مسلم لفتح مكة دون أن تستطيع قريش معرفة وقت حركته ولا نواياه مما أنطق أبا سفيان فقال لقومه : « هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به » وكان من أثر المباغتة أن دخل المسلمون مكة دون قتال . فاضطرت قريش إلى التسليم .

وفي غزوة بني المصطلق فوجيء القوم بظهور الرسول أمامهم فغزوا ، وفي غزوة خيبر فوجيء الناس بوصول قوات المسلمين فهربوا وهم يتصايحون وقالوا : « محمد والله محمد والخميس معه »[1] ويؤكد محمود شيت خطاب

(١) الخميس : الجيش .

في كتابه الرسول القائد حول المباغتة في المكان بقوله : (في غزة بني لحيان تحرك الرسول بقواته شمالاً باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش وبنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي ، فلما انتشرت أخبار حركة المسلمين إلى الشمال ، عاد الرسول بقواته فجأة باتجاه بني لحيان وبذلك باغتهم في المكان) .

وفي غزوة خيبر تحرك الرسول إلى (الرجيع) قريباً من ديار غطفان (وبعد أن أرسل مفرزة صغيرة من قواته إلى معسكر غطفان ، عاد بقواته الرئيسية إلى خيبر وبهذه الحركة أوهم غطفان بأنه يريدهم وأوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم ، فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين) ومن أمثلة المباغتة في الأسلوب : (المباغتة في الخندق) حيث أقام المسلمون نوعاً جديداً من الدفاع كانت قريش وحلفاؤها يجهلونه ، لأن العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحماية في الحصار . ومثال آخر حيث قاتل الرسول بأسلوب الصف تجاه قريش التي قاتلته بأسلوب الكر والفر .

ولقد استخدم الرسول القائد المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف كل هذه أمثلة تدل على عبقرية الرسول ﷺ القائد وتطبيقه مبدأ المفاجأة في غزواته .

ولقد طبق الرسول القائد المفاجأة الاستراتيجية وذلك باخفاء نية الهجوم ووقت الهجوم وحجم القوات المهاجمة ومكان الهجوم (أي النية والوقت والحجم والمكان) . وقد كان يعتمد على السرية التامة في التخطيط وفي حشد القوات وتعبئتها مع اتباع أساليب المفاجأة في المجال السياسي والعسكري .

وقد طبق ايضاً المفاجأة التكتيكية وذلك في نطاق القتال التكتيكي ومن أمثلتها بأنه اتبع اساليب مبتكرة في القتال وطبق الاندفاع من اتجاه غير متوقع مع السرعة في تحريك قواته لمعالجة المواقف والوصول إلى الهدف بأقل وقت وأقل التكاليف ، وهذا ليس بالأمر الميسور تحقيقه إلاَّ بتخطيط يكون غاية في المهارة والحذق .

٤ ـ حشد القوة :

يتضمن الحشد توفير قوة قتالية متفوقة على العدو في النقطة الحاسمة وفي المكان والوقت المناسبين وقد عرفت أيضاً (بانها حشد اعظم قوة ادبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين) .

وحشد القوة يعني جمع أكبر قوة في مواجهة العدو بحيث تناسب القوة الموقف وفي المكان والزمان المناسبين .

ولقد طبق هذا المبدأ بصورة واضحة في حروب نابليون الذي أكد على حشد القوة بقوله : (إن كل فن الحرب ممكن تلخيصه بمبدأ واحد وهو أن تجمع في جبهة واحدة قوَّة أكبر عن قوة عدوك) .

فنجد أن القيادة الإسلامية في عهد الرسول نفذت حشد القوة وصرحت عليها في حدود إمكانيات المسلمين وحسب الدخول في الإسلام ونشر الدعوة التي تعني (ازدياد قوة المسلمين واكمال تحشدهم .

والحشد لا يتوقف على النواحي المادية فقط بل أيضاً على النواحي المعنوية فالرجال بمعنوياتهم والسلاح بالأيدي التي تستخدمه ، ولقد كان التفوق المعنوي يعوض المسلمين هذا النقص .

فالجهاد في الإسلام لم يبدأ إلاَّ بعد إنجاز التحشد ، فنجد بأنه عندما أنهى الرسول ﷺ تحشده في المدينة ، وعاهد أهلها من (اليهود والمشركين) ، بدأ القتال لإعلاء كلمة (الله) إلى أن بلغ عدد الجيش الإسلامي في آخر غزوة قام بها رسول الله عليه الصلاة والسلام (غزوة تبوك) في العام التاسع الهجري أكثر من ثلاثين ألفاً معهم عشرة آلاف من الخيل .

ولقد اهتم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام من بعده بمبدأ الحشد وهذا ما أكده محمد فرج في كتابه المدرسة العسكرية الإسلامية بقوله : (لقد بدأ مبدأ الحشد ينال اهتماماً بالغاً من القيادات التي خلفت رسول الله عليه السلام فأبو بكر الصديق حين أراد أن يحارب المرتدين ومانعي

الزكاة حشد لهم أحد عشر لواء ، وحين أحس أن ألويته التي أرسلها لمحاربة الروم في اليرموك لا تتناسب كماً مع عدد أعدائهم ، سيَّر إليهم خالد بن الوليد من العراق دعماً وقوة .

وكان ذلك شأن عمر حين ألقيت على عاتقه مسؤولية صيانة الدولة بعد أبي بكر ، فقد حرص على أن يمد جيوش المسلمين في العراق بالإمدادات المستمرة ، كما أمد عمرو بن العاص في مصر بقوات عاونت كثيراً في تسهيل مهمته . ولقد بلغ حرص عمر درجة كبيرة حتى أنه كان يولي الأمر عنايته الخاصة ، فقد كان يتولى بنفسه إعداد الإمدادات ، وحث الناس ، والإشراف على تجهيزها وتحركها . . لقد وقف في المسجد يخاطب الناس في أمر الخروج إلى العراق فقال لهم : (أيها الناس إن الحجاز ليس لكم بدار إلاَّ على النجعة ، ولا يقوى عليه أهله إلاَّ بذلك ، أين الطرّاء المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها » .

ولعمر خطوتان جديرتان بالذكر في هذا المجال :

أولاهما : أنه سمح للمثنى بن حارثة خلال قتاله في العراق أن يضم إلى قواته بعضاً من نصارى العرب المقيمين هناك كنصارى تغلب ونصارى بني النمر الذين قاتلوا بجانب المسلمين في شجاعة نادرة واستبسال مجيد حتى أن (مهران الهمذاني) قائد الفرس لقى مصرعه على يد واحد من نصارى تغلب .

وثانيهما : أنه رضي الله عنه سمح للمسلمين الذين كان تيار الردة قد جرفهم ثم ثم عادوا ثانية إلى الإسلام بالمشاركة في القتال أملاً في أن يزيد حجم الحشد الإسلامي في مواجهة عدو له تفوق بشري كبير ، وكان أبو بكر من قبله قد رفض باصرار السماح لهم بالمشاركة في القتال ولكنه رأى أن يكسب بهم قوة وأن يمنحهم شرف القتال وأن يعطيهم فرصة التفكير عن خطأ وقعوا فيه . . .) .

الذي أريد أن أنتهي إليه هو أن المسلمين اهتموا بالحشد اهتماماً يتفق

مع إمكانياتهم وقدراتهم وأنهم حرصوا على أن يكون الحشد متناسباً مع حجم العدو وحجم المعركة ولكنهم مع هذا الاهتمام والحرص كانوا يخوضون المعركة معتمدين أساساً على معنوياتهم بغض النظر عن حجم عدوهم ، وكثافة جنده ، وكثرة عدوه ، في ضوء قوله تبارك وتعالى : ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا . . .** ﴾ .

٥ ـ الاقتصاد بالجهد :

يسمى هذا المبدأ ايضاً في بعض المراجع « الاقتصاد بالقوات » ويدل على الاستخدام المتوازن للقوى والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على التحشد المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين .

(إن هذا المبدأ في مجال الاستراتيجية العظمى ـ يتضمن أنه يجب استخدام ذلك الجزء من المصادر الوطنية المتوفرة في مجال الحرب الثنائية مع المكاسب المتوقع الحصول عليها من تحقيق الأهداف السياسية للحرب . إن مبدأ الاقتصاد بالجهد يعزز نظريّة أو مبدأ وحدة القيادة والمخاطرة المحسوبة ووضوح القصد وتظهر قيمة هذا المبدأ حين يكون اتساع الجبهة كبيراًجداً بالمقارنة مع حجم القوات أو عندما يكون العدو متفوّقاً استراتيجياً ويجب التذكر أن جوهر هذا المبدأ يختص بمسألة الاحتياط كما يختص بحسن توزيع القوات ويؤمن للقائد حرية الحركة بتجنب نشر جميع القوات على خط واحد خاصة عند وجود جبهة واسعة)[1] وقد عرفت من قبل كلا وزفتز (بحشد القائد لمجموع قواته على ألاّ ينفصل منها سوى ما تتطلبه الحاجة القصوى) . ولقد عرّفت أيضاً من قبل نابليون (بأنه حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية) وفي المدرسة العسكرية الإسلامية راعى الرسول ﷺ مبدأ الاقتصاد بالجهد في كل غزواته ، فكانت القوة في غزواته تناسب الموقف ففي أحد أمر الرسول جماعة من المسلمين على رأسها

---

(١) نشرة عن الاستراتيجية .

الزبير بن العوام وقال له : « إستقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه » . كما كلف جماعة أخرى من المسلمين على رأسها عبد الله بن جبير بن النعمان بأن يقيموا على جبل لحماية المسلمين من الخلف وأصدر لهم أمراً بقوله : « احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن يجيئوا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل » .

وقد طبق ذلك أيضاً في الهجوم على دمشق أبو عبيدة بن الجراح حيث قام بهجوم عام شامل بقوات رئيسية على دمشق وبقوات ثانوية أخرى على فحل بقيادة أبي الأعور السلمي لمواجهة قوات الروم هناك ، وظلت هذه القوة تؤدي واجبها بكفاءة وفعالية حتى تم دخول دمشق من قبل المسلمين .

وقد لاحظ ذلك أيضاً عمرو بن العاص عند احتلال أجنادين بأن ارطبون قد وضع قوات له في إيلياء وفي الرملة وقد عالج عمرو بن العاص الموقف بأن فصل قوتين صغيرتين من جيشه ، تولى قيادة الأولى (علقمة بن حكيم) والثانية أبو أيوب المالكي لمعالجة الموقف .

وبذلك استطاع عمرو بن العاص تحقيق النصر بقواته الرئيسية في اجنادين دون تدخل من العدو في إيلياء وفي الرملة وقد هلل للنصر عمر بن الخطاب فقال : « « غلبه عمرو . . لله عمرو » .

٦ ـ الأمن والمكتومية :

هناك عدة تعاريف لهذا المفهوم فقد عرفه محمود شيت خطاب في كتابه (الرسول القائد) قائلاً : (هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ومنع العدو من الحصول على المعلومات) وقد عرف أيضاً (بأنه انعكاس للقوّة القتالية والقوة العسكرية والقوة القومية ويتضمن هذا المبدأ بشكل عام منع العدو من معرفة نوايانا ومنع العدو من تحقيق المفاجأة علينا فهو يمنع العدو من الحصول على معلومات عن قواتنا بينما يوفر لنا حرية العمل . ويتضمن هذا المبدأ في الاستراتيجية العظمى حماية الوطن . أما في

استراتيجية الميدان فيتضمن درجة معيّنة من الأمن لضمان حرية العمل وشن التعرض ، وبذلك يتضمن حماية النقاط الحيوية والضعيفة وخطوط المواصلات والمطارات والأجنحة المكشوفة لئلا يؤدي تهديدها إلى إرباك القيادة)[1] .

يعمل هذا المبدأ بطرق مختلفة حسب اختلاف الحروب وظروفها فمثلاً في عمليات حرب العصابات على أساس الحركة الدائمة والاستطلاع الدائم وتجنب مصائد العدو . وفي الحرب التقليدية على أساس المهارة في استخدام الاحتياط والاستطلاع الجوي والرادار وتوزيع الطائرات وتمويهها وتأمين الحماية لها ، ويعمل في الحرب النووية على أساس تأمين الضربة الثانية بعد تلقي الضربة الأولى عن طريق توزيع القوة النووية واخفائها . وقد قرنت كلمة الأمن بالمكتومية وعرفت (بأنها التحفظ على المعلومات وصونها حتى لا تتسرب إلى العدو ، فيستغلها في الحرب ضدنا وهذا المعنى للمكتومية يؤكد على المحافظة على أسرار الجيش والقوات المسلحة ، والمحافظة على اسرار الوطن في كافة المجالات)[2] .

أما الرسول القائد فكانت المكتومية بالنسبة له مبدأً أساسياً من مبادىء الحرب ، فكان ﷺ لا يرسل قائداً في سرية إلاَّ وأعطاه كتاباً مغلقاً فيه تعليمات المعركة والمكان الذي سيذهب إليه فلا يطلع على الكتاب إلاَّ بعد مدة أو في مكان يحدده له الرسول مسبقاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام في قضاء الأمور (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) .

وهذا ما أكده محمود شيت خطاب بقوله[3] : (لقد أمن الرسول حماية قواته في كافة غزواته ، وبذل جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات ، وبذلك طبَّق مبدأ الأمن .

---

(١) نشرة الاستراتيجية ، كلية القيادة والأركان .

(٢) نشرة عن المكتومية .

(٣) عن كتاب الرسول القائد .

إن دوريات الاستطلاع والطلائع التي كان يؤمنها الرسول في مسير الاقتراب وعند العودة من غزواته كان لغرض حماية قواته من مبادتة العدو لها .

وكما حرص الرسول على الحصول على المعلومات من اعدائه بشتى الوسائل ، فقد حرص أيضاً على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل ايضاً . .

وطبَّق مبدأ الكتمان في كال عماله وحث المسلمين على حفظ الأسرار وعدم اباحتها ، وأمر أن يسارع المسلمون باخباره عن كل حادث مهم يحصل معهم .

والحق أن المتتبع لحياة الرسول يعجب أشد الإعجاب بمعرفته الفائقة والسريعة بكل المعلومات التي تهمه وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين .

كيف عرف برسالة حاطب بن أبي بلتعة التي أخبر بها قريشاً بحركة المسلمين لفتح مكة ؟ كيف عرف بإزماع أبي سفيان على القدوم إلى المدينة لتمديد فترة الهدنة ؟

كيف عرف كل حركات المنافقين وكل مؤامرات اليهود وقضى عليها ؟ كيف احبط كل هذه المؤامرات ومنع افتضاح نوايا المسلمين ؟ كل ذلك يدل على حرصه على كتمان نوايا المسلمين ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن أهداف ومقاصد وحركات المسلمين) .

فمبدأ الأمن من أهم مبادىء الحرب ، حيث بالمحافظة عليه تصل القوات الى النصر بأعلى كفاءة ، وبه تحفظ الأسرار العسكرية والوطنية ، الأمر الذي يجعل العدو في حيرة وارتباك . فلا يستطيع تقدير المواقف تقديراً صحيحاً ، لافتقاده إلى المعلومات الأكيدة ، وتستطيع القوات تضليله حسب مقتضيات المعركة .

٧ ـ قابلية الحركة والمرونة :

يتضمن هذا المبدأ السرعة ، وحرية الحركة المتفوقة على العدو في

مجال الوقت والمسافة ، ويجب أن تظهر هذه في تطوير وتحديث نظم الأسلحة ونظم النقل والاتصالات وفي التنظيم . كما تظهر أيضاً في قوة العمل السريع في عمل الأركان وممارسة القيادة ، فعلى القائد أن يكون مرن الفكر ، وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته ، وأن تناسب الخطط المواقف الجديدة .

والمحصلة النهائية أن يصل القائد إلى المهمة بأعلى كفاءة وأقل وقت وبأقل التكاليف نتيجة الحصول على حركة أكبر من المتوفرة للعدو مع القدرة على الحركة والمناورة والانتقال .

وقد كان لخفة الحركة دور كبير في تاريخ الحروب الإسلامية وبذلك استطاعت قوات المسلمين أن تصل إلى أهدافها في الوقت المناسب وتفشل نوايا العدو .

فلقد وصلت قوات المسلمين إلى دومة الجندل وتبوك ، وإلى ربوع فلسطين والطائف ، وقد كان الرسول ﷺ إذا سمع بتجمع للعدو بادر بالقضاء عليه ، كما حدث في غزواته ضد بني لحيان ، وإلى بواط ، والعشيرة ، وسفوان .

وكل هذه الأماكن بعيدة عن قاعدة المسلمين ـ المدينة ـ وقد قطعت اكثر هذه المسافات ليلاً ، وفي ظروف سيئة وقاسية كما استطاع المسلمون أن يستمروا في الحركة ثلاثين ساعة متتابعة عند عودتهم من غزوة بني المصطلق وبذلك كان الرسول يطبق قابلية الحركة والمرونة في وضع الخطط وفي تنفيذها وفي تحريك قواته أيضاً بسرعة وحسب المواقف ليلاً أم نهاراً .

وفي التاريخ الإسلامي يعد تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى اليرموك نموذجاً حياً لقابلية الحركة ، فقد سار بقواته في بادية قاحلة وحقق المفاجأة ضد الروم وقطع مسافة يبلغ طولها زهاء ثمانمائة وستين كيلومتر ـ في خمسة أيام .

٨ ـ التعاون مع وحدة القيادة :

(هناك اسماء عديدة لهذا المبدأ فالبعض يسميه وحدة القيادة ويسميه البعض الآخر التعاون كما أن هناك من يقسمه إلى وحدة القيادة ووحدة الخطة وحدة التنفيذ ولكن الجوهر واحد وهو يتعلق بوجود تقويم واحد متماسك وقرار موحد متماسك وخطة واحدة متماسكة وإقامة التنسيق والتعاون بين مختلف الخدمات (الجيش ، البحرية ، الجو) ومختلف الأسلحة والتشكيلات .

إن وحدة القيادة تنتج وحدة الجهد بالعمل المنسق تجاه الهدف الواحد)[1] .

ويسمى التعاون لدى بعض الدول مثل الولايات المتحدة الامريكية معركة الأسلحة المشتركة (The Airland Battle) ويعني توحيد العمل والتضامن من أجل الوصول إلى الهدف وذلك بتوحيد جهود كافة الصنوف والقطعات لبلوغ الغرض .

أما وحدة القيادة فهي إلزامية للمحافظة على القصد مع التنسيق مع كافة الصنوف والأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية وبين القطعات الآلية وسلاح الجو وتحرك القطعات أمر حاسم لتحقيق النصر .

ولقد حرص الرسول الكريم على أن يكون التعاون متكاملاً بين المسلمين في أمور الحرب وكان يطرح الأمر شورى بين الناس ، وكان يطبق القاعدة العسكرية في اتخاذ القرار التي تقول : (فكر ثم فكر ثم فكر ، ناقش واستشر ثم قرر) ففي بدر شرح الرسول القائد الموقف إلى المهاجرين والأنصار وانتهى الأمر إلى خطبة المواجهة .

وفي أحد كانت الأفكار متباينة ، قال البعض باتخاذ خطة الدفاع . وقال البعض الآخر بالخروج واتخاذ خطة الهجوم وتغلبت الفكرة الثانية ، فأصبح الجميع قوة واحدة متعاونة بدون تنازع واختلاف .

وفي عهد أبي بكر ساد التعاون بين الجميع للوصول إلى الهدف

---

(١) نشرة الاستراتيجية .

المنشود ففي حروب الردة حددت واجبات لكل لواء وأيضاً كلفت بعض الألوية بمساعدة الألوية الأخرى ، كمعاونة لواء شرحبيل بن حسنة للواء عكرمة ابن أبي جهل .

ومن أمثلة التعاون أيضاً في اليرموك وتوحيد ألوية المسلمين تحت قيادة موحدة ، بقيادة خالد بن الوليد . إن الأمر الإلهي حث المسلمين وطلب منهم التعاون فيما بينهم قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ فجهادهم جميعاً كان براً بالإسلام وكفاحهم المتصل كان نوعاً راقياً من التقوى .

٩ ـ إدامة المعنويات :

تعرف المعنويات بأنها انعكاس لمعتقدات الأمة ، وشكل الحكم والنظام الاجتماعي ، والقيادة القومية والعسكرية ، وواقعيّة التدريب للحرب ولا يمكن في أية حرب قوميّة فصل الشعور القومي للجندي عن شعور الأمة . إن الأمّة التي تذهب للحرب مندفعة بمعتقداتها وقيادتها الوطنيّة والعسكريّة ، سوف تتحمل مصاعب الحرب أفضل وأطول مما لو كان هذا الاندفاع غير متوفر .

وتعرف أيضاً (بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب عن العصابات : بها تظهر الطاعة القائمة على الحب وتبرز الشجاعة في القتال ، والصبر على تحمل المشاق ، وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعاً باسلاً صبوراً) .

ولقد كانت معنويات قادة وجند الإسلام عالية جداً وبمستوى رفيع ومميز فلا يوجد قيادة ولا قوة في العالم امتازت بحسن تنظيم ومعرفة الأهداف التي يقاتل من أجلها ، كدولة الإسلام العظيمة (من الجيش والشعب) فلقد كانت أهداف المسلمين جميعاً حينذاك هي إعلاء كلمة الله والعمل على حرية نشر الدعوة الإسلامية ، ونشر الإسلام بين الناس كافة . (فلم يكن يخرج للقتال إلاّ من آمن بالله وبرسوله إيماناً بلغ حد الرغبة الجادة الكريمة في الاستشهاد ، فهو عقد بينه وبين ربه ، عقداً باع به نفسه ووهبها للجهاد في سبيله . . . ومن

خلال هذا العقد خرج المسلمون إلى الغزوات والحروب ، ونفروا إلى الجهاد موقنين أن الله معهم يشد من أزرهم ، وكم من مواقف كثيرة تعرّضوا لها وأحسوا وهم يعانون الشدّة والقسوة أن قوة الله تؤازرهم وتخفف عنهم وتهوّن عليهم حظهم)[1] .

كما أن صفات الزعامة الحقة هي التي تخلق المعنويات وتديمها . فقيادة قائد القادة (محمد) هي التي ادامت المعنويات ، وبعثت الثقة الحقيقية في الأمة . وهذا ما أكده محمود شيت خطاب في كتابه الرسول القائد بقوله : ولست أعرف زعيماً لأمة قديماً أو حديثاً امتلك صفات الزعامة الحقة كما امتلكها الرسول ، إذ كان في صفاته ومزاياه رجلاً يعادل أمة أو له أمة تعادل رجلاً كما يقولون .

فلا عجب أن تحلى المسلمون بالمعنويات العالية عندما كانوا ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب في مكة عقر دارهم ، وعندما أصبحوا أقوياء يسيطرون على الجزيرة العربية كلها دون منازع) . فلا عجب أن ينتصر المسلمون قليلوا العدد والعدة بفضل معنوياتهم العالية على قريش رغم كثرتهم .

١٠ ـ الأمور الإدارية :

يجب أن تواكب الخطة الإدارية الخطة التعبوية ، حتى يمكن للقائد أن يصل إلى هدفه بكفاءة عالية وتخطيط سليم ويجب أن تمتاز الخطة الإدارية بالبساطة ، وذلك لتقليل الصعوبات وسهولة التنفيذ (فالجيوش تزحف على بطونها) . ويجب وضع وتصميم الترتيبات الادارية بحيث تعطي القائد حرّية العمل القصوى في تنفيذ خطته . فمهما تكن خطة العمليات دقيقة مرنة ، فلا تؤتى ثمراتها إذا تعذّر تنفيذها من الوجهة الإدارية ، فالقاعدة تقول : (إن كل خطة مرهونة بإمكانياتها الإدارية) . فلقد اهتم الإسلام بالأمور الإدارية ، وقدم المال على الأنفس لأهمية الاقتصاد في الحرب .

---

(١) المدرسة العسكرية الاسلامية ، محمد فرج .

لقد اهتم الرسول بالأمور الإدارية كثيراً في كل معاركه فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح .

ولقد قرن الإسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** ﴾ .

﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم** ﴾ ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾ .

فيلاحظ من تلك الآيات الكريمة ، أن المال يقدّم على الأنفس دائماً ، مما يدل على اهتمام الإسلام بالأمور الإدارية .

ويقول في الخيل : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ .

ويقول : ﴿ **والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً** ﴾ ويقول في الحديد الذي يعمل منه السلاح : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوي عزيز** ﴾ .

لقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم في سبيل الله : مات الرسول ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير وأنفق أبو بكر جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين .

وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهّز عثمان بن عفان جيش العسرة في غزوة تبوك بالإضافة إلى الأموال الطائلة التي أنفقها على غيرها من الغزوات .

لقد أتعب الرسول وأصحابه من يريد التأسي بهم من المسلمين بعدهم . فأين تضحياتهم حتى بأبسط ضروريات الحياة في سبيل الله والمصلحة العامة قبل أربعة عشر قرناً من زعماء الشرق والغرب في القرن العشرين ، أولئك الذين يتاجرون بالدفاع عن الفقير والعامل والفلاح بالظاهر بينما يعيشون بالحقيقة مترفين في رخاء عظيم !!)[1] .

وفي الختام لقد اهتم الرسول ﷺ بالأمور الادارية كثيراً في كل معركة وتعاون المسلمين في كل غزوة على تزويد المجاهدين بالسلاح والعتاد وبالأزراق على مختلف أنواعها وكل هذه الأشياء ما هي إلاّ نوع من أنواع الإدارة الفعالة .

أما قادة الإسلام أصحاب الرسول العظيم محمد ﷺ فقد ساروا على الأهداف نفسها التي رسمت لهم ، واستخدموا مبادىء الحرب حسب المواقف والأحداث وكتبوا حروفها بمداد من دمائهم وصبغوها برداء مهجهم ، فأمدوا تيار الأمة بالعزة والخلود . وسنستعرض مبادىء هؤلاء القادة الأبطال في الحروب كما يلي :

---

(١) الرسول القائد محمود شيت خطاب .

المبادىء الحربية
التي طبقها خالد بن الوليد في حروبه

أ ـ اختبار القصد وإدامته :

القصد النهائي لأي معركة هو تحطيم إرادة الخصم على القتال وتحت هذا القصد تتفرع مقاصد كثيرة تختص كل منها بناحية معينة ولكنها كلها في النهاية تؤدي إلى تحطيم إرادة العدو على القتال . وكان خالد بن الوليد يختار قصده بعد تفكير عميق ويعمل كل جهده لتنفيذه ولا يفكر أبداً في التحول عنه قبل الحصول عليه كان قصده في غزوة أحد تحطيم رماة المسلمين ليضرب مؤخرتهم ويطوقهم ويفنيهم بعد ذلك . وتحقق له ذلك بعد انسحاب بعض الرماة خلافاً لأوامر الرسول ﷺ وقد هدد المسلمين بالفناء لولا قيادة الرسول الكريم الحكيمة . وفي معركة اليرموك كان قصد خالد بن الوليد أن يحرم مشاة العدو اسناد فرسانهم لذلك هجم بالقلب وبحركة رائعة افسح المجال لخيل الروم للخروج من مكانها بعد أن ضيق الخناق . لقد كان خالد في كل معركة يختار قصده ويحافظ عليه فيوجه كل قدراته وقوته لتحقيق هذا القصد كان النصر حليفه في كل المعارك ولم يخسر قط في معركة ولقد اختار خالد قصده في عبور الصحراء تلك المسيرة العسكرية المحفوفة بالمخاطر لقد واجهته الصعاب والمشاق وكاد الجند أن يهلكوا من العطش إلاَّ أنه أصرَّ على تنفيذ الهدف وفي النهاية استطاع أن يتغلب على كل المتاعب ويعبر الصحراء ويفاجيء جند الروم في الشام .

ب ـ التعـرض :

إن أفضل وسائل الدفاع هو التعرض وهذا يؤدي إلى كسب زمام المبادأة ويمنح حرية العمل ويلزم العدو باتخاذ وضعية الدفاع ويـرفع الـروح المعنويـة للمقاتلين والهدف الأساسي من التعرض هـو كسر شـوكة العـدو والقضاء عليـه وعلى رغبته في القتال ولقد كانت معـارك خالـد بن الوليـد كلها تعـرضية إذ لم يخض في حياته العسكرية كلها خطة دفاعية واحدة . لقد كان دائماً في تعرض مستمر وكان لعبقريته في القيادة اثر كبير على اتخاذ هذا الموقف دائمـاً خاصـة في جميع المعارك التي قادها كان التفوق في العدد والعدة لصـالح العـدو ومع ذلك فلم يفكر لمجرد التفكير في أن يتخذ وضعية دفاعية في أية معركـة . لقد كان لتعرضه أثر كبير في القضاء المبرم على فتنة أبي حذيفة في اليمامة . بعـد أن فشـل قائـدان قبله وكان لتعـرضه أثـر حاسم في فتـح دومة الجنـدل بعد أن استعصت على قائد قبله وكان لتعرضه في معركة اليرموك أثر حاسم في انتصار المسلمين على الـروم بعـد أن تضـايق المسلمـون كثيـراً . وكـان لا يثنيـه عن التعرض أية صعوبات ويبدأ دائماً بالضربة الأولى وعندما تلوح له الفـرصة التي يعتبرها مفتاح زمام المبادأة كان لا يعتمـد الحصار أو التـطويق بل يمـزق العدو إلى مجمـوعات صغيـرة يسهل بعـدهـا القضـاء عليـه كمـا حـدث في معـركـة اليرموك .

ج ـ حشد القوة :

وهـو جمع أكبـر قوة ممكنـة في مواجهـة العدو ، لقـد اهتم المسلمـون بالحشد اهتماماً كبير ولكن بما يتفق وإمكانياتهم وقدراتهم لم يخض المسلمون معركة إلاَّ وكان التفوق العددي لصالح الأعداء ، ولقـد اعتمدوا على معنـويات جنودهم بغض النظر عن حجم وكثافة جند العدو وتطبيقاً لقـوله تعـالى : ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائـة يغلبوا الفـاً من الذين كفروا** ﴾ صدق الله العظيم . ولقد كان خالد بن الوليد يهتم بهـذا المبدأ اهتماماً كبيراً لذلك فقد عمل جاهداً على فصل طبي عن أسـد قبل أن يهـاجم طليحـة وعمل على ضم هـذه القبيلة إلى قواتـه وفي اليمـامـة ضم إليـه رجـال

شرحبيل والتعزيزات التي قدمت من المدينة قبل أن يقاتل مسيلمة الكذاب ، وقبل فتح بلاد العراق ضم إليه رجال المثنى بن حارثة ورفاقه من قادة وجيوش العراق وكان خالد في حرص مستمر على جمع ارتاله في مكان معين وفي وقت معين قبل أن يقوم بالهجوم على العدو كما جرى في معركة ذات السلاسل والمصيخ . وفي معركة اليرموك لم يبدأ في قتال الروم إلاَّ بعد أن أكمل تحشد قواته وكان يحرص في حشده للرجال على التوعية لا على العدد فكان يهتم بصلابة الرجال وصدق إيمانهم وتصميمهم على النصر أو الشهادة ففي أحد الليالي كان يتفقد الجند فسمع أحد المسلمين يقول : « ما اكثر الروم وما اقل المسلمين » فقال له خالد : « بل قل ما اكثر المسلمين وما أقل الروم أن الجنود تكثر بالنصر وتقل بالخذلان » لذلك لم يدخر وسعاً في حشد جميع الامكانيات المادية والروحية والمعنوية لقواته قبل زجها في خضم المعركة .

د ـ الأمن :

لقد كان خالد شديد الحرص على هذا المبدأ بشكل ملفت للنظر فقد كان يرسل مفارز الحماية أمام قواته ولجميع الجهات حيث تخرج الدوريات أمام معسكر المسلمين وكما حصل في معركة اليرموك عندما حاول جبلة بن الأبهم مباغتة المسلمين في هجوم صباحي ولكن مفارز الحماية التي أخرجها خالد بن الوليد كانت له بالمرصاد وأفشلت خطته وأخرت تقدمه حتى استطاع المسلمون أخذ الحيطة والحذر وأوقع به افتك الخسائر وبجنوده مما أخّر معركة اليرموك لمدة شهر وكان خالد لا يتحرك إلاَّ على تعبئة ولا ينام ولا يُنيم ولا يبات إلاَّ على تعبئة وكان دائماً يفتش على الجند وعلى الخفارات وعلى مفارز الحماية بنفسه ، وكما حصل في معركة اليرموك حيث كان يمضي الليل وهو ممتط صهوة جواده يتحول بين الكمائن والخفارات يبث الحماس واليقظة والانتباه بينهم خوفاً من مباغتة العدو لهم وكان يهتم بالعيون لجلب المعلومات عن العدو ويكتم في كل حركاته ليحرم العدو من معرفة نواياه قبل الأوان ففي معركة مؤتة كتم خطته عن أقرب الناس ولم يبح بها لأحد وكان يطبق الخطة

دون الخوض في التفاصيل حتى استطاع أن يخدع الروم ويتخلص من المعركة الفاصلة . كان شديد الحرص على اطلاع أقل عدد ممكن على تفاصيل خطته كما حصل معه في معركة اليرموك عندما أرسل ضرار بن الأزور على رأس ٥٠٠ فارس ليمسك مخاضة على وادي الرقاد لقطع الممر الوحيد لهرب جند هرقل . كانت الخطة مقصورة على خالد وضرار بن الأزور حتى أن الفرسان مع ضرار لم يعرفوا اين وجهتهم وكانت الحركة ليلاً ولم يعلم بهم باقي جند المسلمين إلاّ بعد تنفيذ الخطة واندحار فلول الروم .

هـ ـ المرونة :

جميع خطط خالد بن الوليد مرنة متطورة مع المواقف بسبب عقليته المتجددة ولم يكن خالد يوماً جامداً في مخططاته بل كان في كل معركة وفي كل موقف يفاجيء عدوه بمخطط جديد يتلائم وهذه المعركة أو ذلك الموقف كان يعتمد سرعة الحركة وقابليتها رغم الصعوبة التي تواجهه ويغتنم الفرص ولا يجعلها تفلت منه دون الاستفادة منها كما حصل في معركة أحد عندما استغل نزول الرماة عن جبل أحد ، نجده كذلك يقظ فطن يغير الخطط أثناء سير المعركة سواء في تنظيم الصفوف أو حركة الجنود كما حصل في معركة مؤتة عندما غير ترتيب الصف مما أوقع الشك في نفوس الروم بأن مدداً من المدينة قد وصل وبعدها بدأ عملية التراجع الواسعة التي أظهرت الجيش اكبر مما هو عليه وأظهر للروم أنها عملية خدعة ليستدرجهم إلى الصحراء وأوقع في نفوسهم الخوف من اللحاق به فكان الخلاص من الهلاك المحقق . ولقد طبق ذلك في حروب الردة في قتاله مع طليحة ومالك بن نويرة وفي فتح دمشق عندما بلغه أن جنود الروم على الأسوار تركوا مواقعهم وذهبوا للمشاركة في أفراح البطريق عندها اغتنم الفرصة بسرعة البرق واعتلى بنفسه الأسوار وقتل الحراس وفتح الأبواب وادخل الجند وفتح دمشق وسقطت المدينة بيد المسلمين كل هذا من مرونة هذا القائد المقدام وانتهازه للفرص وعدم تركه لها تذهب دون استغلال كان هذا القائد الفذ شديد الحرص واليقظة دائم الحركة صادق الاحساس ثابت القلب شجاع ذا ايمان قوي وفكر ثاقب متجدد . عقليته ليس لها مثيل على مر العصور ضرب أروع الأمثلة في الفكر

العسكري القديم والحديث صاحب المبادىء الحديثة القديمة إنه القائد الملهم سيف الله استله على رقاب المشركين .

و ـ المعنويات :

سلاح فعال في يد القائد في ساحة المعركة كان هذا المبدأ له تأثير في حروب خالد حيث كان هو مضرب المثل لجنوده كان مكانه في الأمام دائماً وهذا الذي جعل الجند يقتدون به كان يقودهم من نصر إلى نصر كان لا يميز بين أحد منهم كان يحاول دائماً رفع معنوياتهم بتخصيص من يقرأ سورة الجهاد قبل المعركة ويعين من يقص سيرة العرب قبل الإسلام ومعاركهم وسيرة الفتوحات الإسلامية زمن الرسول ﷺ وحروب الردة ، ويجري ذلك قبل المعركة وقد ظهر ذلك جلياً في معركة اليرموك عندما اجتمعت جيوش المسلمين في سهل اليرموك وظهر الفرق الواسع في عدد الجيوش بين الروم والمسلمين فلجأ إلى هذا العمل حتى يغطي هذا الجانب المهم في المعركة ألا وهو السلاح القوي الفتاك وهو المعنويات وكذلك تأثير شخصيته وشهرته لها الأثر الكبير في رفع معنويات الجنود . خالد الذي زادت معاركه على الأربعين معركة لم يخسر في حياته لذا اصبح مصدر ثقة لجنوده به أنه يقودهم منتصر إلى نصر لا محاله مهما كانت الأعداد ومهما كانت العدد فالثقة بالقائد تنتج عنها الثقة بالسلاح والثقة بالنفس وهذا مقرون مع الإيمان العميق والعقيدة الراسخة وطلب الشهادة وفي سبيل رفع كلمة لا إلّه إلاّ الله كل ذلك يجعل لدى المقاتل شعور خفي يجعله لا يهاب الموت ولا يعرف المستحيل ولا تقف أمامه الصعاب وهذه من الأمور التي جعلت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقرر فصله عن القيادة وتعيين أبا عبيدة عامر بن الجراح مكانه حتى لا يفتن به الجنود ويظنون أن النصر لا يتم إلاّ على يديه وقد قال فيه عمر بن الخطاب : « إني لم أعزل خالداً عن سخط ولا عن خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة » .

ز ـ المعلومـات :

كان خالد يعطي أهمية كبيرة لجميع المعلومات عن العـدو قبل المعـركة فيهتم بتسليح عدوه وتنظيمه ومعنويته كان يرسل الدوريات والطلائـع للحصول على المعلومات وكان يخصص من يستوجب الأسرى وكان يسترشد برأي ذوي الخبرة والدراية والمعرفة من قواتـه لذلـك تتكون لـديه الصـورة الواضحـة عن العدو والأرض وكيف يقاتل عدوه وما هي طريقـة تنظيم الصفـوف لديـه للقتال وكان يحاول جمع المعلومات عن قادة الجند لدى العدو . كل هذه المعلومات كانت مفتاح حل المعاضل لإيجاد الحلول المناسبة . كان يعرف كيف يتعـامل مـع عدوه ، وكيف يستغـل نقاط الـوهن والضعف لـدى عـدوه . وكـان يحسن استخدام الخداع ، ويجيد تطبيق الحيل حتى يتمكن من جر عـدوه إلى مناطق القتل كما حصل في معركة اليرموك كان يفكـر مسبقاً في الأمـور التي تساعـده على كسب المعـركة ويتحـرى المعلومات الـوافية ليستخلص الخـطط المسبقة وينفذ القرار السريع وقد ظهر ذلـك جلياً في حـركته المشهـورة من العراق إلى بلاد الشام عبر الصحراء .

ح ـ التعاون :

لقد امتلك خالد شخصية قوية نافذة وإرادة فـولاذية ثـابتة وقـابلية قيـادية نادرة وكان بكـل ذلك قـادراً على تأمين التعـاون بين صفوف قـطعاتـه من جهة وبين تشكيلاتها التعبوية من جهة أخرى لقد أمن خالـد التعاون بين قـواته وبين قبيلة علي ضد طليحة وأمن التعاون مع قوات شرحبيـل بن حسنة ضـد مسيلمة الكذاب وأمن التعاون بين قواته وقوات المثنى بن حارثة الشباني وأصحـابه من أهل العراق وأمن التعاون بين قواته وقوات قادة فتح الشـام في معركـة اليرمـوك وأمن التعـاون بين جيشه الـذي اقتضى به أثـر لزريق قـائـد الاروم وبين جيش يزيد بن أبي سفيان حيث ضرب جيش الـروم من الخلف لقد كـان يعمل دومـاً على تأمين التعاون في سبيل الهدف والمصلحة المشتركة وكان يؤمن بـالتعاون بين مختلف الصفوف ففي معركـة اليرمـوك نرى أنـه أمن التعاون بين الفـرسان الخيـالة والـرماة والمشـاة حملة السيوف والـرماح ، وأسنـد لكـل منهم واجبـه

المخصص له حسب تسليحه وحسب قابليته الحركة . لقد كان هذا التعاون له الأثر الفعَّال على نتيجة المعركة الحاسمة .

ط ـ الإدارة :

كان خالد يحاول تحسين معيشة الجند باستمرار وظهر ذلك بعد معركة اليمامة ، وازداد تحسناً في فتح بلاد العراق فقد بلغ راتب الفارس منهم في يوم معركة السلاسل الف درهم والراجل ثلث هذا المبلغ . لقد ظهر اهتمامه بالادارة في التدابير الادارية التي اتخذها في عبور الصحراء من العراق لبلاد الشام فقد نفذ العملية دون خلل اداري يذكر حيث كان يرافق الجيش اطباء للمعالجة وأوكل إلى النساء القيام بأعمال التموين والاطعام والعناية الصحية بالجرحى والمرضى . كان يفرض الجزية على المغلوبين من اجل حمايتهم في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم ، وتمكينهم من التمتع بالحقوق المرعية مع المسلمين سواء بسواء ، كما أعلن التأمين الاجتماعي في الحيرة ضد الشيخوخة والفقر والمرض وأعال كل من لم يقدر على إعالة نفسه من بيت مال المسلمين لقد كانت عبقريته الإدارية لا تقل عن عبقريته العسكرية ولكن اهتمامه الأكثر في الأمور العسكرية جعل عبقريته العسكرية تظهر اكثر مما ظهرت في الأمور الإدارية .

المباغتة كأهم مبدأ اعتمده خالد بن الوليد :

لقد كان لهذا المبدأ الأثر الكبير الفعال في جميع انتصاراته سواء قبل الإسلام أو بعده وهو من مبادىء الحرب الأساسية الحديثة التي تعتمده جميع الدول الكبرى في عقيدتها القتالية في هذه الأيام . لقد اعتمد خالد هذا المبدأ قبل ١٤ قرناً وهو لا يزال مطبقاً حتى يومنا هذا ، فهذه هي عقلية خالد الحربية التي صقلها الإسلام وقواها بسلاح الايمان وغذاها بالعقيدة الراسخة يطلب الشهادة في سبيل الله والإصرار على الجهاد ونشر كلمة لا إلّه إلاَّ الله محمد رسول الله وهذا هو سر عبقرية خالد العسكرية ولا نجد غرابة في ذلك ما دام المعلم هو القائد الكبير محمد ﷺ لم يكن يفصل بين مبدأ التعرض والمباغتة فنجد أن الرعب كان يسبقه كما قال رسول الله ﷺ في غزوة تبوك : « نصرت

بالرعب مسيرة شهر » وقد طبق خالد ذلك أحسن تطبيقة ولقد عرف أحد القادة المعاصرين هذا المبدأ فقال : « هو عمل شاق ضد العدو لا يتوقعه ولا هو مستعد له » وقد تتم المباغتة باستخدام ما يلي :

أ ـ خفة الحركة والسرعة في التنقل لإنزال الضربة المؤلمة في قوات العدو وهو لا يتوقع حدوثها لا من حيث المكان ولا من حيث الزمان .

ب ـ استخدام الأرض الصعبة ذات المواقع الطبيعية التي لا يتوقع العدو أن يهاجم منها .

ج ـ مفاجأة العدو بسلاح جديد لم يكن يعرفه ولا يتوقع استخدامه .

د ـ استخدام أساليب جديدة في القتال لم يكن العدو يتوقعها أو يعرفها ولا هو معتاد عليها .

هـ ـ السرية والكتمان لجميع الاجراءات السابقة للحصول على المباغتة فلقد طبق خالد بن الوليد في معاركه النقاط السابقة الذكر بعد أن أحاطها بالكتمان والسرية وباغت العدو عدوه على حين غرة وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً ومن المعارك التي باغت بها خالد عدوه ما يلي :

١ ـ معركة أحد :

باغت المسلمين بضرب مؤخرتهم عندما لاحت له الفرصة وشاهد رماة المسلمين يتركون مواقعهم وقلب المعركة لصالح المشركين .

٢ ـ معركة مؤتة :

أمّر خالد نفسه وحمل الراية ونظم الجند فقلب مقدمة الجند للمؤخرة والمؤخرة للمقدمة والقلب للميمنة والميمنة للميسرة ، وفتح القوات على منطقة واسعة وأظهر قوة في مقدمة الجيش رافق هذا التنظيم والحركة غبار كثيف وصوت عال وضجيج مما احدث رعبة في نفوس قادة الروم بوصول تعزيزات من المدينة المنورة . لقد ظهرت هنا حكمة القائد المجرب فأدرك أن الخدعة انطلت على اعدائه فقام بفك الاشتباك وتراجع بقواته خارج منطقة

المعركة وقطع التماس مع عدوه وتخلص من المعركة الفاشلة دون أن يمكن عدوه من معرفة نواياه . ولقد ظن قادة الروم أن هذا العمل هو خدعة لجرهم إلى الصحراء والقضاء عليهم في كمين مدبر ولكنها كانت مباغتات القائد العظيم خالد .

٣ ـ حروب الردة :

تحركت قوات خالد وكان ينوي بها سراً نحو قوات طليحة ولكنه كان بحركته يعطي للمتتبع له انطباعاً أنه ينوي السير نحو طي مما يجعل طي تثبت في مكانها ولم تهب لمساندة طليحة فتركت وحدها ودمرها بعد أن انفرد بها كل واحدة على حدة وكان ذلك بالمحافظة على الكتمان والسرية . حيث يقول الحديث الشريف : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » فلم يظهر خالد ما كان ينوي فعله فجعل عدوه في حيرة من أمره فباغتهم على حين غرة فجعلهم في إرباك وفوضى وعدم اتزان لا يعرفون ماذا يفعلون .

٤ ـ فتح بلاد العرق :

اعتمد السرعة وخفة الحركة والظهور في المكان والزمان الذي لا يتوقعه العدو ففتح خلال أربعة عشر شهراً معظم بلاد العراق من البصرة جنوباً وحتى الحدود مع بلاد الشام شمالاً وأنقذ خلالها المسلمين في دومة الجندل .

٥ ـ حركة خالد من العراق إلى الشام عبر الصحراء :

لقد كان عملاً شاقاً ولكنه رائعاً ومباغتة للعدو وسرعة فائقة في ذلك الزمان وتلك الوسائط من النقل حيث ظهرت هذه القوة الكبيرة فجأة في ساحة المعركة وفي وقت لم يكن الروم يتوقعونها وقد استسلمت معظم الحاميات الرومانية في بادية الشام بدون قتال أو بقتال بسيط أن هذه المسيرة التي لم يسجل التاريخ لها مثيلاً قد حدثت رغم قساوة الطقس وارتفاع الحرارة وقلة المؤن والماء وقلة وسائط النقل حيث اقتصرت على الأبل فقط . لقد نفذت هذه المسيرة بصبر وجلد وجرأة تمت المباغتة بالتغلب على طبيعة الأرض

وموانعها الصحراوية حيث لم يكن يتوقع العدو أن يسلك المسلمون هذه الطريق وفي فصل الصيف الحار .

٦ ـ التجديد في الأساليب في كل معركة :

كان خالد بن الوليد يعتمد في كل معركة اسلوباً جديداً في القتال حتى لا يعرف عدوه ما هو النمط الجديد الذي سينفذه في معركته القادمة لذا أصبح يباغت عدوه بشيء جديد حتى أنه لم تكن له معركة مثل سابقتها ففي معركة أحد طبق اسلوب الكر والفر ويوم الخندق أسلوب الصفوف وفي حروب الردة أسلوب النظام الخماسي وقد طبق هذه الأساليب ضد الفرس وأضاف اليها الخماسي مع الكمائن والارتال المتعددة التي ظهرت في أوقات وأماكن لا يتوقعها العدو وكانت لها أكبر الأثر في الانتصارت التي حققها خالد بن الوليد في الفتوحات الاسلامية .

٧ ـ معركة اليرموك :

طبق خالد بن الوليد في هذه المعركة أسلوب الكراديس الذي لم يكن يعرفه العرب قبل هذه المعركة وهو أول من طبق هذا الأسلوب في الفتوحات الإسلامية . كان خالد بن الوليد يباغت عدوه في ظهوره في المكان والزمان المناسب وبسرعة فائقة مع قوة الاحتياط المتحرك لتحقيق الاختراق أو لاحتواء اختراق العدو وكسر حدته وبسرعة البرق يسند الجناح الذي يتعرض لضغط من قوات العدو وفي نفس معركة اليرموك استخدم أسلوب الكمين ففي اليوم السادس من المعركة وهو اليوم الأخير يوم المذبحة الكبرى عندما لاحت له بارقة النصر حيث ارسل القائد المسلم ضرار بن الأزور مع مجموعة من الفرسان تقدر بـ ٥٠٠ فارس لمسك مخاضة وادي الرقاد الوحيدة ليباغت العدو عند هزيمته ومروره من هذا الممر الوحيد بعد أن تكون جيوش المسلمين قد اغلقت في وجه قوات الروم جميع الجهات وبالهول المباغتة عند اصطدام قوات الروم مع الكمين المسلم الذي ظهر في المكان والزمان غير المتوقع فحصر الروم بين شقي الرحى حتى قُتل نصف جيش ماهان في مثلث الواقوصة عند ملتقى وادي الرقاد بنهر اليرموك الخالد .

٨ ـ بعد الذي ذكر نرى أن خالد بن الوليد هو رجل المباغتة حقاً وأن هذا المبدأ الذي رافقه في كل معاركه وحروبه التي تزيد على إحدى وأربعون معركة سواء قبل الإسلام أو بعده فحروبه كلها مباغتة مقرونة بالجرأة والتعرض والإقدام والمخاطرة التي ينتج عنها تمزيق الصفوف والاجهاز على العدو بعد الوصول إلى العمق والمؤخرة .

المبادىء التي طبقها عمرو في حروبه :

الاستطلاع :

كان عمرو بن العاص حريصاً على استكمال المعلومات عن عدوه وعن طبيعة الأرض التي يقاتل عليها وذلك بالاستطلاع الشخصي والاستطلاع بالعيون والأرصاد ، ليتيسر له من بعد عوامل إعداد خطة مناسبة ناجحة ، لقد كان يقدر قيمة الاستطلاع حق قدره فكان لا يقدم على مواجهة عدوه قبل أن يعرف عنه كل شيء ، وكان ذلك من أسباب نجاحه في جميع معاركه ، ففي غزوة ذات السلاسل عاونه أخواله في إمداده بالمعلومات الضرورية لنجاح معركته ، وكان لمعرفته الشخصية بطبيعة أرض فلسطين وبمناطقها المناسبة للقتال وبطرق التقرب إليها وبمزايا أهلها ومزايا الروم أثر حاسم على انتصاره في معارك الفتح في هذه المنطقة ، لقد اقدم على مغامرة استطلاعية فذة عندما لم يكتف بالمعلومات المتوفرة له عن جيش الروم في فلسطين فكان أن قام بالاستطلاع الشخصي لمقر قائد الروم « ارطبون » فاطلع على نقاط الضعف في مواضعهم بنفسه وبذلك انتصر عليهم وكاد هذا النصر يكلفه حياته من جراء مغامرته الاستطلاعية هذه . وكان لحضوره إلى مصر في الجاهلية اثر كبير على معرفته بأحوال مصر وأخبارها ، طرقها وطبيعة أرضها ومدى ما يعانيه أهلها من الروم من اضطهاد ديني وسياسي فلا عجب بعد ذلك أن يقدم على دخول مصر على رأس ثلاثة آلاف رجل فقط إذ لولا تيسر المعلومات الكافية لديه عن مصر وأهلها وضعف حاميتها لما كان من المعقول أن يقدم على فتح مصر بمثل هذا العدد الضئيل من الرجال . كان يحلل طبيعة الأرض وبحسب

تأثيرها على عملياتـه المقبلة ، فهو الـذي أشار على قـادة المسلمين في أرض الشام الاجتماع باليرموك مع ترك الروم لينـزلوا أولاً ، وفعـلاً وبعد نـزول الروم في معسكـرهم انتقـل المسلمـون إلى معسكـر في مكـان منـاسب على طـريق انسحـاب الروم بحيث اصبحت الـطريق الـوحيـدة لهم محـددة إلاَّ عن طـريق المسلمين واستطاع بذلك حصر الروم نتيجة استطلاعه ودراسته لتأثير الأرض .

الأمن وسلامة القوات :

كان عمرو حريصاً على تطبيق مبدأ الأمن وسـلامة القـوات فلقد حـرص على السير ليلاً والاختفاء نهاراً في مسيـرة الإقتراب إلى غـزوة ذات السلاسـل ليتحقق له هدفين أولهما اخفاء حركته مع قواته عن عدوه وثانيهما حماية قـواته من حر الصحراء الـلافح ، كمـا حرص على عـدم إيقاد النـار وعدم المـطاردة لفلول قضاعة أما عدم المطاردة لفلول العدو فكان حماية لقواته من ان تقع في جمع يعده العدو لها لا تقـدر عليه ، خـاصة وأنـه كان يسيـر في أراضيهم لقد نجح في تأمين قواته وسلامتها دوماً إذ كان يتخذ عدة تـدابير أمنيـة شديـدة فما بوغتت قواتـه ولو مـرة واحدة ، كـان لا يصبح ولا يمسي إلاَّ على تعبئـة ، كما حدث في معركة فحل وفي جميع معاركه في فتح مصر ، كان لا يدخل معركة قبل أن تكتمل فيها عوامل عديدة منها أمن وسلامة قـواته ، ولا أدل على ذلـك إلاَّ طلبه للمدد عندما كـان يلاحظ قلة عـدد قواتـه كما حـدث في معركـة ذات السلاسل وفي غيرها من معاركه العديدة التي قام بها ، تلك أمثلة على تـطبيقه لهـذا المبدأ على المستـوى التعبوي ، أمـا تطبيقـه لهذا المبـدأ على المستوى السوقي فقد ظهـر ذلك في فتحـه لليبيا لتـأمين مصر من الغـرب ومحاولتـه فتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب .

المباغتـة :

كـانت معركـة ذات السلاسـل أول عمل قيـادي لعمرو على رأس سـرية ٥٠٠ رجل لصد جمع قضاعة ، كان يسير بهم ليلاً ويكمن بهم نهاراً ، لذلـك بقيت قضاعة غافلة جاهلة بما يدبّر لها ابن العاص حتى فاجأها بالهجوم ، وفي

فتح « نبار اوسرت » كان يعتقد أهلها أن عمرو وجيشه منصرفين في فتح طرابلس فلما تم له فتح طرابلس وجه جزءاً من قواته تتحرك بسرعة فائقة لتسبق أخبار الفتح ووصلت القوة فعلاً قبل أن يعلم أهل سرت بانتهاء فتح طرابلس وكانوا في غفلة من أمرهم ، وكأي يوم عادي شرعوا أبواب مدينتهم لرعي الماشية فدخلها جند المسلمين واعملوا فيهم القتل ولم ينج من أهلها أحداً ، تلك هي بعض أساليب عمرو في تحقيق المباغتة ولقد كان ماهراً بتنويع المباغتة فتارة تكون زمانية وتارة أخرى تكون بالمكان وتارة أخرى عن طريق المناورات الخداعية في الحرب والتي تجعل العدو مقدراً لقوات المسلمين بأكثر من قوتها العددية الفعلية ، ويعتبر عمرو بن العاص بحق استاذاً بل راشداً في هذا المجال تتلمذ على يديه وفي مدرسته الحربية الرفيعة عقبة بن نافع وعبد الله بن حزامة وعبد الله بن مسعود وغيرهم من أبطال وقادة المسلمين .

الاقتصاد بالقوة :

لم تكن حروب المسلمين وفتوحاتهم محصورة في مكان أو متعلقة بزمان ، فهي إنما كانت تساير أوامر الحق جلت قدرته في الجهاد في سبيله وإعلاء لكلمته في شتى بقاع الأرض ، فجاءت فتوحاتهم مستمرة وعلى مسارح قتال متعددة في وقت واحد اتفقت كلها على المبدأ وهو رفع كلمة لا إلّه إلاّ الله واختلفت بالوسيلة فكانت في بعضها صراعاً سياسياً وفي اغلبها صراعاً مسلحاً ، ومهما كانت الأساليب التي اتبعها المسلمون في نشر الدين فقد كانت كلها حروب تدمير وبناء ، تدمير للتكوينات القديمة المختلفة للمجتمعات بمفاهيمها وقيمها وبناءً جديداً لها بما يتفق ومفاهيم وقيم الإسلام ، لذا ، وأمام هذه المتطلبات العظيمة للأهداف النبيلة كان لزاماً على المسلمين التوفيق بين الهدف والوسائل المتوفرة لديهم ، وأملى على القادة اعتبار هذا المبدأ الهام في كل معاركهم وفتوحاتهم ، وقد ظهر تطبيق هذا المبدأ لدى عمرو بن العاص بكل وضوح كان يفكر بعمق وروية واتزان ، يحسب لكل صغيرة وكبيرة حسابها ، وباختصار كان يقوم بعمل تقدير موقف

قبل كل عملية يقوم بها ، وكان يطلب المدد بمقدار واضح بدون زيادة أو نقصان ، كان لا يتسرع في حكمه ولا يستأثر في اتخاذ قرار ، وكان يحتفظ في معاركه بقوة احتياطية يحسم بها الصراع المسلح في اللحظات المناسبة ، لذلك كانت خسائر المسلمين في المعارك التي قادها محدودة وباستمرار ولم ينكسر المسلمون تحت قيادته أبداً .

أما عن شأن الخدعة وارتباطها مع الدهاء فإننا نرى أنهما امران لا يستطيع المتبصر بدقائق الأمور أن يفصل أحدهما عن الآخر على الأقل عندما يواجه معضلة تحليل الخدعة لدى شخصية عظيمة عملاقة كشخصية عمرو بن العاص ، فقد ارتبط ذكاؤه وفطنته وشدة حنكته ارتباطاً وثيقاً مع دهائه ومكره وخداعه ، لقد مزج عمرو حيلته وبعد نظره مع سياسته وحربه ، ومثلما قاتل بسيفه فقد قاتل أيضاً بعقله سواءً بسواء ، ولن نكون مغالين إذا قلنا بأنه أخضع عقله لخدمة أهداف سيفه ، وأعمل بالسيف ما أراد أن يخدم به أهداف عقله ، أرسله النبي ﷺ مطمئناً إلى قدرته وحكمته ودهائه إلى عُمان دون جيش ودون سلاح ، لم يكن معه سوى كتاب من رسول الله إلى الاخوين حكام عمان ، وحقق عمروا أمل الرسول به فأسلم على يديه حكام وشعب عُمان دون أن تراق قطرة دم واحدة .

كان يحارب بعقله كما يحارب بسيفه بل كان عقله أمضى حداً من سيفه ، كان يحاول أن يحول المعركة بين معاوية وعلي من حرب السيف إلى حرب الفكر واللسان لكي يشل قوة رجال علي ، ولقد عمل مجاهداً على تشكيك علي بن أبي طالب باخلص رجاله فكان عمرو بن العاص أول من جند لصالحه من يعمل لحسابه بأسلوب ما يعرف اليوم « بالطابور الخامس » حيث اغرى بعض أهل الكوفة بالمال والوعود ودسهم في صفوف قوات علي بن أبي طالب ، لقد منع أصحاب معاوية الماء عن أصحاب علي بالقوة فلما غلب أصحاب علي على الماء تدخل عمرو بذكائه وحيلته ودهائه مستفيداً ومستغلاً طيبة وشهامة علي بن أبي طالب ، فأورد رجاله الماء بدون قتال ، ولما حاقت الهزيمة بأهل الشام أشار عمرو على معاوية برفع المصاحف ، فدب الخلاف

بين رجال علي ، منهم من أجاب ومنهم من خالف لعلمه بأنه رفعها خدعة وبذلك نجى أهل الشام من اندحار اكيد وتفرق شمل أهل العراق فلم يجتمع بعدها أبداً وفي يوم التحكيم في دومة الجندل كان لعمرو خدعة لن تنسى على مدى الدهر حين اجتمع بصفته حكماً نيابة عن معاوية مع أبي موسى الأشعري نيابة عن علي واتفقا على خلع الاثنين وجعل الأمر شورى بين المسلمين في اختيار غيرهما وهنا أبى مكر عمرو ودهائه إلاَّ أن يتدخل لقلب الأمور رأساً على عقب فترك لأبي موسى الأشعري الحديث أولاً بحجة أنه الأكبر سناً والمقدم عليه فتقدم أبو موسى فخلع علياً ومعاوية وجاء دور عمرو فخلع علياً وثبت معاوية ، وعندما لامه أبو موسى وعاتبه على فعلته لم يجبه عمرو سوى بآية من آيات الله عزَّ وجلَّ وجدها تغني عن أي شرح وتبرير بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ صدق الله العظيم .

وكان قائدنا عمرو بن العاص يجيد الجمع بين الحرب والسياسة لقد عرفت قريش فيه ذلك فأرسلته سفيراً لها لدى النجاشي ، ولقد ساس عمرو البلاد التي فتحها بأسلوب سياسي حكيم استمده من روح الإسلام وأصوله العظيمة ومبادئه الإنسانية فكانت مكاسبه كثيرة وأقبل عليه الناس في مصر وشمال أفريقيا يرحبون به وبالإسلام الذي يدعو إليه ، كان التسامح الديني أول خطوة سياسية موفقة له فقد أباح حرية العقيدة والدين وسار في هذا الاتجاه على نهج الاعتدال والتسامح ولم يكن له هوى مع أحد المذهبين الدينين السائدين في مصر ـ القبط والروم ـ فوقف منهما موقفاً أرضى الطرفين وجعل صلته برجال الدين متساوية تقوم على أساس الاحترام والتقدير وحرية العبادة مع الزام الطرفين بالسياسة العامة التي تقرها القيادة السياسية الإسلامية في حكم البلاد ، وأعظم عمل سياسي قام به هو إطلاق سراح بنيامين وعفوه عن جميع رجال الدين الأقباط ودعوته لهم العودة إلى مخابئهم بعد اثني عشر عاماً من التشرد والغياب في حكم هرقل .

لعب الدهاء دوراً رئيسياً في تحقيق الخدعة في معارك عمرو ضد

الجاهلية والشرك ، كان يحسب لكل شيء حسابه بدقة واتقان ، لا يترك أمراً تحت رحمة الصدف .

الشؤون الإدارية :

إن أية قوة محاربة قل عددها أو كثر تكون دائماً في حاجة إلى ترتيبات خاصة تيسر لها عملها وتخفف عنها ظروف المعركة وأحداثها وهي ما يطلق عليها بمفاهيم الحرب الحديثة بالشؤون الإدارية ، ويضع جميع العسكريين الشؤون الإدارية في المقام الأول ذلك أنها متممة لإعداد السلاح ومتصلة اتصالاً وثيقاً بالمعركة والمقاتلين وسوء تنظيمها يؤدي إلى عواقب وخيمة في وقت المعركة . ولقد كان لها في تخطيط القائد عمرو بن العاص الاهتمام الكافي واثبتت خططه الادارية كفاءتها ومقدرتها ودورها الكبير في كسب الحرب ، إننا لن نشعر بغرابة إذا عرفنا أنه كان وفي بعض قراراته السياسية المتخذة إنما كان يهدف من ورائها إلى مكسب لقواته وجيشه ولا أدل على ذلك من أن أول عمل قام به عمرو بن العاص هو منحه الأمان للبطريق بنيامين ودعاه إلى العودة آمناً على نفسه ومن معه بعد أن بقي مختبئاً مدة ١٢ عاماً عقب ظهور دعوة « قبرص » وإذا أردنا تحليل مثل هذا القرار السياسي الهام ونتائجه ومكاسبه التي استهدفها عمرو من وراءه لاحتجنا إلى بحث خاص لذلك ولكننا سنكتفي ببحث الجوانب الإدارية التي حققها عمرو من وراء هذا القرار المهم وهي :

أ ـ لقد ضمن عمرو بن العاص تقبل أكثرية أهل مصر من الأقباط لجند المسلمين بينهم ، مدفوعين إلى ذلك بحب ورضا ودون ضغط وهذا ناتج عن حب البطريق بنيامين رئيس أساقفة الأقباط وأعلى سلطة دينية لديهم وتصريحاته الكثيرة التي نورد منها ما قاله بعد عودته « عدت إلى بلدي الاسكندرية فوجدت بها أمناً بعد خوف واطمئناناً بعد البلاء وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » .

ب ـ ضمن عمرو بن العاص تعاون أهل مصر مع الجيش الإسلامي وتسهيل

مهمتهم وأمورهم ومن هذه الأمور ما يلي :

١ ـ أصبح لدى القائد عمرو بن العاص ومن بعض رؤساء الأقباط من يقوم بمهمة أداء الاتصال فيما بينه وبين أهل ابلاد ذلك أن أحداً من أفراد الجيش الإسلامي أو قادته لا يعرف لغة الأقباط أو لغة الروم مما يسر التعامل بين الطرفين وسهل التفاهم بينهما .

٢ ـ لقد ثبت تعاون القبط مع جيش عمرو إذ كانوا يقومون باصلاح الطرق وبناء الجسور وتقديم المواد التي يحتاجها الجيش الإسلامي كالمجانيق والسلالم وأدوات اقتحام الأسوار والإمدادات التموينية للمقاتلين وما تحتاجه خيولهم من الأعلاف ، ولقد ساعد القبط في بناء مدينة الفسطاط التي أمر بها عمرو لإسكان وإيواء الجند ، وتقبلوا امر عمرو فيما فرضه على المصريين كافة وهي فريضة الضيافة لمدة ٣ أيام .

الخدعة كأهم مبدأ اعتمده عمرو بن العاص :

قال رسول الله ﷺ : « الحرب خدعة » والخدعة كما هو معروف « متطلب هام » لأي نوع من أنواع الصراع ، وقد ثبت بأنها تساهم بشكل مؤثر في تحقيق المهمة ، وهي عبارة عن « تخطيط مسبق لأحداث مترابطة بقصد منع العدو من جمع المعلومات الحقيقية عن القوات ، وتزويده بالمعلومات المضللة أو الكاذبة لتحقيق المفاجأة ، « قال الشعبي » دهاء العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . أما معاوية فللحلم وأما عمرو فللمعضلات وأما المغيرة فللمبادهة وأما زياد فللكبير والصغير » قال عنه عدوه اللدود داهية الروم « الأرطبون » بألم كبير عميق « خدعني الرجل إنه أدهى الخلق جميعاً » إذن كان عمرو بحق أحد الدهاة المقدمين في المكر والرأي .

وهذا ما اكده عمر بن الخطاب عندما سمع بقرب نشوب المعارك بين

عمرو وارطبون في اجنادين « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عما تنفرج » ويشعر عمرو بقلة المعلومات التي لديه عن عدوه ، فذهب بنفسه إلى مقر معسكر عدوه وقابل ارطبون وحصل على ما أراد من المعلومات ، لقد شعر ارطبون وأحس من خلال لقائه بعمرو وما دار بينهما من حديث ونقاش أن المتحدث أمامه لا بد وأن يكون « عمروا » أو أحد القادة الكبار في جيشه ولكنه لم يكن جازماً ولو أن شكه بأن يكون عمروا أقوى لديه من التحليل الآخر مما دعاه أن يشير إلى أحد جنده ليتكفل بقتله وهو خارج ، وأحس داهية العرب بما يخطط له داهية الروم فرجع إليه وأعدا إياه أن يجلب له في زيارته القادمة عشرة من أبناء عمومته وأخوته ليمثلوا بين يديه فطمع الأرطبون ووافقه فوراً ، وهكذا القى عمرو الطعم الكفيل بأن يضمن له خروجه من معسكر الروم ، ونجح فيه ونجى بنفسه وعاد إلى جنده وقادهم في معركة نصر فوق أرض فلسطين وهي معركة اجنادين ، وانسحب ارطبون بعد هزيمته بباقي قواته الى بيت المقدس ، وبلغ الخليفة ابن الخطاب أخبار النصر فهلل « الله أكبر » ، غلبه عمرو لله درك يا عمرو .

وفي معركة « عين شمس » سار تيودور بعشرين الف مقاتل ليزحزح المسلمين عن عين شمس وقد رغب عمرو أن يشتبك مع الروم في هذا المكان في الصحراء حيث يسهل عليه كرهم اكثر مما لو بقوا متحصنين بحصن « بابليون » المنيع ، ولما علم عمرو بزحف تيودور على عين شمس وضع كميناً في موضع خفي من الجبل الأحمر شرقي العباسية وكميناً آخر في النيل قريباً من أم دنين ولاقى ثيودور بالفريق الأكبر من الجيش ونشب القتال في مكان يسمى الآن « حي العباسية » وقد أيقن كل من الفريقين أن على هذه المعركة يتوقف مصير البلاد المصرية وعندما حمي وطيس المعركة واشتد القتال بين الطرفين وبلغ ذروته أشار عمرو بن العاص فخرج كمين الجبل وانقض انقضاض الصاعقة على ساقه جيش الروم فاختل نظامهم وارتبكت صفوفهم وهرب جزء كبير من قوات جيش الروم إلى جهة الغرب باتجاه « أم دنين » فكان لهم كمين النيل بالمرصاد فخرج إليهم واعمل السيف فيهم وما

هي إلاَّ لحظات حتى كان جيش عمرو بمجموعات قتاله الثلاث يضرب بجيش الروم من جميع الجهات وبسرعة تم القضاء على جيش الروم ولم يبق منه سوى القليل سار بعضهم في النيل وفر الباقي على أرجلهم إلى حصن « بابليون » .

المبادىء الحربية
التي طبقها القائد سعد بن أبي وقاص[1]

١ ـ الأمن :

كان يكمن في النهار ويسير في الليل للمحافظة على سلامة القوات وحفظها وخاصة في المناطق الصحراوية .

٢ ـ الحشد :

فقد سعى إلى جمع الجموع وحشد القوى لتدعيم الموقف نظراً للاستعداد الكبير للفرس في معركة القادسية .

٣ ـ الاستطلاع :

فقد تم استخدام هذا المبدأ خلال إرسال العيون لمعرفة المعلومات عن الفرس من جميع النواحي في معركة القادسية .

٤ ـ المعنويات :

فقد خاض جيش المسلمين معركة القادسية بروح قتالية عالية ، نتيجة لتوجيهات القائد ودفعهم إلى الجهاد بكل شجاعة وصبر .

---

(١) عن كتاب العسكرية الإسلامية وقادتها العظام الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد، الرائد جمال الخلفات .

٥ ـ المفاجأة والحيلة :

وقد تم ذلك عندما ألبس المسلمون الأبل براقع فخافت خيل الفرس وولت هاربة .

وكذلك عندما أغار المسلمون ليلاً على مواقع الفرس واعملوا بهم السيف .

٦ ـ الكفاءة القتالية :

وقد برزت هذه الناحية بشكل خاص في عملية عبور نهر دجلة في موقعة المدائن . إذ اعتبر عملية تحتاج إلى إعداد وتركيب وخطة ومهارة فائقة وشجاعة نادرة وثقة تامة في التنفيذ خاصة في وضع لم يتوفر فيه وسائل نقل العبور وقوات العدو تقف على الجهة المقابلة فكانت عملية العبور بكتيبتي الأهوال والخرساء نموذجاً ناجحاً . إذ قامت كتيبة الأهوال بعمليات الصاعقة وبتأمين منطقة واسعة تسمح باستقبال القوات الرئيسية ثم تقيم رأس الجسر على الجانب الآخر وتقوم كتيبة الخرساء بحمايتها ضد تدخل العدو خلال إتمام عملية العبور .

المبادىء الحربية للقائد طارق بن زياد

١ ـ عبور الموانع المائية :

طبق القائد طارق بن زياد هذا المبدأ لعبور الموانع المائية وذلك على مرحلتين ، ففي المرحلة الأولى قام باحتلال موطىء قدم وفي المرحلة الثانية قام بالعبور كما يطبق ذلك في الحرب الحديثة .

٢ ـ المعنويات :

ظهر هذا المبدأ من خلال توجيهاته المشهورة قبل عملية العبور في جبل طارق ، وقد تميز جنوده بالمعنويات العالية وبالتفكير الخلاق في تنفيذ المهمة .

٣ ـ العمل التعرضي :

فقد كان يمتاز هذا القائد بالروح الهجومية من خلال عملياته في اسبانيا ومعالجته بحزم للمواقف بقوة وإرادة وعزيمة مصممة على القتال .

٤ ـ حشد القوة :

لقد طبق ذلك في عملية العبور وذلك بحشد قوة قتالية من السفن والخيول ، تغلب فيها على عدوه بالاضافة إلى القوة والحوافز المعنوية التي شحن بها جنوده .

٥ ـ الاستطلاع :

عني القائد ـ طارق بن زياد ـ بمبدأ الاستطلاع وذلك بجمعه معلومات وافية ومفصلة عن أسبانيا .

٦ ـ اختيار القصد وإدامته :

كان القائد (طارق بن زياد) يختار مقصده من الهدف من فتح الأندلس دون كلل أو ملل . وكان هذا الهدف منسجماً مع معتقدات الأمة لإعلاء كلمة الله عندما قال في خطبته المشهورة (وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة) .

٧ ـ الشؤون الإدارية :

إن نجاح أي خطة عسكرية مرهون بالإمكانات الإدارية وعملية عبور طارق تحتاج إلى تخطيط إداري فعال لتواكب الخطة التعبوية لما تحتاجه من مهمات خاصة وإدامة فعالة .

٨ ـ الاحتياط :

كان القائد (طارق بن زياد) يهتم بالاحتياط ويظهر ذلك عندما خصص جزءاً من قواته كاحتياط وتقدر بـ ٢٠٠٠ جندي مع خمس سفن لمعالجة المواقف المختلفة .

٩ ـ التعاون والتنسيق :

يظهر ذلك من خلال تعاون قوات طارق بن زياد مع قوات موسى بن نصير في فتح بلاد الأندلس بعد أن تم بينهما التنسيق المتبادل والتعاون الفعال .

١٠ ـ الاقتصاد بالجهد :

ويظهر ذلك بالتصرف الحكيم بجميع المواد والقوات عند مواجهة قوات العدو بحيث تناسب القوة الموقف .

المبادىء الحربية
للقائد أبي عبيدة عامر بن الجراح

١ ـ اختيار القصد وإدامته :

كان يختار قصده في كل فتوحاته في أرض الشام ، ويظهر ذلك بجهاده الطويل لإعلاء كلمة الله بسيفه ولسانه .

٢ ـ المفاجأة :

لقد طبق المفاجأة في معاركه ، واستطاع أن يفاجىء عدوه في أرض الشام في (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) وذلك بواسطة استخدامه لأساليب المناورة والمباغتة .

٣ ـ التعاون والتنسيق :

يظهر ذلك عند قيادته لجيوش المسلمين في الشام بعد عزل خالد بن الوليد ، حيث تابع فتح الشام بادئاً بدمشق بعد معركة اليرموك ثم فحل ، فمرج الروم (سهل البقاع) فبعلبك ، فحمص ، حماة ، فشيرز ، فمعرة النعمان ، فاللاذقية ، فقنسرين ، فحلب ، فانطاكية وقد تمت هذه الفتوح جميعها حتى عام ١٥ هـ .

وبينما كان أبو عبيدة يتابع فتح الشام كان يزيد بن أبي سفيان يفتح الساحل الشامي كصياد وعرقة وبيروت ، وكان عمرو بن العاص يقاتل في فلسطين .

٤ ـ الاحتياط :

بينما كان عمرو بن العاص يقاتل في فلسطين ، إلى أن وصل إلى إيلياء (بيت المقدس) حتى استمد أبا عبيدة لمعاونته في فتحها ، فكان أبو عبيدة نفسه هو المدد ، وتم فتح بيت المقدس على يد عمرو وأبي عبيدة وبحضور الخليفة عمر بن الخطاب .

٥ ـ الحشد :

كان يؤمن بهذا المبدأ وذلك بالحشد المعنوي إلى جانب الحشد المادي لمواجهة العدو والتغلب عليه فقد كان مجاهداً بسيفه ولسانه لاعلاء كلمة (الله) . وكان يفضل المسالمة والمصالحة في أي فتح على الإكراه والمقاتلة .

٦ ـ أبو عبيدة في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي عبيدة جهاده الطويل لإعلاء كلمة الله بسيفه ولسانه في عهد الرسول ﷺ فكان موضع ثقة (النبي) ﷺ ورضاه .

ويذكر له موقفه الرائع في سقيفة بني ساعدة ذلك الموقف الذي كان من عوامل جمع شمل المسلمين ووحدة صفوفهم وعدم تفرقهم بعد النبي ﷺ .

ويذكر له ايضاً فتحه « أرض الشام » : سورية ولبنان وفلسطين والأردن تلك المنطقة التي أمدت المسلمين بسيل جارف من المجاهدين بسيوفهم وبسيل جارف من المجاهدين بأقلامهم .

ويذكر التاريخ له أنه كان أحد العشرة السابقين للإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأنه لم يعش لنفسه بقدر ما عاش للناس ، فرض الجهاد على نفسه ، فلم يكن يستطيع منه خلاصاً . فعاش مجاهداً ومات مجاهداً ولم يختره الله إلى جواره إلاَّ بعد أن بقى اسمه على كل لسان وفي كل قلب ، رمزاً للجهاد الصادق والإيمان العميق والخلق العظيم .

المبادىء الحربية للقائد اسامة بن زيد

(القائد الذي هاجم الامبراطورية الرومانية وجرأ العرب على مهاجمتها)
(ما كنت لأحيي أحداً بالامارة غير اسامة ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو أمير)

عمر ب بن الخطاب

١ ـ التعرض .
٢ ـ المباغتة .
٣ ـ حشد القوة .

ظهرت هذه المبادىء عندما أرسل رسول الله ﷺ أسامة قبل وفاة الرسول بعامين ، حيث أرسله أميراً على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوؤون الإسلام والمسلمين .

وظهرت أيضاً عندما أرسل الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أسامة بن زيد في حملة لتوطيد أمر الإسلام ، وإرهاب أهل الردة والمشركين وقد أكد أبو بكر على إرسال هذه الحملة بقوله (والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لانفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولم يبقى في القرى غيري لانفذته) .

وطلب من أسامة بن زيد أن ينفذ كل ما أمر به رسول الله من أن يبدأ (بقضاعة ثم يأتي آبل) ، فبث الخيول في قبائل قضاعة وقام بالإغارة على ابل ، فمضى أسامة بن زيد وانتهى إلى ما أمر به رسول الله ﷺ .

أساليب ومبادىء
القائد صلاح الدين الأيوبي في الحرب[1]

١ ـ الدفاع :

إن الرجل العسكري العبقري هو الذي يجعل لديه دائماً خطة للدفاع عن وطنه فقد يأتي الوقت الذي يهاجم فيه في عقر داره ويضطر للدفاع عنها ضد المغيرين . كان صلاح الدين الأيوبي قائداً ممتازفا يعرف قيمة الدفاع وأهميته لذلك .

اهتم بأن يجعل لمصر حصوناً قوية تقف أمام المهاجم شامخة غير هيابة .

والفكرة في إقامة الحصون أمران ، الأول أن بلاد الشرق كانت تعتمد على الحصون في دفاعاتها .

والثاني : أن مصر كلها سهول ومن يملك ناحية الجبل المطل على عاصمتها استطاع أن يسيطر على الموقف.

ولذلك انشأ صلاح الدين قلعة في مصر سماها باسمه وقد وضع أسس التحصينات الدفاعية عن بلاده .

---

(١) العسكرية الاسلامية وقادتها العظام، الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد الرائد جمال يوسف الخلفات .

٢ ـ الشورى :

من خصائص القائد المحنك والمقاتل الممتاز أن لا يتقيد برأيه وينفرد بما يراه بل يحاول أن يأخذ بآراء الآخرين ويعمل بما هو مطلوب ومناسب .

لقد كان القائد صلاح الدين عندما يريد أن يقوم بأي عمل عسكري يدعو ر رجاله إلى الاجتماع ويأخذهم بالنقاش ويسمع إلى آراء الجميع ومن ثم يناقش حسنات وسيئات كل رأي ويضع بعد ذلك الخطة المناسبة أو العمل المنطقي الذي يوصل إلى نتيجة سليمة .

٣ ـ تقدير الموقف :

إن تقدير القائد للموقف الحربي له أثر كبير في نتيجة هذا الموقف فكلما كان القائد متخذاً الفكرة والتركيز في تقديره للموقف كانت النتيجة افضل وذات فائدة جيدة ، وهذا ما كان يتصف به القائد صلاح الدين فلقد كان يقدر موقفه في كل لحظة وقد ظهر ذلك في معركة حطين حين انتخب موقع المعركة وأيضاً منع المحاولات التي كان يريدها الأفرنج من قطع خط الرجعة وهذا يدل على حنكته وتقديره الجيد للمعركة وفي جميع معاركه كان له تقدير الموقف الذي يضعه صلاح الدين ناجحاً وصادر عن تفكير عميق وخبرة جيدة مما أدى إلى النصر المؤزر والقضاء على الصليبيين .

٤ ـ الاستطلاع :

لقد كان القائد صلاح الدين يعمل بما هو معروف في الحرب الحديثة بالاستطلاع والكشف وكان يعتمد على عيونه الذين يرسلون الامام لتقصي أخبار العدو وأماكن ضعفه وقوته وكمية القوات المتحشدة وهذا ما قام به في حصار القدس فقد أرسل عيونه لمدة خمسة أيام . اختبروا المناطق الضعيفة واستطاع بعد ذلك ان يجتازها ويستولي على القدس ذلك نلاحظ أن هذا القائد قد طبق هذا المبدأ من مبادىء المعركة الذي يعمل به في الحرب الحديثة .

٥ ـ علاقته بجنده :

إن ثقة القائد بنفسه ثم ثقة قادة وجنوده به لها تأثير كبير في علاقات القائد وجنوده وفي تنفيذ هؤلاء الجنود لأوامر قائدهم وهم مؤمنون تماماً بأن ما يقوله حق . وكان القائد من ذوي الأخلاق النبيلة وكان مؤمناً بأنه يعمل لغرض شريف نبيل وكان واثقاً من أن نصر الله قريب وكل هذا جعل علاقته بجنده علاقة حسنة وإيمانهم به الايمان القوي المتين الذي يصدر عن عقيدة راسخة في قلوبهم . كانت معاملته لجنده حسنة يرفع من مستواهم ويشعر بشعورهم مما زاد في ثقتهم به وقد كانوا يرون فيه الأب والقائد الحاكم العادل .

٦ ـ المحارب الشجاع :

لقد كان القائد صلاح الدين كغيره من القادة العظام في الإسلام يمتاز بشجاعة نادرة لا مثيل لها هي قدوة لجنوده ومرؤوسيه ، يدلنا على ذلك أنه لا يخشى سهام عدوه المرسلة إليه وكان يركب جواده ، وهو مريض ويقود جنده ويندفع أمامهم فإذا طلبوا منه أن يريح نفسه قال : (إنما اشعر بالمرض حين اترك ظهر جوادي) .

لقد كان صلاح الدين قائداً عبقرياً شجاعاً يتصف بالاقدام والجرأة ولقد بنيت شخصيته على أحسن هذه الصفات والمعها ولقد اعتبر من أحد اساطير العظماء الذين لمعوا في ميدان المعركة وميدان التخطيط العسكري والجرأة والشجاعة والإقدام .

صلاح الدين في التاريخ :

يقول المؤرخون إن صلاح الدين من أعظم القادة الذين لمعوا في ميادين القتال وكان يتصف بأنه صاحب القلب الكبير ، وكان مثال الشهامة والنجدة والمروءة وحسن السياسة والتدبير والورع والتقوى ، امتاز بمهارته العسكرية وتعبئة الجند في ميدان المعركة ، وبخططه الحكيمة وإدارته الحازمة إذ كوّن دولة إسلامية متحدة ارهبت الصليبيين ولقد وضع للعالم أسس القيادة الصحيحة ومنبع الصفات المستقيمة للقادة . لقد كان صلاح الدين حاكماً عادلاً ومصلحاً اجتماعياً وأباً رحيماً وسلطاناً قوياً شديداً على الأعداء ، برهن

على حسن إدارته للبلاد على أنه يتصف بصفات الحاكم الإداري الناجح ، والمصلح الاجتماعي المستقيم ، والقائد العسكري اللامع في ميادين العمليات العسكرية الناجحة .

المبادىء الحربية
التي استخدمها شرحبيل ببن حسنة

١ ـ حشد القوات وإكمال أمورها الادارية .
٢ ـ الاستطلاع .

استخدم هذا المبدأ في فتح الأردن حيث استطاع الحصول على المعلومات قبل الفتح بأيام مما اكسبه الوصول إلى الهدف بأقل التكاليف .

شرحبيل بن حسنة الكندي في التاريخ :

يذكر التاريخ لشرحبيل جهاده في أيام النبي ﷺ وجهاده في حروب الردة في أيام أبي بكر الصديق وفتحه الأردن كله .

يكفي أن يذكر التاريخ عنه ، أنه فاتح الأردن وأنه كان لجهاده في أرض الشام أثر كبير في اندحار الروم ونشر الاسلام في تلك الربوع .

مبادىء الحرب
التي طبقها القائد الظاهر بيبرس

١ ـ المرونة .
٢ ـ الاستطلاع .
٣ ـ المفاجأة .
٤ ـ الخدعة .

الظاهر بيبرس في التاريخ :

يذكر التاريخ لهذا القائد بأنه استطاع أن ينزع ممتلكات الفرنج وأن يقصرها على بعض المدن على امتداد الساحل بعد أن كانت ممتدة من غزة إلى قلقيلية .

المبادىء الحربيـة
للقائـد عقبة بن نـافع الفهـري القرشي

(يا رب لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك)

١ ـ إدامة المعنويات :

ظهـر ذلك عنـدما خـرج عقبة بـأصحـابـه وكثيـر من أهـل القيـروان إلى المغرب فدعا بأولاده قبل مغادرته وقال لهم : (إني قد بعت نفسي إلى الله عزَّ وجلَّ فلا أزال أجاهد من كفر بالله) .

٢ ـ المباغتة .

٣ ـ حشد القوة .

٤ ـ التعرض .

٥ ـ الاقتصاد بالجهد .

٦ ـ الأمن .

٧ ـ الادارة .

٨ ـ المحافظة على الهدف .

فقد ظهرت هذه المبادىء في جهاد القائد عقبة بن نـافع في مصـر وليبيا والنوبة والقيروان[١] .

إلى أنـه قاتـل البربـر وهزمهم حتى بلغ (يـالبان) ورأى البحـر المحيط

---

(١) ناحية في الوسط الشرقي لأفريقيا .

فقـال : (يا رب لـولا هذا البحـر لمضيت في البلاد مجـاهداً في سبيلك) ثم قـال : (يا رب لـولا هذا البحـر لمضيت في البلاد أقـاتل من كفـر بك حتى لا يعبد أحد من دونك) .

المبادىء الحربية للقائد عبد الله بن رواحة

١ ـ التعرض :

يظهر ذلك في موقفه في بداية التحرش لبدء القتال في غزوة مؤتة حيث قدم نفسه للموت بشجاعة وإقدام عندما طلب المشركون المبارزة من المسلمين فأسرع لهذا الموقف متقدماً الصفوف رغبة في الشهادة ومناصرة الرسول ﷺ ودعوته ولم يعد من ميدان المبارزة إلاَّ بأمر النبي ﷺ حين أمره أن يعود إلى الصف .

٢ ـ المعنويات :

يظهر ذلك في شجاعته الأدبية ، واستخدامه السلاح المعنوي في كلامه وشعره قول رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم ـ أي على الكفار ـ من وقع النبال) .

ويظهر أيضاً عند استلام القائد عبد الله بن رواحة الراية ونزوله إلى الميدان وهو يقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلنَ أو لتكرهنه
إن اجلب الناس وشدوا الرّنة ... مالي أراك تكرهين الجنة

٣ ـ الحشد :

يظهر ذلك في غزوة مؤتة حيث كان يؤمن بالحشد المعنوي مقابل

الحشد المادي الهائل لعدوه .

فالكثرة في العـدد والعدة كـانت دائماً لأعـداء اسلام ومـع ذلك استهـان المسلمون بوعيد العدو لوعد الله (عزَّ وجلَّ) وهذا ما أكـده القائـد عبد الله بن رواحة عندما وصلت قوات المسلمين إلى معان في طريقها إلى مؤتة إذ قـال : (ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقـاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكـرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة) .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

توجيهات الإسلام في القيادة

الفصل الرابع
توجيهات الاسلام في القيادة

نستعرض في هذا الفصل أنماطاً من القيادة في الإسلام تظهر فيها توجيهات الإسلام في القيادة ، والتي يحث فيها قادة الإسلام رجالهم على التمسك بتقوى الله عزَّ وجلَّ لأنها خير الزاد وأفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب . وقد أمر قادة الإسلام رجالهم أيضاً بالبعد عن المعاصي بقولهم : (وتعملوا في معاصي الله وأنتم في سبيل الله) ، لأن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وقد ظهر في توجيهات قادة الإسلام في القيادة بأن القائد في الإسلام صاحب مدرسة ورسالة ويدرك تمام الإدراك أن قيامه بإعداد أجيال من القادة ، من أسمى واجباته ، وأمانة في عنقه فهو يقبل على أداء الواجب وعلى الوفاء بالأمانة بكل حماسة وإخلاص وحيوية دافقة . . . ولنا في رسول الله (عليه الصلاة والسلام) الأسوة الحسنة (فلقد كان الرسول الكريم هو المعلم الذي تنزل عليه الوحي برسالة الاسلام ليبلغها للناس ، وصاحب المدرسة التي تخرج فيها قادة أمم ، وأبطال حرب ، ورجال إصلاح ، وعلماء وفلاسفة ، ورواد حضارة . . .

ولم يكن هذا الإنجاز الرائع امراً يسيراً أو هيناً ، يكفي أن نقارن بين حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعد الإسلام حتى ندرك السر في ذلك التحول الكبير . . .

فلقد حمل الرسول الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وجاهد حق الجهاد فكانت

مدرسته خير مدرسة وحدت بين الناس ، وجمعت قلوبهم على الحق ، وقادتهم الى الخير وحملت مشاعل الحرية والنور والحضارة للإنسانية جمعاء) .

وهذا ما سنراه بوضوح في توجيهات الإسلام في القيادة .

فها هو أبو بكر (رضي الله عنه) برسالته إلى خالد بن الوليد الذي كان قائداً للواء الأول الذي كلف بقتال طليحة ومالك بن نويرة قائلاً فيها :

« يا خالد عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله ، والرفق بمن معك من رعيتك ، فإن معك أصحاب رسول الله ﷺ أهل السابقة من المهاجرين والأنصار فشاورهم فيما نزل بك ، ثم لا تخالفهم ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً عن الحملة ، فإني لا أمن عليك الجولة .

واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ، وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل وسر في أصحابك على تعبية جيدة واحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وإذا أتيت مصلياً فامسك حتى تسألهم عن الذين نقموا ومنعوا الصدقة ، فإن لم تسمع آذاناً ولم ترى مصلياً شن الغارة فاقتل وأحرق كل من ترك واحدة من الخمس شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان وحج البيت ، حتى إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع وإذا ألقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك وبعضهم لا لك ولا عليك متربص دائرة السوء ، ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة فاستعن بالله على قتالهم فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم فإن كفاك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة ، سر على بركة الله) .

فقائد المسلمين يدعو قائد قواته إلى التمسك بالعقيدة وتقوى الله فإنها خير زاد والتمسك بالجهاد في سبيل الله ويعتمد على الله في قتاله . ويدعو إلى

أمور هامة جداً يجب أن يعيها كل قائد .

وأما الرسالة الثانية التي ارسلها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى أمير الشام يزيد بن أبي سفيان كأحسن وأفضل دستور يضعه رئيس دولة لقواده وجيوشه وتتضمن هذه الرسالة اثنين وثلاثين عنصراً قيادياً وإدارياً .

العنصر الأول :

(إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك) فالقيادة ممارسة عملية وفعلية وليست دراسات ونظريات فقط . والقيادة في الإسلام موجهة لاعلاء كلمة (الله) في خدمة عقيدة القتال للمسلم فالاسلام (دين القول والعمل) .

العنصر الثاني :

(فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن اسأت عزلتك) يرى أبو بكر أن القيادة كفاءة وذلك حسب شروط الإسلام في القيادة والتي يظهر فيها الشرط الأول بالتفاني في العقيدة والسبق إلى الإسلام ومن ثم تأتي الخبرة الحربية والكفاءة وحسب المرؤوسين للقائد .

سأل أبو ذر الغفاري رسول الله ﷺ الأمارة (القيادة) قال : ألا تستعملني يا رسول الله ؟ قال : أنت ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلّا من أخذها بحقّها ، وأدى الذي عليه فيها) . وقال رسول الله ﷺ : (أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة افضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين وأيما رجل أم قوماً وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه)[1] .

وقال أيضاً : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم)[2] .

---

(١) أي لم تتعد .

(٢) أي تدعون لهم ويدعون لكم .

العنصر الثالث :

(فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك) .

فالتقوى خير زاد للمقاتل وأفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب قال الله تعالى : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[1] ﴿ **إن أوليائه إلاَّ المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون** ﴾[2] .

وفي التاريخ أشتد هجوم جيش الترك على جيش قتيبة بن مسلم حتى بلغوا مصاف النساء ، وقتيبة ثابت يسأل عن جندي في الجيش هو (محمد بن واسع) وكان جندياً صالحاً يصحبه دوماً في غزواته . قالوا : هو هناك يدعو الله ويشير بأصبعه إلى السماء وقال : لهذا الأصبع أحب إليّ من مائة الف سيف شهير . وبذلك تحقق النصر لجيش قتيبة على اعدائه نتيجة (لتقوى الله) ولذلك تجد وصية رسول الله والخلفاء من بعده لجيوشهم هي : (تقوى الله) .

العنصر الرابع :

(وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله) .

فالمقياس الذي يقاس به الناس أمام الله (العمل الصحل) قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصحلين** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **إن اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾[4] .

العنصر الخامس :

(وقد وليتك عمل خالد بن سعيد فاياك وعصبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها) .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٨ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٤ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٩ .

(٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

فالولاية في الإسلام موجهة لاعلاء كلمة (الله) فلا ينظر الإسلام إلى مصلحة أمة دون أخرى ولا يتحدث عن قوم دون قوم ولا عن زمان دون زمان .

وطلب الإسلام من المجاهد أن يقاتل لاعلاء كلمة الله في الأرض لا من أجل حمية زائلة ولا انتماء إلى قبيلة أو طائفة ، فلا يجوز تقسيم البلد الواحد (الوطن الواحد) إلى اجزاء وطوائف وانتماءات مختلفة لتمزيق وحدة الجيش والأمة .

فقد قال رسول الله ﷺ (ليس منا من دعا إلى عصبية) وقال : (ليس منا من قاتل على عصبية) (وليس منا من دعا بدعوى الجاهلية) .

العنصر السادس :

(وإذا قدمت على جندك فاحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه)

إن من الأصول المتبعة لدى الأمم أن يبين القادة الأسلوب والطريقة الذي يعتزمونها في توجيه جيشهم نحو الطريقة الصحيحة والأسلوب الأمثل في حاضرهم ومستقبلهم ويظهر ذلك في صحيفة المدينة المنورة الذي طلب وأكد فيها رسول الله ﷺ أن يوحد أهل المدينة ويزيل بينهم الخلافات وأن يقضي على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة بينهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه . وقد عقد معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى ولنرى ماذا أقررت كما ذكر من قبل اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العقيدة العسكرية :

١ ـ قيادة محمد رسول الله لكافة سكان المدينة مسلمين ومشركين ويهود . فإليه يرجع الأمر كله ، وله أن يحكم في كل اختلاف يقع بين السكان وبذلك أصبح محمد ﷺ هو القائد العام في المدينة .

٢ ـ تعاون أهل المدينة جميعاً في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج .

٣ ـ في حالة الحرب لرد العدوان عن المدينة ، تتولى كل طائفة الانفاق على نفسها « على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على

من حارب أهل هذه الصحيفة » وبهذا العمل السياسي والاستراتيجي البارع ، حقق الرسول وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية ، وجعل أهلها جميعاً على اختلاف دينهم يداً واحدة على أعدائهم كما وضع لمجتمع المدينة نظامه الاجتماعي والاقتصادي والعسكري .

وقد بين أبو بكر (رضي الله عنه) في خطبته من أول يوم بايعه المسلمون على الخلافة ما اعتزمه من قيادة الأمة قوله : (إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق إمانه والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه ، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع احد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلاَّ ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلاَّ عمهم الله بالبلاء ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فإن اعصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله) .

العنصر السابع :

(وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكرم ينسي بعضه بعضاً) قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾[1] .

فخير الكلام ما قل ودل فيجب أن تناسب الكلمة الموقف وتعالجه العلاج الشافي بحيث تكون الموعظة حسنة والتوجيه صحيح وسليم لأن هذا يحدث في نفس الجندي أموراً منها[2] :

١ ـ تقوية الروح المعنوية عند الجندي .
٢ ـ حسن الثقة بالقائد .
٣ ـ النشاط الدائم .
٤ ـ العمل باخلاص .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(٢) مجلة الدفاع العربي .

٥ ـ إيجاد روح التعاون والمحبة بين الجند .
٦ ـ القضاء على المشاكل والمخالفات .

فالجنود يصنفون إلى أقسام مختلفة فمنهم من تكفيه الحكمة وهو الصنف الممتاز ، ومنهم من تنفعه الموعظة ، ومنهم صاحب نفس مضطربة قلقة ، فعلاجه يكون بالحجة القوية الدامغة والأسلوب الحسن .

العنصر الثامن :

(وأصلح نفسك يصلح لك الناس) .

يجب أن يعمل القائد على إصلاح نفسه ويحاسبها على اخطائها كما يحاسب الآخرين على أخطائهم .

وقد طلب الإسلام من المجاهد أن يكون مستقيماً في السلم ومتمسكاً بتعاليم الإسلام والدين الحنيف كيف لا ؟ فمن الصعوبة أن يطبق الجندي المقاتل عقيدة القتال في الإسلام بدمه في ساحة المعركة ولا يقيم على شرع الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه في وقت السلم وفي هذا المعنى يقول محمود شيت خطاب في كتابه (العقيدة والقيادة) قائلاً : (إن الذيلا دين له لا يدافع عن الدين ، والذي لا عرض له لا يدافع عن أعراض الناس ، والذي لا يتحلى بالمثل العليا لا يمكن أن يدافع عن المثل العليا) .

وبالتأكيد فإن الملوث لا يستطيع أن يقف في ميدان المعركة ويقاتل كما يقاتل الشرفاء الأبطال الذين يدابعون عن عرضهم وأرضهم وشرفهم بأمانة جندي الحق وإخلاصه .

وهنا أؤكد بأن المجاهد في ميدان القتال (الميدان الأصغر) لا ينتصر على عدوه إلاَّ إذا انتصر على نفسه في جهاده في (الميدان الأكبر) .

العنصر التاسع :

(وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها) الصلاة صلة روحية بين العبد وربه وتعتبر الركن الثاني من أركان الإسلام

الخمسة وهي عماد الدين ومن تركها فقد كفر . ونظراً لأهميتها حافظ عليها الجندي المسلم حتى في القتال كما حصل في وقعة اليرموك حيث صلى المسلمون الظهر والعصر (ايماء) وهم يقاتلون . وفي القتال نزل قوله (سبحانه وتعالى) مبيناً (كيفية الصلاة في القتال آمراً بأدائها) ﴿ **وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا اسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم إنَّ الله أعدَّ للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾[1] فالمجاهد المسلم يجب أن يكون كما قال الشاعر :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أجمل المحراب في المحراب

العنصر العاشر :

(وإذا قدم عليك رسل عدوك فاكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به) حتى لا يكون من الجيش هدفاً يصل إليه بمكروه يكون الاطلاع في المعسكر على النواحي والمعلومات التي لا تضر بأمن الدولة والبلد وعدم الاطلاع على ما ينبغي الاطلاع عليه .

فالعدو لا يرى صلاحه إلاَّ في فساد عدوه ولا رفعة له إلاَّ بسقوطه .

العنصر الحادي عشر :

(ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك) .

إن المكتومية عامل من عوامل بقاء الجيش وسلامته من الانهيار ولذلك يجب أن لا يطلع من قبل الزائرين على المهمات الي لو اطلع عليها العدو لافادته . فلا بد من جوانب استراتيجية خفية في الجيوش والتي لها المساس بسيادة الدولة لتبقى من الأمور السرية والمكتومة والتي يصعب الوصول إليها

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٢ .

وقد لا تعلن من قبل الدولة ولا يطلع عليها أحد وهذا الجانب يتعلق بمجال الاستراتيجية والعقيدة والتنظيم والتسليح من حيث (الكم والكيف والمصدر) وأساليب الاستخدام .

وقد أوجب الإسلام أن يكون هناك أمور سرية في حياة الدولة والحذر من نشرها لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا** ﴾[2] .

العنصر الثاني عشر :

(وانزلهم في ثروة عسكرك) .

يجب أن يطلع الزائر على مظاهر القوة في البلد التي يزورها ، ككثرة الجنود في ميادين التدريب ، أقوياء على مستوى عالٍ من التدريب وذلك يعطي إشعار للزائر بيقظة الأمة واستعدادها وتحفزها لاداء الواجب وذلك لارباك العدو وتحطيم روحه المعنوية وإرادة القتال لديه .

ودليل ذلك ما حصل للقيقلار ـ قائد جيش الروم في أجنادين ـ فقد تحرك الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص من أرض المعركة ـ في بلاد الروم (اليرموك) متجهاً نحو مصر . . . وعسكر قريباً من جيش الروم . . . فارسل القيقلار ـ رجلاً من العرب جاسوساً على جيش المسلمين . فدخل فيهم وأقام يوماً وليلة ثم عاد إلى القيقلار ـ فقال : ما وراءك فقال الجاسوس : بالليل رهبان وفي النهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم ، فقال القيقلار ـ إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ .

العنصر الثالث عشر :

(وكن أنت المتولي لكلامهم وامنع من قبلك من محادثتهم) :

---

(١) سورة النساء الآية ٧١.

(٢) سورة المائدة الآية ٩٢.

على القائد أن يتولى مخاطبة الزائر بنفسه وذلك إذا كان الأمر مهماً ويستدعي ذلك . وله أن يفوض من يراه أهلاً للتفاوض مع رسل العدو لثقته به وأنه لا تؤثر فيه مناورات العدو وإغراءاته . وذلك كما حصل في حرب القادسية فقد وقف رستم قائد الجيش الفارسي وطلب مفاوضاً يفاوضه على المصالحة فكان قائد الحملة (زهرة بن الحويه) يتولى المفاوضة بأمر القائد العام للمسلمين (سعد بن أبي وقاص) .

العنصر الرابع عشر :

(ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك) .

هناك جانب استراتيجي خفي يتعلق بفكر القادة أصحاب القرار والذين يحددون الأهداف للأمة أمام اعدائها سواء في الحاضر أم المستقبل . وهذا الجانب يبقى من الأمور السرية والمكتومة ويصعب الوصول إليه وقد لا يعلن من قبل الدولة . (من المبادىء المعروفة أن الأمة التي تكتم اسرارها الحربية هي الأمة التي يمكن أن تنتصر ، والأمة التي لا تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي لا يمكن أن تنتصر وما يقال عن الأمة يقال عن الأفراد ، لأن الأمة تتكون من افراد)[1] ودليل ذلك على زمن رسول الله ﷺ . فعندما هيأ عليه الصلاة والسلام جيشه لدخول مكة فاتحاً ، بعد أن حدد تشكيلاته وعين قياداته ومع كل ذلك لم يعلم أحد الوجهة التي يريدها الرسول ﷺ .

دخل أبو بكر على ابنته ـ السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تضع جهاز رسول الله ﷺ للسفر ، تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً وما يحتاجه المسافر للقتال . . . فقال لها : « أي بنية . أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت والله لا أدري » .

ولما اقترب موعد الحركة ، صرح الرسول بأنه سائر إلى مكة وبث عيونه ليحول دون وصول انباء حركته إلى قريش . وعندما تحرك رسول الله ﷺ

---

(١) عن كتاب المدخل إلى العقيدة العسكرية ، اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

ووصل جيشه منطقة قريبة من مكة ومع كل هذا لم تعلم قريش الخطة التي بقيت محاطة بالسرية والكتمان . وهذا المبدأ يؤكد وصول المعلومات حسب الحاجة إليها .

العنصر الخامس عشر :

(وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة) .

المشورة قاعدة في توزيع المسؤولية وتحملها من قبل الجميع للوصول إلى المهمة بنجاح لقوله تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[1] وفي الحديث الشريف (ما ندم من استشار ، ولا شقي من استخار) .

العنصر السادس عشر :

(وأسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار) .

إن السمر واليقظة والحديث بالليل من الأمور المهمة التي تعود بالمنفعة العامة على الأمة ومعرفة مشاكلها في أوقات تحتاج إلى وضع حلول مناسبة .

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب : كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة وكذلك في الأمر من أمر المسلمين وأنا معه ، كان يشارك رسول الله وصاحبه (الصديق) أمر الأمة يخططون لمستقبلها . وكان عمر يسمر بالليل ويتفقد الناس ولا ينام إلاَّ القليل من الليل .

فالقائد اليقظ يصعب على عدوه مهاجمته ومباغتته في زمان ومكان غير متوقعين ، والاستهانة بالعدو اعتماداً على الكثرة تؤدي إلى الكوارث في الحرب . وجلب النكبات والويلات وبالتالي الهزيمة (وليس جندياً حقاً من ينام على عدوه ، لأن المبدأ الجصيف في الحرب هو إدخال أسوء الاحتمالات في الحساب . فإن كان احتمال هجوم العدو واحداً بالمائة مثلاً فيجب أن ندخل في حسابنا أن العدو سيهجم مائة بالمائة)[2] .

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٨ .

(٢) بين العقيدة والقيادة ، محود شيت خطاب .

العنصر السابع عشر :

(وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك) .

إن ترتيب الحراسات والخفارات على الجيش وتوزيعهم بشكل مناسب أمراً ضرورياً لمنع العدو من الوصول إلى معسكرات الجيش ومفاجأة القوات . وقد طبق ذلك رسول الله ﷺ في معظم غزواته فقد حاصر عليه الصلاة والسلام يهود بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقد وضع رسول الله ﷺ حراسة شديدة وجعل قائد الحراسات (محمد بن مسلمة) .

وفي غزوة تبوك جعل رسول الله ﷺ على الحراسات (عباد بن بشر) . ومن هذه القواعد بني أبو بكر سياسته في حراسة الجيوش .

العنصر الثامن عشر :

(وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم وفهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه دون إفراط) .

من واجبات المسؤولين تفقد الحرس في اماكنهم بغير علم منهم بأوقات التفتيش للفوائد التالية[1] :

١ ـ الاهتمام بأمر المسؤول .
٢ ـ الاهتمام بما أوكل إليه حراسته .
٣ ـ اليقظة .
٤ ـ الاستعداد لتحمل المسؤولية .
٥ ـ خلق الشعور الداخلي عند الجندي ، بأن الإهمال يوجب العقوبة .
٦ ـ تدريب الجندي بأسلوب خفي يجعله مستعداً لمواجهة المفاجآت .

تأديب الجندي[2] يقسم إلى قسمين :

١ ـ العقوبة المادية :

إذا صدرت الغفلة عن الجندي وكان متعمداً فإنه يعاقب عقوبة بحسب

---

(١) نشرة من اعداد النقيب طاهر محمد موسى العمري لشرح هذا العنصر .
(٢) المصدر السابق نفسه .

إهماله ويرجع بذلك إلى القانون . وإن كان صدورها عنه صدوراً ناتجاً عن ارهاق جسدي أو نفسي ولم يترتب عليها ضرر ولا مفسدة فإنه يكفي في ذلك توجيه النصح والإرشاد ، وإن الإهمال في الوظيفة خيانة للأمانة والله تعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[1] .

٢ ـ التأديب المعنوي :

يؤدب الجندي بالتربية العسكرية الصحيحة وهي ثلاث قواعد :

أ ـ تدريب البدن لتحمل الجندية .

ب ـ تنمية العقل بتوسيع دائرة فكره .

ج ـ تهذيب الروح بغرس الصفات الحميدة التي تحتاجها طبيعة الحياة العسكرية ويكون مبنياً على هذا الأساس .

١ ـ غرس الروح الدينية : قال رسول الله ﷺ (من حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام ـ تطوعاً ـ نهارها) .

٢ ـ الوطنية .

٣ ـ الشجاعة .

٤ ـ حب النظام .

٥ ـ الطاعة .

٦ ـ الاخلاص .

٧ ـ الابتكار (الابداع) .

٨ ـ تحمل المسؤولية .

٩ ـ معرفة الهدف الذي يقاتل ويحرس الجندي من أجله .

العنصر التاسع عشر :

(وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها ايسرها لقريبها من النهار) .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧ .

يجب أن يتم التبادل والتناوب في الوظائف باستمرار لخلق الحيوية والنشاط في الخفير . حتى يناسب التغيير ظروفه وامكانياته . وللقائد تقدير ساعات التناوب لساعات الحراسة .

فالجندي في أول الليل يكون يقظاً ويمتاز بالحيوية والنشاط ويتحمل مقابل ذلك ساعات طويلة في الوظيفة .

أما في آخر الليل فالموقف يختلف والجسم يفقد نشاطه ويتحمل مقابل ذلك ساعات قليلة في الوظيفة .

وهنا يجب على القائد تقدير الساعات بدقة واهتمام لمعالجة هذه المعضلة تقديراً للظروف ولذلك تكون ساعات الوظيفة آخر الليل أقل من ساعات أول الليل حرصاً على وجود النشاط عند الحارس .

العنصر العشرون :

(ولا تخف من عقوبة المستحق) .

العقوبة هي إقامة الحد على المخالف ، وتترك العقوبة لتقديرات المسؤول حسب الظروف والموقف ويشترط أن تكون عادلة ومناسبة قال الله تعالى : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾[1] .

وقال ﷺ : (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .

وأما العناصر التي يجب أن تتوفر في العقوبة[2] :

أ ـ أن يكون الدافع لها المحافظة على أمن الجيش ومصالحه لا دافع الهوى الشخصي حباً للانتقام .

ب ـ أن يكون الحكم تابعاً لمصلحة الجيش .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) نشرة من اعداد النقيب الامام طاهر محمد موسى العمري .

ج ـ أن تكون العقوبة ناجعة حاسمة لمادة المخالفات مهما كانت المخالفات .

د ـ الا يترتب على العقوبة ضرر مؤكد أو فساد أشد فتكاً بوحدة الجيش أو الوحدة التي يخدم فيها .

هـ ـ ألا يكون في العقوبة إهانة لكرامة الجندي وإنسانيته . لأن العقوبة للتهذيب والتأديب . لا من أجل التعذيب وإهانة لكرامة الجندي .

و ـ أن تكون ثمة مناسبة بين العقوبة والذنب فلا يفرط في العقاب ولا يستهين بالمخالفة أو الذنب .

ز ـ المساواة في الحكم والعدل فيه .

العنصر الحادي والعشرون :

(ولا تلجن[1] فيها ولا تسرع إليها[2] ولا تخذلها مدافعاً) .

يجب على القائد التريّث وإعطاء الحكم الصحيح وأن يستمع من المشتكي والمشتكي عليه ويفهم المشكلة ويعطي لها العلاج المناسب ففي العجلة الندامة .

وعلى القائد أيضاً أن يسمح للمشتكي عليه بأن يدافع عن نفسه ويطلب شهود الدفاع إذا لزم الأمر ذلك .

فقد يؤدي حكم القائد إذ لم يتريث إلى الظلم والاجحاف في حق المشتكى عليه . وقد أمر الرسول ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن بقوله : (اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) .

العنصر الثاني والعشرون :

(ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده) .

على القائد أن يهتم بالجنود ومشاكلهم ، ومساعدة الجندي في حل أي

---

(١) اللجاجة : الخصومة ، وسرعة الغضب .

(٢) السرعة : ضد البطء والمسارعة الى الشيء ـ المبادرة إليه والسرعة غالباً تعود بالشر .

مشكلة عائلية قد تواجهه ، مع تفقد شؤونهم وتسديد حوائجهم ومن الأمثلة على ذلك :

كان عمر (رضي الله عنه) يخرج ليلاً يتفقد الناس فسمع امرأة تتغنى بأبيات منها :

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقني أن لا خليل الاعبه
فوالله لولا الله أني أراقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً ... بأنفسنا لا يغتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدني ... واكرام بعلي أن تنال مراتبه

فسأل عمر عن زوجها فأخبر أنه خرج في غزوة طالت غيبته فيها . فرجع عمر إلى ابنته السيدة حفصة (رضي الله عنها) فسألها اكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت ستة أشهر أو أربعة أشهر ، فقال عمر : لا أحبس أحداً من الجيوش أكثر من ذلك .

العنصر الثالث والعشرون :

(ولا تتجسس عليهم فتفضحهم ، واكتف بعلانيتهم) .

على القائد أن يبعد عن التجسس على جنده ـ لمصلحته الخاصة ـ فإن ذلك يغرس الحقد ويضعف التعاون في قلوب المقاتلين قال تعالى : ﴿ **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً** ﴾ .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (إن الأمير الذي تأمر على جماعته إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم) وقال أيضاً : (إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم) .

ويجب على القائد أيضاً أن يكتفي بعلانية جنوده وأن يظن بهم الظن الحسن قال عمر بن الخطاب : (اظهروا لنا حسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر) وقال أيضاً: (إنما كنا نعرفكم إذا الوحي نزل وإذا النبي ﷺ بين أظهرنا ، فقد رفع الوحي وذهب النبي فإنما اعرفكم بما أقول لكم . فمن

اظهر لنا خيراً ظننا به خيراً واثنينا عليه ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه) .

العنصر الرابع والعشرون :

(ولا تجالس العباثين[1] وجالس أهل الصدق والوفاء) .

أمر أبو بكر أن يكون مجلس القادة متميزاً عن غيره من المجالس لأنهم تميزوا بصفات ممتازة ، فالقائد يجب أن يكون مع الخيرة والصالحين ، وأن يبعد عن مجالسة الأشرار والمفسدين في الأرض .

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[2] .

العنصر الخامس والعشرون :

(واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس) .

يجب أن يكون القائد قدوة في الشجاعة والإقدام ، وخير مثال لنا (الرسول القائد) الذي جرح في غزوة أحد عندما كان قائداً متقدماً حيث كسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه) وقد شهد بشجاعته علي بن أبي طالب حيث قال : (إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنا يوم حنين ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو) . فالشجاعة من أهم مزايا الجندي المسلم ، فالمسلم لا يجبن أبداً ويجب أن يكون شجاعاً عنيفاً في القتال قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾[3] .

ويقال في هذا (إن الفن الأساسي في القتال يكمن في معرفة أساليب

---

(١) العبث ، اللعب والباطل ، والعباث الفساد وهو المبالغ في الفساد .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٣ .

تقوية الرباط النفسي والمحافظة عليه في قواتنا مع محاولة تدميره وسط قوات العدو ، والعامل النفسي عامل كبير الأهمية ، فهو الذي يؤدي ظهوره إلى هبوط مفاجيء في معنويات العدو)[1] .

فالجبان يجر الويلات على جنده وعلى أمته ، وويل للأمة إذ اكثر جبناؤها ، وقل شجعانها .

العنصر السادس والعشرون :

(واجتنب الغلول[2] فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر) .

الغلول : اغتصاب شيء من الغنائم مهما كان نوعه وقيمته وبهذا يكون الغلول محرماً ، ويذكر أنه توفي رجل مسلم في غزوة خيبر ، فذكروا ذلك لرسول الله فقال : (صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال : (إن صاحبكم قد غل ، ففتشوا متاعه فوجدوا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين) .

فمن أعظم صفات القائد النزاهة والعفة والبعد عن الخيانة فيذكر بأنه زحف عمرو بن العاص بجيشه من أرض الروم إلى مصر فتأخر الفتح على الجيش إلى ما بعد الظهر ثم كان الفتح . . وكتب عمرو بن العاص كتاب الفتح إلى عمر بن الخطاب يبشره ـ فلما علم عمر أن الفتح قد تأخر أدرك سبب التأخير ، وقال إن في الجيش خيانة وكتب في ذلك إلى عمرو بن العاص . . وإذا بجندي يأتي بقطعة ذهب كان قد غلها . قال الله تعالى محرماً ذلك ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾[3] .

العنصر السابع والعشرون :

(وستجدون أقواماً حبسوا انفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا انفسهم له) .

---

(١) مدخل الاستراتيجية العسكرية (أندريه بوفر) .

(٢) الغلول : الخيانة ، واصله اخذ الشيء في خفاء .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦١ .

يوجب الإسلام عدم التعرض إلى (رجال الدين) وعدم قتلهم أو الإساءة إليهم قال الله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾[1] .

وبذلك حافظ الإسلام على الحرية الدينية واعطاء الحرية الكاملة لاقامة شعائر الدين دون أذى .

العنصر الثامن والعشرون :

(لا تغدر) .

الغدر القيام بمباغتة العدو بعد عقد المعاهدات للصداقة ، والتي يفترض أن تحترم بعدم الاعتداء . ولذلك لم يضمر الإسلام نوايا ضد أي خصم بعد عقد المعاهدات .

فإعلان الحرب مناسب جداً في نظر الإسلام لأنه قد يطلب العدو نتيجة ذلك السلم وينتهي النزاع دون احتدام مسلح . قال الله تعالى : ﴿ **وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين** ﴾[2] وهناك عدة مشاهد خالدة طبقها المسلمون في قتالهم في المحافظة على العهد والمواثيق وعدم اللجوء إلى الغدر والخيانة نذكر منها (فعن الإمام أحمد بن حنبل أن معاوية بن أبي سفيان كان يزحف بجيشه في بلاد الروم وكان بينهم عهد لعدم الاعتداء لمدة معينة فبدأ يتقرب من عدوه حتى يهاجمه قبل أن ينتهي العهد الذي بينهم فنادى أحد الجنود من جيش معاوية قائلاً : (وفاء لا غدر يا معاوية) . إن رسول الله ﷺ قال : من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقض أمرها ، أو ينبذ إليهم على سواء) .

فلما سمع معاوية النداء تروى في الأمر ولم يهاجم الروم . ومن هنا فعلم أن المسلمين أهل وفاء لا أهل غدر .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٥٨ .

العنصر التاسع والعشرون :

ولا تمثل .

المثلة : هي التمثيل بالقتلى بعد قتالهم وقتلهم في المعارك ، فقد أوجب الإسلام دفن جثث القتلى ومواراة سوآتها قال ﷺ : (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) .

وهناك أمثلة على زمن الرسول ﷺ نذكر منها ما يلي : كان هبار بن الأسود قد ضرب بالرمح زينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت من مكة إلى المدينة ونتيجة لذلك سقطت من ظهر الجمل وأجهضت ونزفت ثم ماتت فغضب النبي ﷺ وأهدر دمه وقال : (إذا لقيتم هباراً فأحرقوه بالنار ، ثم قال بعد ذلك لا تحرقوه ، إنما يعذب بالنار رب النار ، إذ لقيتموه فاقتلوه ، ولكن هباراً أسلم بعد فتح مكة فقال له النبي ﷺ يا هبار عفوت عنك وقد أحسن الله بك حيث هداك إلى الإسلام ، والإسلام يجبُّ ما كان قبله) . فما أعظم الإسلام ديناً ورسالة خالدة فكيف لو حصلت الحادثة هذه الآن فماذا يتصرف أصحاب العقائد الباطلة إزاء هذا الحدث ، والجواب الأكيد سيقيمون الدنيا ويقعدونها .

فالحرب في الشريعة الإسلامية متسمة بالرحمة والفضيلة وتكفل كرامة الميت حتى لو كان عدواً ، فالحد الفاصل هو قتله والقضاء عليه فقط .

العنصر الثلاثون :

(ولا تقتل هرماً ولا أمرأة ولا وليداً) .

إن الحرب تبقى في ميدان المعركة . وتأثيرها ضمن ساحة القتال ، وقد يمتد تأثيرها بتدمير المنشآت العسكرية ضمن حدود الدولة ، لأن المعني بالحرب هو الجندي المسلح الذي يقاتل في أي مكان بحدود الدولة .

فلا يجوز ولا بأي حال من الأحوال الاعتداء على المدنيين الآمنين العزل من العدة والتسليح وتخريب مدنهم الآمنة والاعتداء عليهم وقتلهم تحت أي ظرف من الظروف .

فقد وقف النبي ﷺ على امرأة مقتولة ثم قال : (ما كانت هذه لتقاتل ! ثم قال لأحد أصحابه ، الحق بخالد بن الوليد ، فلا يقتلن ذرية ولا أجيراً ولا امرأة) فقد حرم الإسلام قتل الشيخ الفاني لعدم النفع فيه للأعداء وأيضاً الولدان والنساء إذ لم يقاتلن إلى جانب القوات المسلحة .

العنصر الحادي والثلاثون :

(ولا تعقرن شاه ولا بعيراً إلاَّ لمأكله ، ولا تحرقن نخلاً ولا تخربن عامراً) .

حرم الإسلام إهلاك الحرث والنسل وتدمير العالم بآلات الفتك والدمار ظلماً وعدواناً .

فنجد عند وداع جيش اسامة من قبل أبي بكر الصديق قبل مسيره إلى الشام كانت وصيته الخالدة الصالحة في كل زمان ومكان حيث أوصى جنده قائلاً : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاَّ لمأكله . وسوف تمرون بأقوام قد حبسوا أنفسهم في الصوامع للعبادة ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له) ولكن رأي الإسلام إذا تحصن العدو داخل الحصون والقلاع وما في حكمها جاز إتلافها وجواز قطع الأشجار عند الضرورة بدليل : (أن النبي ﷺ لما نزل ببني النضير (وهم اليهود) وتحصنوا بحصونهم ، أمر رسول الله ﷺ بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع اليهود عند ذلك وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الإصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض . فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون من ذلك فساداً واختلفوا في ذلك فقال بعضهم : (لا تقطعوا فإنه مما فاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه ، ولك من الفريقين مجتهد . فنزل الحكم الإلهي بجواز قطع نخيل العدو قال الله تعالى : **﴿ما قطعتم من لينه أو تركتموها قائمة فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾** .

العنصر الثاني والثلاثون :

(ولا تبخس)[1] .

لا يجوز للقائد احتقار الرجال ومعاملتهم معاملة سيئة بل يجب احترامهم ومودتهم ومنحهم كافة حقوقهم بدون نقص ، مهما كان هذا الحق ـ قل أم كثر ـ قال الله تعالى : ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾[2] .

والرسالة الثالثة بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص قائد قوات المسلمين في العراق قائلاً فيها : إني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون معصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإلاَّ ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم ، اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين في سيرهم ، ولا تجشهم سيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم يقض قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلاَّ من تثق بدينه ، ولا يرى أحد من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها. صبروا لكم

---

(١) البخس : النقص .

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٥.

فتولهم خيراً، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . وإذا وطئت أرض العدو فانزل العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك ، وليس عيناً لك وليكن منك عند دنوك في أرض العدوان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم وتنقى للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك . واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ولا تخص بها أحداً تهوي فتضيع من رأيك اكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله أو تعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك . ثم أذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك والله ولي امرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان والحمد لله رب العالمين .

فقد تضمنت هذه الرسالة مبادىء خالدة صالحة لكل زمان ومكان فأمره بتقوى الله عزَّ وجلَّ وهي خير العدة والعتاد فهي تزيد الايمان وتدفع إلى النصر وأيضاً يطلبه أن يبعد هو وجنده عن المعاصي لأنه لا يعقل أن يقاتل المسلم لإعلاء كلمة الله ويعصيه وما الهزائم والنكسات التي لحقت بالمسلمين إلاَّ نتيجة معاصي الجند لأنهم استووا بميزان واحد مع معاصي عدوهم وقد زادوا عليه أيضاً وفي الرسالة دستور خالد ومبادىء عظيمة على كل قائد أن يعيها جيداً وأن يتنبه لها حتى توصله إلى النصر .

أما الرسالة الرابعة والتي توضح أيضاً وجهة نظر الإسلام في القيادة ، فهي التي أرسلها طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب إليه أبوه طاهر كتابه المشهور وعهد إليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه في الآداب الدينية والخلقية والسياسية

والشرعية وحثه على مكارم الأخلاق ومما جاء فيه[1]: (أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عزَّ وجلَّ ومزايلة سخطه واحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عزَّ وجلَّ وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه ، فإن الله سبحانه قد أحسن إليك وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذود عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والأمن لربهم وإدخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ويثبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وإنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعلك المواظبة على ما فرض الله عزَّ وجلَّ عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على سنتها من أسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عزَّ وجلَّ فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصرف فيه رأيك ونيتك واحفض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك وأدأب عليها فإنها كما قال الله عزَّ وجلَّ تهنى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على خلائقه واقتفاء اثر السلف الصالح من بعده وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عزَّ وجلَّ وتقواه وبلزوم ما أنزل الله عزَّ وجلَّ في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله ﷺ ثم قم فيه بالحق لله عزَّ وجلَّ ولا تميلنَّ عن العدل فيما احببت وكرهت لقريب من الناس أو لبعيد واثر الفقه وأهله والدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ فإنه الدليل على الخير كله والقائد إليه والأمر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عزَّ وجلَّ يزداد المرء معرفة واجلالاً له ودركاً للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوفير لأمرك والهيبة لسلطانك والأنسة بك والثقة بعدلك

---

(١) كراسة فن القيادة في كلية القيادة والأركان الملكية الأردنية ص ٢٤ .

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا أخص أمناً ولا أجمع فضلاً منه والقصد داعية إلى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وكذا في دنياك كلها ولا تقتصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد والإعانة والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أولياء الله في دار كرامته ، وأما تعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويمحص من الذنوب وانك لن تحوط نفسك من قائل ولا تصلح أمورك بافضل منه فاته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح عامتك وخاصتك واحسن ظنك بالله ، عزَّ وجلَّ تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ، فإن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم إثم ، فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه فيهم يعنك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم والا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً فإنه يكتفي بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينقص لزادة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما احببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين واحيا لله واخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقديم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ومجزى بما احسن ومؤاخذ بما أساء فإن الله عزَّ وجلَّ جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى ، واقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تفريطك في ذلك يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروؤتك وإذا عاهدت فأوف وإذا وعدت خيراً فانجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي

عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهل النميمة فإن اول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لأن النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقم له امر ، واحبب أهل الصلاح والصدق واعز الأشراف بالحق وآس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثواب الدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وانعم بالعدل في سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار وإياك الحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله وإياك أن تقول أنا مسلط افعل ما أشاء فإن ذلك سريع إلى نقص الرأي وقلة اليقين بالله عزَّ وجلَّ واخلص لله وحده النية فيه واليقين به واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة على أحد اسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله وإحسانه ، واستطاعوا بما اعطاهم الله عزَّ وجلَّ من فضله ، ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدمائهم والإغاثة لملهوفيهم واعلم أن الأموال إذ كنزت وادخرت في الخزائن لا تنمو وإذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الأذية عنهم نمت وزكت وصلحت بها العامة وترتبت بها الولاية وطاب بها الزمان واعتقد فيها العز والمنفعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسس لطاعتك واطيب انفساً بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقك فيه وإنما يبقى من المال ما انفق في سبيل الله ، واعرف للشاكرين حقهم واثبهم عليه وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة

فتتهاون بما يحق عليك ، فإن التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عزَّ وجلَّ وارج الثواب فيه فإن الله سبحانه قد اسبغ عليك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحساناً فإن الله عزَّ وجلَّ يثيب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنباً ولا تمالأن حاسداً ولا تحرمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تراهنن عدواً ولا تصدقن نماماً ولا تأمنن غداراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تحسن باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ولا تزهون فخراً ولا تظهرن غضباً ولا تباينن رجاء ولا تمشين مرحاً ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للنمام عيناً ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي الفعل والرأي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرقة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فإن ضررهم أكثر من نفعهم ، وليس شيء اسرع فساداً لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشرح واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلاَّ قليلاً فإن رعيتك إنما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم وابتدىء من صافاك من أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشرح واعلم أنه أول ما عصى الإنسان به ربه وأن العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عزَّ وجلَّ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل المسلمين كلهم من فيئتك حظاً ونصيباً وايقن أن الجود افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومنصباً وتفقد الجند في دواوينهم ومكانتهم وادر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم معايشهم يذهب الله عزَّ وجلَّ بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً وحسب ذي السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته ذو رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه أحد البابين باستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق إن شاء الله تعالى نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي نعدل عليه

أحوال الناس في الأرض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حسن الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقيم الدين ويجري السنن والشرائع في مجاريها واشتد في أمر الله عزَّ وجلَّ وتورع عن النطف وامض لإقامة الحدود واقل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقتنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صحتك واسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم واثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ، فان الدماء من الله عزَّ وجلَّ بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعلها الله للإسلام عزاً ورفعة ولأهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولأهل الكفر من معاديهم ذلاً وحقاراً فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن أحد خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال ولا تكلف امرأ فيه شطط واحمل الناس كلهم على أمر الحق فإن ذلك اجمع لأنفسهم والزم لرضاء العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً وإنما سمي أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم فيهم خذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه في قواهم أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعمل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدن واسند إليك فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة في عملك واجتررت به المحبة من رعيتك واعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها ذا عُدل وآلة قوة فنافس في ذلك ولا تقدم عليه شيئاً تحمد عقباه أمرك إن شاء الله تعالى ، واجعل في كل مكروه من عملك أميناً يخبر

اخبار عمالك ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأموره كلها فإن اردت أن تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه وإلاّ فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقدره وأتاه على ما يهوى فاغواه ذلك واعجبه فإن لم ينظر فيه عواقبه اهلكته وتقض عليه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله عزّ وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك واكثر مباشرته بنفسك فإن للغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه وإذا اخذت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيثقلك ذلك حتى تمرض منه وإذا امضيت لكل يوم عمله ارحت بدنك ونفسك وجمعت أمر سلطانك وانظر أحرار الناس وذوي الفضل منهم ممن بلوت صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك فاستخلصهم واحسن إليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مؤونتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساً وافراد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين وممن لا يقدر على رفع مظلمته إليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه اخفى مسألة ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك لتنظر فيما يصلح الله به أمورهم وتعاهد ذوي البأساء وايتامهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءاً بأمير المؤمنين أعزّه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للاضرّاء من بيت المال حملة القرآن والمحافظين لاكثره في الجراية على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دوراً تأويهم وقوماً يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى اسراف في بيت المال واعلم أن الناس إذا اعطوا حقوقهم وافضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما تبرم المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه فيها ما يناله به من مؤونة ومشقة وليس من

يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الأجل كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله تعالى ويلتمس رحمته واكثر الأذن للناس عليك وابرز لهم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك وإذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والأجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرئاسة في القرون الخالية والأمم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسننه وباقامته دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله عزَّ وجلَّ واعرف ما يجمع عمالك من الأموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق إسرافاً واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وإيثار مكارم الأخلاق ومعاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك عن إنهاء ذلك اليك في سرك وإعلانك بما فيه من النقص فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهرون لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوّقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل فيه عليك بكتبه ومأموراته وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقاً للحق والحزم فامضه واستخر بالله عزَّ وجلَّ فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى المسألة عنه والتثبت فيه ولا تمتن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه إليهم ولا تقبل من احد إلى الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تضمن المعروف إلاَّ على ذلك وتفهم كتابي إليك وامعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فإن الله عزَّ وجلَّ مع الصلاح وأهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عزَّ وجلَّ رضى ولدينه نظاماً ولأهله عزاً وتمكيناً وللملة والذمة عدلاً وصلاحاً وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فهذا الكتاب عندما شاع وظهر امره اعجب به الناس واتصل

بالمأمون فلما قرأ عليه قال ما ابقى أبو الطيب (ويعني طاهر بن الحسين) شيئاً من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأي والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلاَّ وقد احكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه .

الفصل الخامس

مبادئ القيادة وصفاتها عند الرسول القائد

الفصل الخامس
مبادىء القيادة وصفاتها عند الرسول القائد

يقرر علم النفس العسكري أن للقيادة العسكرية عنصرين ، أولهما صفات القيادة ، التي يجب أن يتصف بها الإنسان ليكون قائداً ناجحاً ، وثانيهما مبادىء القيادة وهي القواعد والأصول التي يجب أن يتبعها القائد ويطبقها عند ممارسته للقيادة .

ويرى علماء النفس أن صفات القيادة هي :

المعرفة ، الحزم ، الابداع الذاتي ، اللباقة ، السلوك ، الشجاعة ، الجلد ، النزاهة والاستقامة ، العدل ، الحماس ، ومن جهة أخرى فبعض المراجع العلمية تورد تفصيلاً لصفات القيادة في الآتي : قوة الشخصية ، اليقظة، حسن المظهر ، الشجاعة ، الحسم ، الثقة ، قوة التحمل ، الجماس ، قوة التأثير ، التواضع ، الروح المرحة ، المبادءة ، النزاهة ، الذكاء ، الحكمة ، العدل ، الولاء ، المشاركة الوجدانية ، اللباقة ، إنكار الذات ، إجادة التعبير والخطابة .

أما بعض علماء النفس فيرى أن من أهم صفات القيادة[1] :

١ ـ أن يكون القائد قادراً وكفئاً في عمله .

---

(١) المدخل إلى العسكرية الإسلامية ، اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

٢ ـ أن يكون دؤوباً على العمل وعلى بذل الجهد المتواصل .
٣ ـ أن يكون حازماً ، وجديراً بالثقة .
٤ ـ أن يكون مستعداً على الدوام لاتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية .
٥ ـ أن يكون قادراً على تمالك نفسه وخاصة في المواقف العصبية .
٦ ـ أن يعمل على تكامل شخصيته وتماسكها .
٧ ـ أن تتوافر لديه القدرة على التعليم .

أما مبادىء القيادة فقد استخلصت من التجارب والدراسات والتحاليل التي أجريت على القيادات الفذة وأساليبها في القيادة ، وأصبح العسكريون في كل مكان يتعلمون هذه المبادىء التي ثبت أن تطبيقها من أكبر عوامل النجاح في القيادة وتحقيق النصر في المعركة وهذه المبادىء هي :

١ ـ معرفة القائد لعمله ولنفسه ولرجاله .
٢ ـ رعاية شؤون الجند وحسن معاملتهم .
٣ ـ المحافظة على أرواح الجنود .
٤ ـ توضيح الأهداف للجنود ومداومة اعلامهم .
٥ ـ اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة .
٦ ـ تحمل المسؤولية وتنميتها في المرؤوسين .

وقد جاءت العقيدة العسكرية الإسلامية بكل ما وصلت إليه دراسات الخبراء وأبحاث العلماء من مبادىء وجعلت لها منزلة رفيعة إذ ربطتها بمبادىء الدين فولدت بذلك أقوى الحوافز التي تدفع إلى اتباعها والحرص عليها .

والرسول القائد هو المثل الكامل والقدوة الحسنة فهو بحق قائد القادة ومعلمهم وصاحب مدرسة ورسالة عظيمة في معانيها وأهدافها .

وإذا كانت الصفات المثالية للقائد قد جاءت نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ كما أسلفنا ، وهي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة .

فإن كل هذه الصفات بل وصفات أخرى غيرها ، اجتمعت في الرسول

القائد ﷺ لذلك فهو المثل الكامل وهو القدوة المثلى كما يقول الله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[1] وهذه الصفات والمبادىء للرسول القائد ﷺ سأقوم بعرضها بهذا الفصل حتى تتحقق الفائدة المرجوة لقادة المستقبل للوصول إلى أهدافهم وتنمية القيادة لديهم (لأن الذين يعملون على إفادة اكبر جزء ممكن من المجتمع الإنساني يعتبرون أرقى الشخصيات جميعاً . وهم في الغالب أقربها إلى درجات التكامل) فكيف بمن أفاد المجتمع الانساني والناس كافة وجاهد لإعلاء كلمة الله وبذلك أحق الحق وأزهق الباطل .

ومن أهم مبادىء وصفات القيادة عند قائد القادة (رسول الله العظيم) ما يلي :

١ ـ الشجاعة الشخصية والجلد :

الشجاعة هي من الخواص العقلية التي تشعر بالخوف من الخطر أو الانتقاد ولكنها تمكن الإنسان من الاستمرار في مواجهة ذلك بهدوء وحزم ويمكنه من السيطرة على نفسه ومن قبول المسؤولية والتصرف كما يجب في الظروف الحرجة ، مع تحمل الآلام والجهد والمشاق .

فيجب على القائد أن يتمتع بالشجاعة الأدبية والبدنية والوقوف إلى جانب الحق ، مهما كانت الظروف ، ومهما كانت المعارضة شديدة . فشجاعة الرسول الشخصية بارزة في كل معاركه التي خاضها ، وفي كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء .

ففي غزوة بدر شهد بموقفه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حيث قال : (كنا إذا اشتد الخطب وأحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله ﷺ) ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو) وفي غزوة حنين ثبت رسول الله ﷺ في مكانه ومعه عشرة من آل البيت من بني هاشم ومن المهاجرين بينهم عمه العباس . وأخذ

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

الرسول ﷺ ينادي عندما تراجع المسلمون في بداية المعركة : (أين أيها الناس ؟ أين . . . هلموا إليّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله . ثم اجتمع حوله مائة مسلم صائحين لبيك يا رسول الله ، وصمد الرسول العظيم أمام قائد الشرك (مالك بن عوف) الذي كان أول المنهزمين .

فقيادة رسول الله ﷺ قريبة من العدو وفي مواقع تقدمه لقتالهم قال ابن عمر :(ما رأيت اشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ ، وأي شجاعة أعظم من أنه قام لأمر الله وحده ومضى قدماً يدعو أقواماً ليس عندهم من مكارم الأخلاق إلاَّ ما كان مرتبطاً بالعزة والأنفة مما كان يؤدي كثيراً إلى شن الغارات والحروب وإهراق الدماء) .

وقد برزت شجاعة الرسول ﷺ في الحرب بصورة ليس لها مثيل في التاريخ[1] . فقد قاد بنفسه ثمان وعشرين غزوة انطوت على كل صور العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومطاردة وحصار وقيام القائد بتولي القيادة بنفسه ، شجاعة لا تؤثر أن تتوارى حيث يتاح لها أن تتوارى) .

٢ ـ كمال الأخلاق وحسن العشرة وعزة النفس :

يجب أن يكون القائد خلوقاً ويتعود على عزة النفس والكرامة ومحمد رسول الله ﷺ اصطفاه الله (عزَّ وجلَّ) ليبلغ اعظم رسالة ودستور عرفته الإنسانية عبر تاريخها الطويل ، ويكفي قول الله عزَّ وجل له : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[2] وكما جاء في كتاب المدخل إلى العقيدة للواء محمد جمال الدين محفوظ : (أما الأخلاق فليست بحاجة إلى الحديث عنها ، فهذا القائد محمد هو رسول الله إلى الناس ، اصطفاه ليبلغ أعظم رسالة ، وكان الله تعالى يريد كرامة رسوله ، فجعله تحت حراسته ورعايته وحفظه من أدناس الجاهلية حتى كان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً وأرجحهم حلماً ، وأصدقهم قولاً وابعدهم عن الفحش ، حتى عرف بين أهل مكة في

---

(١) كتاب المدخل إلى العقيدة ، اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

(٢) سورة القلم الآية ٤ .

حداثة سنه بالأمين ، لأنه استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده) .

أما حسن المعشر فكان يبدأ أصحابه بالمصافحة ويدعوهم بأحب اسمائهم فعن أنس قال : خدمت النبي فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته . وقد قال عليه الصلاة والسلام : (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) .

٣ ـ القابلية واللياقة البدنية :

اللياقة البدنية ضرورية جداً للقائد حتى يستطيع مشاركة قواته في تحمل مشاق القتال والوصول إلى الهدف بأعلى كفاءة وأقل وقت وأقل التكاليف وأقل جهد ممكن ويستطيع القائد بها مواجهة الصعوبات بكل نشاط وحيوية ، وقد كان الرسول القائد (يتمتع بلياقة بدنية قوية ، فكان يصرع الرجل القوي ويركب الفرس عارية فيروضها على السير ، وكان يداعب من يحب بالمسابقة في العَدو) ويقول أبو هريرة رضي الله عنه : (ما رأيت أحداً اسرع من رسول الله ﷺ) في مشيه ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث) وفي ذلك يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه الرسول القائد : (كانت للرسول قابلية بدنية فائقة ، وقد رأيت كيف يلجأ إليه أصحابه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع إليها لتحطيمها ، حيث تتفتت تحت وطأة مطرقته التي يهوي بها ساعده القوي . شارك أصحابه في حراساتهم وفي استطلاعاتهم وفي مسيراتهم الطويلة الشاقة في كافة فصول السنة وأظهر في كل ذلك تحملاً وجلداً يعجز عنه أقوى أصحابه) .

٤ ـ الصبر مع قوة الاحتمال والثبات على المبدأ بارادة قوية ثابتة :

الصبر في الشدائد من أقوى الأساليب لكسب النصر والوصول إلى الهدف النهائي ، والمقاتل يجب أن لا يجزع ولا يخاف ولا تهن قوته . قال تعالى في الاستعانة بالصبر ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ .

فلقد كافح وقاتل النبي ﷺ وتحمل في سبيل ذلك المشاق والصعاب ، فلم يلحقه جزع بل كان شجاعاً حكيماً وصبوراً كريماً ، يعامل أعداءه بالمداراة مع الصمود على كل عناء مصراً على مكافحة من حوله من الناس جميعاً ، حتى يظهر الله دينه ، غير مكترث بتفوق أعدائه .

فلقد كان النبي مثالاً في الثبات على المبدأ وقد كانت حياته كلها مثالاً رائعاً للإرادة القوية الثابتة وهذا ما أكده محمد شديد في كتابه (الجهاد في الإسلام) قائلاً :

(لقد كانت حياة النبي ﷺ حركة دائمة وكفاحاً متصلاً وجهاداً في سبيل الله ، لم يأنس فيها إلى راحة أو متعة ، فصبر على قومه في مكة ثلاثة عشر عاماً ، وصبر على نفسه في المدينة على تربية أصحابه ، وصبر على كيد اليهود ، والمنافقين وصبر على الكفاح والجهاد ، فخرج بنفسه في خمس وعشرين غزوة وبعث سبعاً وأربعين سرية ، وهو الحاكم المسؤول عن كل ما في المدينة ، يخلف المجاهدين في أهليهم وأموالهم ، ويصلي بالمسلمين في المسجد جميع الصلوات ، ويكفل فقيرهم ، ويعود مريضهم ويصلي على موتاهم ويشيع جنائزهم ، ويقضي بينهم ، وهو مع ذلك كله صاحب تسعة بيوت ، ولقد كانت حياته تربية للمسلمين على الصبر وتحمل متاعب الجهاد والصبر الذي يجعل الحياة كلها كفاحاً متصلاً وجهاداً في سبيل الله) .

٥ ـ بعد النظر (سبق النظر) :

في العلم العسكري يسمى هذا : (توقع القادة للأعمال المقبلة) بمعنى أدراك الأمور قبل وقوعها مع ضرورة تفكير القائد بكافة الاحتمالات القريبة والبعيدة ، وإدخال اسوأ الاحتمالات في حسابه .

والدليل على بعد نظر الرسول القائد قبوله بشروط هدنة الحديبية مع إعداد الخطط للمواقف المحتملة عند دخول مكة من جهاتها الأربع بتشكيلات القتال ، فقسم قواته إلى أربعة أرتال .

فقد عرف بعقله النيّر وبصيرته الثاقبة ، أن قبول هذه الشروط نصر

للمسلمين وهذا ما عبره أبو بكر قائلاً : (لم يجلب نصر للإسلام ما جلب صلح الحديبية) وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ قوله تعالى : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾[1] .

(لقد كان محمد يفكر بكل كبيرة وصغيرة ، ويعدّ لكل أمر عدته ويتخذ كافة متطلبات الحذر والحيطة ، لذلك لم يستطع أعداؤه مباغتته في أي موقف ، استطاع أن يباغت اعداءه في اكثر غزواته)[2] .

٦ ـ الشخصية والتواضع :

الرسول القائد يمتاز بكمال العقل وحسن السياسة ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف قدر نفسه ويحترمها ومع ذلك لم يكن متكبراً ولا ذليلاً .

لقد هزت شخصيته دول العالم قديماً وحديثاً ، فملك الصين قديماً وصف المسلمين قائلاً : (لا طاقة لي بأقوام لو شاءوا خلع الجبال الشم لخلعوها) . ومع ذلك كان يكره عليه الصلاة والسلام أن يحوط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطان والملك فكان يقول لأصحابه (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) إنما أنا عبد الله : فقولوا عبد الله ورسوله» وخرج على جماعة من أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا له فقال : (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً) . وهذا هو الوصف الرائع الذي وصفه مشرك من اعداء الرسول . لشخصية الرسول (عليه الصلاة والسلام) عندما أرسلت قريش عروة ابن مسعود الثقفي لمفاوضة الرسول في الحديبية ، فعاد إلى قريش يقول : « يا معشر قريش ، إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد ، لا يتوضأ إلاَّ ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء إلاَّ اخذوه ، وإنهم لن يسلموه لشيء أبداً) فما هي أسباب هذه الشخصية القوية النافذة التي كان يتحلى بها الرسول ﷺ .

---

(١) سورة الفتح آية ١ .

(٢) الرسول القائد ، محمود شيت خطاب .

(كـان رسول الله ﷺ مـواضعاً حليمـاً ، رؤوفـاً رحيمـاً ، ومـع ذلـك لا يستطيع أحد أن يرفع صوته فوق صوت النبي ، ولا يستطيع أحد أن يديم النظر إلى وجه الرسول ، ولا يستطيـع أحد أن يـرد له أمـراً أو يتردد في تنفيـذه . إن أسباب قوة شخصية الرسـول ، هي محبته للنـاس جميعاً ورغبتـه الشديـدة في خيـرهم وهـدايتهم ، وخلقـه العـظيم)[1] تقـول كتب علم النفس (إن درجـة تكـامل الشخصيـة تتناسب تنـاسب « طرديـاً » مع اتسـاع دائرة المجتمـع الذي يرمى الفرد إلى إسعاده ، فأقلها تكاملاً التي يسعى صاحبها فقط لاسعاد ذاته إذ لا بـد أن تتعارض نـزعاتـه الذاتيـة مع نـزعاتـه الاجتمـاعيـة في تحقيق غـايتـه الذاتية . ويليهـا من يسعى صاحبهـا لاسعاد اسـرته وأولاده ثم يليهـا من يعمل صاحبها على اسعاد أقاربه ، ويليها من يعمـل على اسعاد هؤلاء وأصـدقائـه ، ويليها من يعمل لاسعاد أهل بلده أجمعين . وهكذا إلى أن تصل إلى من همه الأول والأخير إسعاد المجتمع بأوسع معانيه وهناً قد نصل إلى مرحلة ربما تبدو مجردة كالبحث عن الحقيقة ومناصرة العدل وخدمة المجتمع) .

فلا عجب أن تكون للرسول القائد كل هذه الشخصية الفـذة في كل مـا ذكـر من صفات ومـزايا حميـدة وخصال رفيعـة ويؤكد ونستـون تشـرتشـل على الشخصية بقوله : (إن شخصية القائد في نـظري هي كل شيء في الحـرب ، هي الروح التي تحارب بها الجنود ، وهي السـلاح الذي يضـربون بـه ، وهي المنبع الذي يستمدون منه قوتهم وإيمانهم بالنصر) .

٧ ـ التوازن والاعتماد على النفس :

الحـرب معانـاة قاسيـة تتطلب قـدراً كبيراً من التـوازن النفسي والاعتماد على النفس ، وذلك بالسيطرة على الأعصاب وبمعالجة المواقف بهدوء واتزان بدون تشنج ومعاناة . ويؤدي الاعتماد على النفس إلى التأكد من تأدية الواجب بالشكل الصحيح وتنفيذ قصد القائـد الأعلى بإرادة قـوية وذكـاء وفعاليـة بغض النظر عن الآراء الشخصية .

---

(١) المدخل إلى العقيدة اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

فالرسول القائد كان يملك السيطرة على الأعصاب في المواقف الحرجة فغزوه أحد شاهد على ذلك ، فلقد أحاط به الأعداء من كل جانب ، ومع ذلك استطاع أن يخلص المسلمين من فناء اكيد ولم يكن سهلاً السيطرة على الأعصاب والاعتماد على النفس يوم الخندق عندما علم بغدر وخيانة اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من الداخل والخارج ولم يكن سهلاً السيطرة على الأعصاب يوم حنين . لما صمد مع عشرة فقط من أصحابه ، ومع ذلك صمد في موقفه وهزم أعداءه . وعند احراز النصر على العدو نجد رسول الله العظيم تواضع وأروع ما يذكر من أمثلة ما كان يوم فتح مكة حينما دخل عليه الصلاة والسلام مكة وقد فاضت عيناه بالدمع شكراً لله (عزَّ وجلَّ) وقد خطب قائلاً : (لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) وأضاف قائلاً : (يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء ، الناس من أدم وآدم من تراب ﴿ **يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء)[1] .

(وقد يعمل الاتزان الانفعالي للقائد في تآلف المجموعة والتفافها حول قائدها . وإذا كانت النبوة قبساً من أخلاقيات القيادة في كل زمان ومكان فإن محمد ﷺ خير سيرة في هذا المجال)[2] .

يروي أنس بن مالك « كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة . . . ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه ، فضحك ثم أمر له بعطاء)[3] .

---

(١) الطليق : الأسير .

(٢) القيادة وفعاليتها الدكتور احمد ماهر البفري .

(٣) البخاري ٤/٦٤ .

٨ ـ الثقة والمحبة المتبادلتان :

الثقة والمحبة من الصفات الهامة والضرورية للقائد لتمتين العلاقة بينه وبين جنوده . وتضم تعليمات فردريك الكبير التقليدية إلى جنرالاته في العام ١٧٤٧ المقطع التالي (يجب أن يمارس القائد اللطف والشدة ، وأن يبدو ودوداً أمام الجنود ، ويتحدث إليهم أثناء سيرهم النظامي ، ويزورهم في مختلف الأوقات ، ويخفف من احتياجاتهم إذا كان لديهم أي منها . . ويجب أن لا يعاملوا بطريقة استبدادية)[1] ومحمد رسول الله ، القائد العظيم كانت ثقة أصحابه به عظيمة جداً ، كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة أيضاً .

فأي ثقة أعظم وأكبر في غزواته (عليه الصلاة والسلام) ، ففي غزوة بدر كانت قوات المشركين ثلاثة امثال قواته ، وفي معركة احد كانت قوات المشركين خمسة أمثال قواته ومع هذا منح الرسول القائد كل الثقة من أصحابه في معارك لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين .

أما محبة الرسول لأصحابه ، ومحبة أصحابه له في كل غزواته فقد كانت محبة عميقة وعظيمة أيضاً وحسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه في معركة أحد ، لما احدق به المشركون من كل جانب وصوَّبوا عليه نبالهم ، فأخذ المسلمون والمسلمات يصدّون عنه النبال المصوبة عليه بأجسادهم ، فقد ألقت نسيبة سقاءها ، واستلَّت سيفاً وأخذت تذود به عن رسول الله ﷺ حتى خلصت الجراح إليها ، فأصيبت يومذاك بثلاثة عشر جرحاً ، وأغمي عليها من النزيف ، فلما أفاقت لم تسأل عن زوجها الذي شهد أحداً ولا عن ولديها اللذين كانا يقاتلان مع الرسول ﷺ بل سألت أول ما سألت بعد أن عاد اليها وعيها : « وكيف حال الرسول ؟ » .

(أما حب الرسول ﷺ لأصحابه ، فيكفي أن نذكر كيف نعى شهداء « مؤتة » وعيناه تذرفان ، وكيف أنه رفض ما اقترحه عمر بن الخطاب حول قتل حاطب بن أبي بلتعة لأنه أرسل كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بحركة المسلمين

---

(١) فردريك الكبير العام ١٩٥١ ، ص ١١ .

لفتح مكة ، بل على العكس ، أمر الرسول ﷺ أن يذكر المسلمون حاطباً ، بأفضل ما فيه .

لقد كان يحب أصحابه حباً لا مزيد عليه ، فإذا سلم عليهم لا يكون البادىء أبداً بسحب يده عن السلام ، وكان يلقى الناس بوجه باسم متهلل حقاً ، وكان يمقت الغيبة وكان البادىء دائماً أصحابه بالتحية)[1] .

فالثقة والمحبة تنمي « روح الجماعة » ، وتوحد الجميع نحو الهدف المشترك والوصول إلى المهمة بأعلى كفاءة .

(إن روح الجماعة في وحدة عسكرية عليا ، شبيهة بروح الفريق ، التي يتحلى بها فريق كرة القدم الفائز . والأهمية هنا هي للجماعة وليست للقائد أو أي شخص آخر . وهي شيء معدٍ ينتشر من خلال الوحدة كوميض البرق . وبإمكانها أن تطوق جميع أفراد الوحدة بضمنهم أحدث الملتحقين بها . وهناك طاقة ونشاط في « روح الجماعة » نظراً لأن بامكانها أن تصبح جوهر الحيوية التي تعزز الاطمئنان ، والولاء والكبرياء ، والثقة والوحدة ، والأخوة)[2] .

٩ ـ الماضي الناصع المجيد[3] :

كانت العرب تعتقد بالنسب ، والرسول من قريش أشرف العرب ومن بني هاشم أشرف قريش ، ولذلك هو أشرف العرب حسباً وأفضلهم نسباً من قبل أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف .

أما سيرته الشخصية قبل بعثته صلوات الله عليه ، فأترك سير وليم ميور (Sir William Myir) يتحدث عن ذلك وقد أوردت هذا الحديث عمداً ـ على اعتبار أن كاتبه ليس مسلماً ـ حتى استبعد اتهام كاتبه بالتعصب والمغالاة .

---

(١) الرسول القائد ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب .

(٢) تولي القيادة تحرير العقيد صامويل هيتر .

(٣) عن كتاب الرسول القائد محمود شيت خطاب .

يقول ميور : « تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا ـ فيما ينسب إلى محمد في شبابه من سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق ـ على صورة نادرة الوجود بين المكيّين ثم يعود فيقول : « ربما وهب له من عقل راجح وذوق رفيع وحرص دقيق وعمق في التأمل ، متخذاً من تأملاته العقلية ـ دون ريب شاغلاً لوقت الفراغ الذي كان يقتله غيره ـ من ذوي الطابع الخسيس ـ باللهو السمج والفجور الماجن والسلوك الخليع . وقد وقع خلق ذلك الشاب القويم ومسلكه الورع والعفّ موقع الحمد والثناء من قلوب قومه جميعاً وبإجماعهم عن طيب خاطر نال لقب (الصادق الأمين) » .

ويقول : « لم يولع محمد بالثراء أبداً ولم تبد منه في أية فترة من فترات حياته الرتيبة الهادئة الوادعة على جلبة الرحلة وضواء التجارة وهموم السفر ، ولم يكن محمد ليفكر أبداً من تلقاء نفسه في مثل هذه الرحلة ، ولكن ما إن اقترح عليه ذلك حتى استشعر نفسه الكريمة على الفور ضرورة البذل لما في وسعه من جهد مساعدة لعمه » . .

كانت حياته لا سيما في فجرها المبكر تتميز بالحنو والعطف على اليتيم والفقير والأرمل والبائس والضعيف والرقيق ولم يذق الخمر أبداً ولم يلعب الميسر . . يقول ميور : « إن أوثق برهان على صدق محمد وإخلاصه ، إن كان اسبق الداخلين في الإسلام من ذوي الاستقامة في خاصة أصفيائه وأهل بيته الذين لا يستطيعون ـ مع معرفتهم الوثيقة بدقائق حياته الخاصة تفصيلاً ـ أن يفوتهم بحال من الأحوال إدراك ما تنطوي عليه أساليب الأفاكين في نفاقهم . من إسدال السقف والأستار على ما يأتون من أعمال تتناقض حقائقها في سريرتهم مع ما يدعون إليه جهراً » .

واسمع إلى زوجه خديجة تقول له مشجعه عندما جاءه الوحي : « ابشر يا ابن العم واثبت . فوالذي نفس خديجة بيده أني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » .

واسمع قول الله تعالى فيه : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ لقد كان

ماضي الرسول مجيداً مشرفاً بإجماع أصحابه وأعدائه على حد سواء .

فمن صفات القائد ومميزاته الشرف والأمانة والسمعة الحسنة ، فعنصر الشرف هو عنصر أساسي في الدستور المهني على مدى العصور ، كما أن الاستقامة والأمانة والإخلاص صفات حيوية وهامة في حياة القائد .

كما وتعتبر سمعته في نظر رؤسائه حاسمة بالنسبة لسيرته ، وتحدد أنواع المناصب والمهام التي يكلف بها .

١٠ ـ روح الدعابة[١] :

كانت الهشاشة والبشاشة والابتسام من صفات رسول الله في أكثر أحيانه ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا كلّت عميت » وإن في سعة النفس[٢] أن ينهض الرجل بعظائم الأمور بل بأعظمها جداً ووقاراً ، وهو إقامة الأديان وإصلاح الأمم ، وتحويل مجرى التاريخ ، ثم يطيب نفساً للفكاهة ويطيب عطفاً على المتفكهين ، ويشركهم فيما يشغلهم من طرائف الفراغ . فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تتسع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة .

فاستراحة محمد إلى الفكاهة هي مقياس تلك الآفاق النفسية الواسعة التي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الانسانية وهي المقياس الذي يبدي من العظمة ما يبغيه الحد في معظم الأعمال .

وكان محمد ﷺ يتفكه ويمزح كما كان يستريح إلى الفكاهة والمزاح وكان دأبه في ذلك كدأبه في جميع مزاياه : يعطي كل مزية حقها ، ولا يأخذ لها من حق غيرها أو يعطي الفكاهة حقها ولا ينقص بذلك من حق الصدق والمروءة .

وإذا مزح محمد ﷺ فإنما كان يعطي الرضا والبشاشة حقها ولا يأخذ

---

(١) المدخل إلى العقيدة العسكرية ـ محمد جمال الدين محفوظ .

(٢) عبقرية محمد ـ عباس العقاد .

لهما من حق الصدق والمروءة . . فكان مزاحه آية من آيات النبوة ؛ لأنه كان كذلك آية من آيات الانسانية ، ولم يكن بالنقيض الذي يستغرب من نبي كريم .

قال لعمته صفية : (لا تدخل الجنة عجوز ! . . فبكت فقال لها وهو يضحك الله تعالى يقول : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً**[1] **فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً** ﴾ وكان عليه السلام يقول لحاضنته السوداء أم أيمن وهي عجوز « غطي قناعك يا أم أيمن » .

وسمعها يوم حنين تنادي بلكنتها الأعجمية « سبت الله أقدامكم ! » .

فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغي إليها ويداعبها بين نذر الحرب وصليل السيوف وأقبل عليها يقول : « اسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان » ! فكانت هذه الدعابة في ذلك الموقف المرهوب حافزاً للأمل والنشوة .

١١ ـ تحمل المسؤولية وتنميتها في المرؤوسين :

تؤكد النشرات العسكرية على وجود عدة وسائل لتطبيق هذا المبدأ المهم منها :

أ ـ تحمل أية مسؤولية تسند إليك لأنها تزيدك خبرة .
ب ـ تدرب على واجبات رئيسك المباشر وأستعد لقبول مسؤولياته .
ج ـ أغتنم أية فرصة تسنح لك لزيادة مسؤولياتك .
د ـ قم بتأدية كل واجب سواء أكان صغيراً أو كبيراً بأحسن ما تستطيع .
هـ ـ تقبل الانتقادات العادلة والأخطاء .
و ـ أصمد بشجاعة لما تعتقد أنه صواب وحق .
ز ـ قدر خطأ المرؤوسين بعناية قبل اتخاذ أي إجراء .

---

(١) المعنى أن أصحاب اليمين يجلسون على فرش مرفوعة على سرر وانشأنا لهم زوجات في الجنة انشاءً جديداً حتى من كانت منهن في الدنيا عجوز فانها تخلق في الجنة شابة بكراً دائماً مهما مسها زوجها .

ح ـ في حالة عدم وجود أوامر تصرف حسب إبداعك الذاتي .

أما تنمية المسؤولية في المرؤوسين ، فهناك عدة وسائل لتطبيق هذا المبدأ :

أ ـ أعمل حسب التسلسل القيادي .
ب ـ بلّغ مرؤوسيك ماذا يجب عمله دون بيان طريقة العمل وحملهم مسؤوليات النتائج .
ج ـ هيء لأكبر عدد ممكن من الأفراد فرصاً كثيرة لممارسة واجبات الرتبة التي رتبهم الحالية .
د ـ كن سريعاً في الاعتراف بانجازات مرؤوسيك عند إظهارهم الابداع والدهاء .
هـ ـ أنصح وساعد الذين هم تحت أمرتك إذا طلبوا ذلك .
و ـ تأكد من أن المناصب تسند إلى أفراد وحدتك حسب مقدرتهم وكفاءتهم .
ز ـ كن سريعاً وعادلاً في مساندة مرؤوسيك ضمن الحدود .
ح ـ أظهر رغبتك في تحمل المسؤولية .

والشعور بالمسؤولية يدخل ضمن مفهوم الواجب ، فيجب على القائد أن يتحمل مسؤولية كل ما تفعله وحدته ، أو تقصر في فعله . وهذا باعتقادي من الواجبات الرئيسية والأساسية ومن الواجبات المفروضة المفصلة ، مع أن هناك التزاماً أدبياً من قبل القائد حول تعاونه مع الآخرين ، ومعاونتهم في تنفيذ مهامهم .

وفي الحديث الشريف (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) وواضح أن الحديث يحدد المسؤولية بحيث لا ينفصل منها أحد فقد ساق أمثلة من القمة إلى أدنى درجات الهرم . ومحمد رسول الله العظيم قدم لنا بنفسه المثل الأعلى في تحمله المسؤولية بكل شجاعة وإقدام .

(أنظر كيف تحمل مسؤولية ثمان وعشرين غزوة وعشرات من السرايا ،

وصراعات اقتصادية واجتماعية وسياسية على الصعيد المحلي والعالمي ، ومجتمع جديد يتكون بكل جوانبه ومشكلاته ومتناقضاته ، وتصاعد أحداثه ومقابلته لقضايا الحياة اليومية من توفير للأقوات الى قضاياه الكبرى المصيرية)[1] .

ولقد اقتدى بالرسول القائد في تحمل المسؤولية من أتى بعده من قادة المسلمين حتى قال عمر بن الخطاب : (لو عثرت دابة بشط الفرات لخشيت أن أُسأل عنها يوم القيامة لماذا لم أمهد لها الطريق ؟) .

وخوف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من أن تعثر ناقة بالطريق على بعد أميال منه لأن الله يحاسبه أن لم يعبد لها الطريق غدا قصة خالدة في التاريخ . . إنه لم يقل : عندي عمال مسؤولون إنما هو أيضاً مسؤول عنهم . . فإن تفويض السلطة لا يمنع المسؤولية .

١٢ ـ معرفة القائد لنفسه ولرجاله ولعمله :

تؤكد النشرات العسكرية في فن القيادة بأنه لمعرفة القائد لنفسه والعمل على تهذيبها عليه أن يستخدم عدة وسائل لتطبيق هذا المبدأ :

أ ـ الاستفادة من دراسة أسباب نجاح أو فشل القادة الآخرين في الماضي والحاضر .

ب ـ حلل نفسيتك بصورة حيادية لترى خواصك الشخصية القوية والضعيفة لتتغلب على الخواص الضعيفة ثم قوي خواصك القوية .

ج ـ التمس عندما ترى ذلك مناسباً آراء الآخرين عن كيفية تحسين خواصك القيادية .

د ـ اتقن فن الكتابة والخطابة الفعالة .

هـ ـ أقم علاقات ودّية مع أعضاء الأسلحة الأخرى والخدمات .

---

(١) المدخل إلى العقيدة العسكرية ـ اللواء محمد جمال الدين .

و ـ نمّ فلسفة الحياة والعمل ، وضع هدفاً معيناً لك واسعى لبلوغه .

أما معرفة الرجال والسعي لرفاهيتهم فهناك عدة وسائل لتطبيق هذا المبدء :

أ ـ المشاركة في مشاكل الأفراد حتى يتم فهمها بصورة أحسن .
ب ـ تأمين الإمكانيات الرياضية والترفيهية في وحدتك .
ج ـ التأكد من توزيع الاجازات والوظائف والمميزات الأخرى بالتساوي والعدل .
د ـ تشجيع التنمية الفردية بإتاحة الفرص الثقافية لأفراد الوحدة .
هـ ـ مشاهدة أفراد الوحدة والاهتمام بشؤونهم العامة والخاصة .
و ـ الاهتمام بأحوال معيشة أفراد الوحدة بما فيه المحيط والطعام واللباس والمأوى .
ز ـ تشجيع النواحي الدينية في الوحدة .
ح ـ تأمين الامكانيات الرياضية والترفيهية في الوحدة .
ط ـ تطبيق العدالة بإنصاف دون خلاف أو تمييز .

والإسلام طلب من القائد معرفة نفسه ، فالانسان الذي لا يعرف نفسه ومميزاتها ، لا يعرف قدراته وحدودها ولا يرجى منه أن يكون قائداً . . والرسول ﷺ يقول : « رحم الله أمرأً عرف قدر نفسه) .

وقد كان رسول الله ﷺ يعرف رجاله تماماً ويعرف نفسياتهم جيداً ، وقد كان قديراً على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

ففي مجال الشجاعة والجرأة في غزوة أحد أمسك الرسول القائد بسيف ، وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قال أبو دجانة فقال : « وما حقه يا رسول الله ؟ » .

قال الرسول : « أن تضرب به العدو حتى ينحني » .

ولقد قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالاً شديداً ودافع بنفسه دون

رسول الله ، فحنى ظهره عليه والنبل يقع فيه ولقد استمال قلوب المؤلفة قلوبهم بالمال بعد حنين (لأن المادة كانت تطغى الى جوانب تفكيرهم وعقولهم) .

قال صفوان بن أمية : (ما زال رسول الله يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلي ، حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه !! » .

ومع ذلك حرم الأنصار من الغنائم لقوة إيمانهم وقد بكوا حتى اخضلوا لحاهم حين قال لهم الرسول : « أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ » قال الأنصار : « رضينا بالله وبرسوله قسماً » .

(لقد كان الرسول يعرف أن بين أصحابه شجعاناً مغاوير فكلفهم بواجبات تحتاج إلى الشجاعة كأبي دجانة وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت ، فتركه مع النساء يوم أحد والخندق واستفاد من شعره البليغ للدعاية ، وكان يعرف من بينهم صاحب الرأي والمشورة ومن بينهم يستطيع قيادة غيره . ومن بينهم من لا يستطيع أن يكون اكثر من جندي بسيط، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه .

إنه لم يحمل شخصاً ما لا يطيق ، وهذا دليلٌ على معرفته نفسيّات وخواص وقابليات اصحابه جميعاً .

ولعل أهم ميزة يمتاز بها الرسول على غيره من القادة والرسل ، هي أنه كان قديراً على اختيار الرجال لما يناسبهم من أعمال . . إنه كان يعرف النفسية البشرية ويقدرها حق قدرها ، ويعرف كيف يوجهها إلى ما يناسبها)[1] .

١٣ ـ معرفة وتطبيق مبادىء الحرب :

يجب على القائد أن يكون كفوءاً من الناحية الفنية والتعبوية وهناك عدة وسائل لتطبيق هذا المبدأ من قبل القائد[2] :

---

(١) الرسول القائد ـ محمود شيت خطاب .

(٢) نشرة في فن القيادة العسكرية .

أ ـ انتشار الثقافة العسكرية الواسعة بحضورك الدورات العسكرية والمطالعة الخاصة والبحث والدرس المتواصل .

ب ـ أبحث عن القادرين وأستفد من مجتمعهم ، وراقب وأدرس أعمالهم .

ج ـ وسع معلوماتك بالاجتماع مع أفراد الأسلحة الأخرى والخدمات .

د ـ فتش عن الفرص لتطبيق معلوماتك بقيادة وحدة لأن القيادة الصحيحة لا تكتسب إلاَّ بالمران .

هـ ـ ابق دائماً متمشياً مع التطورات العسكرية الجارية .

و ـ ادرس وفتش على مرؤوسيك دائماً حتى تتمكن من أخذ صورة واضحة عن امكانيات وتحديدات جميع العناصر التي تحت أمرتك .

ز ـ اغتنم كل فرصة تتاح لك لتحضير نفسك لقيادة أعلى .

ح ـ افهم وطبّق المبادىء الادارية المعقولة .

لقد كان الرسول يعرف مبادىء الحرب بالفطرة السليمة التي تدلّ على استعداده الفطري الممتاز للقيادة ، ولقد طبق هذه المبادىء في ميادين القتال ، مما كان له أثر حاسم وفعال في انتصاراته .

(إن الجيش الإسلامي لم يبلغ إلى ما وصل إليه من أمجاد بقوة السلاح ، فحسب بل لأنه كان جيشاً منظماً وفق أحدث الأسس والأساليب التعبوية ولم يحقق الجيش الإسلامي انتصارات عشوائية بل كانت وفق تقديرات دقيقة محكمة وضعها القادة المسلمون وقام بتنفيذها الجنود الشجعان المسلحون بسلاح الإيمان والإرادة القتالية .

ومما لا شك فيه أن المسلمين أسسوا مجدهم الحربي عن جدارة حربية ومعرفة فنية وأصولية في النواحي التعبوية والاستراتيجية . وليس بمجرد الحظ والصدفة ولكن بالصبر والتصميم على الشدائد .

وقد اشتهر المسلمون بانتصاراتهم المجيدة بسبب العقيدة الإسلامية

المتأصلة في نفوسهم ،ونتيجة لذلك قضوا على أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمان . والحقيقة أن جميع الأساليب الحربية الحديثة قد نقلت من المسلمين وكانت وما زالت هذه الأساليب نبراساً يضيء الطريق أمام القادة في مختلف العصور)[1] .

١٤ ـ قرار صحيح وسريع :

هناك عدة وسائل موجهة للقائد لتطبيق هذا المبدأ[2] :

أ ـ نمّ عملية التسلسل المنطقي بالتمرين المتواصل في تقدير الموقف .

ب ـ خطط لكل حدث متوقع حسب ما يسمح به الوقت والظروف .

ج ـ اعتبر نصيحة واقتراحات مرؤوسيك قبل اتخاذ القرارات .

د ـ عمّم قراراتك في وقت يفسح المجال لمرؤوسيك لعمل الخطة الضرورية .

هـ ـ شجع التقديرات والتخطيط المشترك في وحدتك .

و ـ تأكد دائماً أن ضباط أركانك ومرؤوسيك يعرفون سياستك وخططك الحالية .

ز ـ خذ بعين الاعتبار تأثير قرارك على مرؤوسيك والعناصر المساندة .

إن مفهوم القرار هو الاختيار المدرك بين البدائل المتاحة في موقف معين لتحقيق هدف محدد ، فإذا لم يكن ثمة بدائل وأمام أمر واحد لا بديل عنه فإننا نخرج من مجال اتخاذ القرارات .

وقد شبه بعض الكتاب إصدار القرار بالمقذوف الناري الذي لا يمكن استرجاعه ، ولا بد من مواجهة الموقف بقرار جديد)[3] .

---

(١) العسكرية الاسلامية وقادتها الفطام ـ الرائد بهاء الدين محمد اسعد ، الرائد جمال خلفات .

(١) نشرة في فن القيادة .

(٣) د. عبد الكريم درويش ، د. ليلا تكملا (أصول الإدارة العامة ص ٢٨٣).

وهناك عدة عوامل تؤثر على اتخاذ القرار منها :

إ ـ عوامل شخصية أو التكوين النفسي والاجتماعي لمتخذ القرار .

ب ـ عوامل اجتماعية .

ج ـ حضارية أو ثقافية .

ويهمنا التصرف الرشيد Rationdity في إصدار القرارات وهذا ما كان يمتاز به الرسول القائد ﷺ .

ويستند إصدار القرار الصحيح الرشيد إلى عاملين : القابليّة العقلية للقائد ، والحصول على المعلومات وليس هناك من ينكر القابلية العقلية التي كان يمتاز بها الرسول ، فهو الذي جاهد وكافح وأخضع عقليات متعددة تحت هدف ومبدأ واحد ، ووحد كلمة الأمة الإسلامية لإعلاك كلمة الله .

وفي التاريخ مثل حسبنا من مثل على رشد القرار ألا وهو صلح الحديبية ؛ فقد يصف البعض هذا القرار بأنه سياسي أو ديني أو اقتصادي . . ولكنه عندنا القرار الذي تتخذ منه الفائدة . ففي ذي العقدة من سنة ست خرج رسول الله ﷺ من المدينة معتمراً لا يريد حرباً ، وسمعت قريش بمسيره فخرجوا « قد لبسوا جلود النمور[1] يقول القائل لرسول الله . . . وقد نزلوا بذي طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً . . فيرد عليه الصلاة والسلام يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة »[2] .

وقد كانت نتائج هذا الصلح هامة وعظيمة لدولة الإسلام فيصفه أبو بكر (لم يجلب نصر للإسلام كما جلبه صلح الحديبية) .

---

(١) سيرة النبي ٣/٢٦٥ .

(٢) السالفة ، صفحة العنق .

وفي آثاره يقول الزهري في مسيرة النبي ﷺ : « فما فتح في الإسلام فتحاً قبل كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلاَّ دخل فيه ، ولقد دخل في تلك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر » ويعقب ابن هشام قائلاً : والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف) .

أما الحصول على المعلومات فيكون بوساطة دوريات القتال والاستطلاع ، وبالعيون واستنطاق الأسرى والاستطلاع الشخصي وباستشارة ذوي الرأي .

ويؤكد ذلك محمود شيت خطاب في كتابه الرسول القائد قائلاً : (لقد كان هدف الرسول من كافة السرايا والغزوات التي أرسلها قبل غزوة بدر الكبرى ، هو الحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينة والطرق المؤدية إلى مكة والتعرف على سكانها وعقد الأحلاف معهم .

وفي معركة بدر الكبرى ، أرسل دورية استطلاعية لمراقبة عودة قافلة أبي سفيان ، وأرسل دوريات استطلاعية أمام قواته المتقدمة باتجاه بدر ، وأرسل دوريتي استطلاع قبيل وصول قواته إلى بدر ، بل قام الرسول بنفسه بالاستطلاع الشخصي ليتأكد من قوة قريش والمواضع التي وصلت إليها .

كما استفاد الرسول من استنطاق الأسرى الذين استطاعت إحدى دوريات الاستطلاع القبض عليهم قبيل معركة بدر فعلم منهم بأسلوبه الرائع في الاستنطاق الموضع الذي وصلته قريش وعدد قواتها من الرجال .

واستفاد من معرفة أحد أصحابه خواص مياه آبار بدر وأسلوب السيطرة على مياهها . فبدّل معسكره الأول ليلاً إلى معسكر مناسب يؤمن له السيطرة على مياه الآبار .

هـذه أمثلة من غـزوة بـدر وحـدهـا ، وكـل غـزواتـه أمثلة على تشبثـه بالحصول على المعلومات . لقد عـرف محمد ﷺ كـل نوايـا أعدائـه في وقت مبكر ، واستطاع أن يقضي على تلك النوايا العدوانية قبل أن يستفحل أمرها ؛ فلم يبـرم اليهود ولا القبـائل أمـراً إلاَّ وعرف مـا أبرمـوا فوراً ، فيتخـذ التدابيـر الحازمة للقضاء على نواياهم العدوانية في عقر دارهم ، واستـطاع في كل مـرة أن يفرّق شمل أعدائه قبل أن ينجزوا تحشدهم للتعرض بالمسلمين .

لقـد كان الـرسول منتبهـاً كل الانتبـاه لكل حـركة داخليـة وخارجيـة ولم يتهـاون لحظة عن جمـع المعلومات ، فـلا عجب إذا كانت قـراراته صحيحـة وسريعة ، ولا عجب إذا كانت خططه التي يـرسمها استنـاداً إلى تلك القرارات ناجحة إلى أبعد حدود النجاح) . فصاحب القـرار في دولة الإسـلام العظيمـة هو الله عزَّ وجلَّ الذي بيده الخفايا والنوايا ، فله وحده تكـون سلامـة القرارات وليس للجوانب الشخصية في معظم الأحيان تدخل فيه ، لمعرفته (عزَّ وجـلَّ) بـالمستقبل بكـل ابعاده وطمـوحاتـه قال تعـالى : ﴿ **وما تشـاءون إلاَّ أن يشـاء الله** ﴾[1] .

وإذا كانت الأهداف تتفرع إلى أهداف أصغر . والوسائل تتشابك أحيـاناً أو تتعـدد وتتغير وتتـداخل فـإن هدف المسلم في اتخـاذ القـرار الله عـزَّ وجـلَّ القـائل : ﴿ **إن الـذين قالـوا ربنا الله ثم استقـاموا تتنـزل عليهم المـلائكـة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾[2] .

---

(١) سورة الانسان الآية ٣٠.

(٢) سورة فصلت الآية ٣٠.

الفصل السادس

نظرية الإسلام في إعداد القادة

الفصل السادس

نظرية الإسلام في إعداد القادة

يمكن من دراسة توجيهات الإسلام في القيادة وصفاتها ومبادئها التي ذكرناها أن نستخلص الأسس التي تقوم عليها نظرية الإسلام في إعداد القادة .

الأساس الأول : التحلي بصفات القيادة :

يجب على القادة التحلي بصفات القيادة والتي يراها علماء النفس كما يلي :

١ ـ أن يكون القائد قادراً وكفؤاً في عمله .
٢ ـ أن يكون دؤوباً على العمل وعلى بذل الجهد المتواصل .
٣ ـ أن يكون حازماً وجديراً بالثقة .
٤ ـ أن يكون مستعداً على الدوام لاتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية .
٥ ـ أن يكون قادراً على تمالك نفسه وخاصة في المواقف العصبية .
٦ ـ أن يعمل على تكامل شخصيته وتماسكها .
٧ ـ أن تتوافر لديه القدرة على التعليم .

وهذه الصفات يجب أن تتوافر في القائد حتى يستطيع أداء مهمته بكفاءة وأن يرفع معنويات رجاله وأن ينجح في قيادتهم نحو الهدف المحدد .

فالإسلام يوجه القادة إلى التحلي بصفات القيادة ، فنجد أن كل هذه

الصفات بل وصفات أخرى غيرها قد اجتمعت في قائد جيش الإسلام الأول وهو القدوة المثلى كما يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[1] فالقائد في الإسلام صاحب مدرسة ورسالة ويدرك تمام الإدراك أن قيامه بإعداد أجيال من القادة ، من أسمى واجباته لأنه يتوقف بالتأكيد نجاح ومهمات وأعمال القوات المسلحة وقت السلم والحرب مباشرة على مستوى قيادتها .

ولنا في مزايا القيادة لقادة الإسلام القدوة والمثل الصالح وفي هذا المعنى يقول الرائد الركن بهاء الدين محمد والرائد جمال خلفات في كتاب العسكرية الإسلامية : (علينا التأسي بأولئك الأبطال الميامين الذين اجتذبهم الإسلام من الكهوف وأغوار الوديان حفاة عراة ثم أقعدهم بعد أن صهرهم في بوتقة الإيمان أمام دفة قيادة الدنيا فصنعوا بالإسلام وصنع الإسلام بهم تاريخاً لم تشهد الدنيا مثله في البناء والعظمة والنزاهة والإشراق تاريخاً في خلقه عظيماً في بطولته فذاً في استقامته مفلحاً في قيادته شباب يجمع بين صدق أبي بكر وعدل عمر ونبل عثمان وفروسية علي وبسالة خالد وحنكة عمرو وحلم معاوية وإقدام الزبير) .

لقد أوجب الإسلام على القائد المسلم مبادىء وصفات خالدة منها : ذكر الله في ساحة المعركة وعند البأس ، والصبر في ميدان القتال ، والشجاعة في المعركة ، والرغبة في نيل الشهادة وصفات ومبادىء أخرى ، عندما طبقوها انتصروا في الحرب وانتصروا في السلام .

فيجب على القائد أن يكون قدوة في الأمانة والشرف وأن يتحلى بالمثل العليا وفي هذا المعنى يقول محمود شيت خطاب في كتابه (العقيدة والقيادة) : (إن الذي لا دين له لا يدافع عن الدين ، والذي لا عرض له لا يدافع عن أعراض الناس ، والذي لا يتحلى بالمثل العليا لا يمكن أن يدافع عن المثل العليا.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

هل يمكن أن يدافع الديوثون والبغايا عن الشرف الرفيع ؟! هل يمكن أن يدافع المتنكر للمثل العليا عن المثل العليا !) .

وبالتأكيد فإن الملوث لا يستطيع أن يقف في ميدان المعركة ويقاتل كما يقاتل الرجال الشرفاء الأبطال الذين يدافعون عن عرضهم وأرضهم وشرفهم بأمانة جندي الحق وإخلاصه .

الأساس الثاني : اكتساب القائد لصفات المقاتل :

إن بناء المقاتل أساس لبناء القائد ، وبالتأكيد فإنه من الخطورة بمكان ترك الحرب إلى العسكريين ، ومن الخطورة أيضاً ترك الحرب إلى السياسيين .

فالتعاون الوثيق بين العسكريين والسياسين في الحرب الحديثة يعتبر أمراً حيوياً . ونظرية الإسلام في اعداد القادة تؤكد بأنه لا يقود المقاتلين إلاَّ مقاتل مدرك لجميع المواقف والظروف والأحداث ، وأن يعمل بالدبلوماسية والحنكة لمواجهة الأحداث المتغيرة ويتميز بصفات جندي الحق واخلاصه . وقد قررت النظرية الإسلامية لبناء المقاتل مزايا وفضائل حربية على أمثل وأكمل الوجوه مثل الشجاعة والغيرة على الشرف والايمان بالحق والولاء له مهما تكن المقاومة شديدة . والقتال عن عقيدة ومبدأ واضح ومحدد لإعلاء كلمة (الله) وهذا ما أكده محمود شيت خطاب في كتابه (العسكرية العربية الإسلامية) بقوله : (إن الإسلام بتعاليمه السمحة الرضية جعل بحوافزه المادية والمعنوية المسلم الحق ، مطيعاً لا يعصي ، صابراً لا يتخاذل ، شجاعاً لا يجبن ، مقداماً لا يتردد ، مُقبلاً لا يعز ، ثابتاً لا يتزعزع ، مجاهداً لا يتخلف ، مؤمناً بمثُل عُليا ، مضحياً من أجلها بالمال والروح ، يخوض حرباً عادلة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، مدافعاً عن الأرض والعِرض وحرية انتشار الدعوة وصيانتها وعن المسلمين في دار الإسلام .

وهذا المؤمن الحق ، يقظ أشد ما تكون اليقظة ، حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتأهب لعدوه ويُعدّ العُدة للقائه ولا يستهين به في السلم والحرب ، ويجاهد بأمواله وروحه في سبيل الله) .

وكلّ هذه التوجيهات العسكرية مستمدة من القرآن الكريم الذي احتوت آياته المحكمة على ترسيخ العقيدة العسكرية الإسلامية في عقول المسلمين وقلوبهم بكل ما فيها من أسس وتفاصيل .

الأساس الثالث : المشاركة في التخطيط للمعارك (الشورى) :

من أهم ما يفيد في إعداد قادة المستقبل اشتراكهم في التخطيط للمعارك بالتفكير والمناقشة وإبداء الرأي انطلاقاً من القاعدة التي تقول : (فكّر ثم فكّر ثم فكّر ناقش واستشر ثم قرر) والإسلام أمر بالشورى ، واعتبرها من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، وطبقها الرسول ﷺ خير ما يكون التطبيق حتى قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه : « ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » ومن أحاديث الرسول ﷺ في الشورى قوله : (ما ندم من استشار) وقوله أيضاً : (ما شقى عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي) .

ويحقق مبدأ الشورى من زاوية اعداد القادة أهدافاً عدة نذكر منها :

١ ـ الشورى تحقق مبدأ اشتراك المنفذين في التخطيط :

إن الشورى تحقق مبدأ اشتراك المنفذين في عملية التخطيط وهو من أهم دعائم الكفاية في الأداء وفي انجاز الأعمال والوصول للهدف بأعلى كفاءة وبأقل التكاليف .

ولهذا الأسلوب الفوائد التالية :

أ ـ يجعل المنفذين أكثر تفهماً للأهداف التي يراد تحقيقها .

ب ـ ويضمن كذلك واقعية الخطة وامكانية تنفيذها بسهولة ، وقد أجمع الخبراء العسكريون وعلماء الإدارة على أن « الخطط ذات الشأن هي تلك التي يكون لديها فرصة اكبر في التنفيذ ، وتأسيساً على هذا فإن مسؤولية أجهزة التخطيط لا تنحصر في مجرد وضع الخطط ، وإنما يلزم أن تتأكد من أن هذه الخطط قابلة للتنفيذ بحيث تتحقق الأهداف

المتوخاة »[1] .

ج ـ الشورى تهيء الفرصة للتدريب على القيادة :

لقد كان للقادة في الإسلام مجالس شورى يناقش فيها عدة مواضيع منها أمور الحرب ومكائدها . تشبه إلى حد بعيد ما يعرف اليوم بهيئة رئاسة الأركان وقادة الأسلحة والخدمات في الجيوش المعاصرة ، لإبداء الرأي والمشورة في الأمور والقرارات الحربية .

والشورى تنمي عند القادة التفكير العلمي والعملي لبحث المعضلة وتحديدها وحلها حسب ما يلي :

(تحديد الأهداف ـ فحص وتحليل المعلومات ـ وضع الفروض واختبارها ـ استعراض البدائل والمفاضلة بينها اختيار البديل الأمثل ـ إصدار القرارات ـ تقويم الحلول . . . الخ) كما تدرب الشورى القادة على المبادأة والتصرف السليم في المواقف الطارئة .

والأمثلة على تطبيق مبدأ الشورى في الإسلام اكثر من أن تحصى ففي غزوة أحد استشار النبي ﷺ أصحابه في مبدأ البقاء في المدينة ولقاء قريش فيها أو لقائهم خارجها ، فاستقر الرأي على الخروج واستجاب الرسول ﷺ وقال لهم : « لكم النصر ما صبرتم » . وفي غزوة بدر أيضاً طبق الرسول القائد مبدأ الشورى في دخول المعركة ضد قريش واستقر الرأي على قبول المعركة .

وقد نزل الرسول ﷺ على رأي الحباب بن المنذر الذي رأى ان ينتقل الجيش إلى مكان أفضل من الأول ـ قريب من ماء بدر ـ .

الأساس الرابع : المحافظة على أرواح الجنود وسلامتهم :

من أهم واجبات القائد المحافظة على سلامة قواته وحماية خطوط مواصلاتها وقد اهتم بعض القادة بهذا المبدأ منهم نابليون ومونتجمري الذي

---

(١) أصول الادارة العامة ـ د. عبد الكريم درويش ـ د. ليلى تكلا .

أكّد على أهمية هذا المبدأ في قوله :

« عندما اصبحت قائداً كبيراً وضعت نصب عيني أهمية معرفة الجنود بوجود قادة من مختلف الرتب يقفون خلفهم ويبذلون كل ما في وسعهم للعناية بهم ، والقائد الذي يحرص ويعنى أشد العناية بالمحافظة على أرواح رجاله يستطيع أن يحقق النصر بأقل خسائر في الأرواح لأنه يحصل على ثقة جنوده ، وبذلك سيتبعونه عن إيمان وثقة راسخة » .

وإذا كانت المحافظة على أرواح الجنود وسلامتهم قد اصبحت مبدأ من مبادىء القيادة في العصر الحديث ، فإنه سبق للإسلام تقرير هذه المبادىء منذ أربعة عشر قرناً .

فالأصل في الحرب الإسلامية هو السلامة والحماية . . . أعني سلامة الدعوة إلى الله ، وحماية المؤمنين بها .

فقد وضع الرسول ﷺ الحراسة الشديدة في غزوة أحد على المدينة خلال الليل عندما وصلته المعلومات من عمه العباس حول استعداد قريش للهجوم على المدينة ، وخلال الغزوة أرادت كتيبة يقودها ابن أبي أن تشارك في حرب قريش فرفض الرسول قائلاً : « لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ما لم يسلموا » فهذا يدلنا على حرص الرسول القائد على سلامة رجاله .

وفي غزوة ذات الرقاع خشى الرسول أن يهاجمه بنو غطفان فقال لقومه : « من يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فاستجاب لدعوته عمار بن ياسر وعبادة بن بشر وتناوبا معاً الحراسة . ولا يفوتنا أن نذكر أن السلامة تشمل بجانب سلامة القوات المحاربة سلامة الأمة باسرها ، فنجد أن استراتيجية الردع التي بنيت في الإسلام على التلويح والتهديد بالقوة وليس استخدامها تعطي السلامة والمحافظة على أرواح الجنود في الإسلام ، وأيضاً الاستراتيجية غير المباشرة والاقتراب غير المباشر . وقيام العقيدة العسكرية الاسلامية على أصول الادارة العلمية ـ في مجال إدارة الصراع المسلح ـ بالاضافة إلى قلة الخسائر في

الغـزوات والمعارك الاسـلامية كـل هـذا ينـطوي على المحـافـظة على أرواح الجنود، ويؤدي إلى كسب الحرب بأقل الخسائر .

الأساس الخامس : توضيح الأهداف للجنود ومداومة إعلامهم :

هناك عدة نظريات ومدارس فكريـة في غرس عقيـدة القتال وغـرسها في نفوس الجنود منها مدرسة العقيدة الجبرية التي لا تدعو في نظرياتهاإلى ضرورة تفهم الجندي للهدف والغاية الذي يحارب من أجلها ، وبذلـك يجب أن ينفذ الجندي الأوامر بدون مناقشة وبدون معرفة إلى أين هو ذاهب ومن أجل من هو يقاتل .

وهناك مدرسة تنمية الاتجاهات التي لا تتقيد بعقيدة محددة ثابتـة تقاتـل من أجلها ، بل تخضع هذه العقيدة للمتغيرات والعوامل العسكرية والاقتصادية والنفسية ، وهي تنادي بأن المقاتل لا يعمل دون دوافع وأهداف ، وتؤكـد هذه المدرسة بأن الحرب قتال من أجل أهداف ومصالح لا من أجل مبادىء .

وواضح ،أن معتنقي هذه النظرية يريـدون أن يختاروا لأنفسهم الأهـداف التي يقاتلون من أجلها بحسب الأحوال والظروف المتغيرة ، ولذلـك يمكن أن يقال إنهم يضعون المصالح فوق المبادىء . وهنـاك مدرسـة العقيدة المحـددة التي تنـادي بضرورة اعتنـاق الجنود عقيـدة أو مذهبـاً محـدداً ، وسـواء كـانت العقيدة صحيحة أم خاطئة فيجب أن يدافع الجندي ويضحي من أجلها .

وهذه المدرسة تؤمن بشخصية المقاتل وبـالهدف الـذي يقاتـل من أجله مهما كان أبعاده ومضمونه ، وبغض النظر هل هو صحيح أم خطأ مثـل الاتحاد السـوفياتي الـدولة الاشتـراكية التي تخلت رسمياً عن دين الله ، وتحث الناس على التمسك بالعقيدة الشيوعية والتضحية بالأموال والأنفس في سبيلها .

أما مدرسة الإسلام في غرس عقيدة القتـال فتنادي بفلسفـة (الجهاد في سبيل الله) فالمقاتل جندي من جنود الله للحق والواجب مهيأ نفسيـاً ووجدانيـاً وسلوكياً وهدفه دائماً اعلاء كلمة (الله) . والإسـلام طلب أن يخرج الجنـدي إلى القتال وهو ملم بنوع المهمة عارف بأبعادها ونتائجها .

وقد كان السابقون في الإسلام يتسابقون إلى الميدان ويتنافس الأب وابنه أيهما يخرج للمعركة ، ذلك لأنهم عارفون ولأن وضوح الرؤية كاف في تبصيرهم بالأخطار المحدقة بهم .

لأن هذه المهمة المقدسة من اختيار الله عزَّ وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده)[1] .

كذلك كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام حريصاً كل الحرص على توضيح الأهداف للجنود ، ومداومة إعلامهم ، وأخذ مشورتهم في التخطيط أو التنفيذ .

وقد استفاد من نظريات الإسلام في توضيح الأهداف للجنود قادة منهم الفيلد مارشال مونتجمري الذي قال في هذا المجال ، (أن القائد الجيد هو الذي يعرف أولاً : ماذا يريد والذي يرى غرضه واضحاً وأن يحشد لغرضه كل قواه ، وهو الذي يجعل رجاله يعيشون في جو المعركة فاهمين لما يدور فيها ، متنبهين لكل ما هو مطلوب منهم وهو الذي يتيح لمعاونيه ورجاله معرفة المعلومات بقدر المستطاع أولاً بأول ، وهو الذي يرفض المركزية ، ويجعل رجاله يعملون في التفصيلات ولا يدع لنفسه غير التوجيهات العامة) .

فتوضيح الأهداف للجنود يسهل تنفيذ العملية بأعلى كفاءة وأقل وقت وينمي شعور الارتياح والاطمئنان لدى الجنود مع الثقة بالقائد وبذل الغالي والنفيس في سبيل الوصول إلى الهدف .

الأساس السادس : تولي القيادة الفعلية لبعض مهام القتال المحدودة :

لا شك أن تولي القيادة الفعلية هو تتويج للجهود التي تستهدف اعداد القادة وتدريبهم الفعلي على أعمال القتال .

وقد تم تدريب قادة الإسلام تحت اشراف وتوجيه الرسول القائد ـ القائد

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨ .

العام ـ لدولة الإسلام . وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يوضح لهم الخطوط العريضة والمبادىء العامة لأي مهمة قتالية . لأن مهمة القيادة العليا تتلخص في السيطرة المستمرة على التشكيلات والقطعات والوحدات ، وتنظيم أعمالها القتالية وتوجيه جهودها لتنفيذ الواجبات والمهام التكتيكية الموضووعة والتي تتمثل في أشكال متعددة من اعمال القتال مثل دوريات القتال والاستطلاع والاغارات[1] والتي تهيىء القادة لأعمال كبيرة ومهام واسعة وتدرب القادة على التقدير الصحيح لامكانات العدو وأعماله ، وجمع المعلومات عن الموقف القتالي ومن أمثلة تلك المهام ما يلي :

١ ـ دوريات الاستطلاع :

سرية عبد الله بن جحش وقوتها ١٢ رجلاً في رجب من السنة الثانية للهجرة .

٢ ـ دوريات القتال :

سرية عبيدة بن الحارث ـ وقوامها ٦٠ رجلاً بقيادته في شوال من السنة الأولى للهجرة .

٣ ـ الإغارات :

سرية عكاشة ـ وقوامها ٤٠ رجلاً بقيادة عكاشة بن محصن الأسدي في ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة .

الأساس السابع[2] : قيادة وحدات الجيش تحت القيادة العليا للرسول :

وهي صورة أخرى لاعداد القادة ، وذلك بأن يتولوا قيادة الوحدات التي يتألف منها جيش المسلمين تحت القيادة العليا للرسول عليه الصلاة والسلام في المعركة . وهذا الأسلوب يفيد القادة من عدة نواح نذكر منها :

---

(١) راجع الملاحق أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ .

(٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ـ اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

١ ـ مباشرة القيادة الفعلية تحت إشراف القائد الأكبر والافادة عن توجيهاتها وملاحظاته .

٢ ـ إتاحة الفرصة العملية لملاحظة أسلوب القائد الأعلى في القيادة الحربية من حيث التخطيط للمعركة وإدارتها وتصرفه في مواقفها وهي فرصة ممتازة للتعلم على الطبيعة ، واكتساب الخبرة القتالية . وقد اتاح الرسول القائد ﷺ تلك الفرصة لأصحابه على أمثل وجه كما يتبين من التحليل التالي :

أ ـ بلغ مجموع أعمال القتال المختلفة التي دارت في عهد الرسول أكثر من ستين عملية تولي الرسول بنفسه قيادة ثمان وعشرين عملية منها[1] .

ب ـ احتوت تلك العمليات التي قادها الرسول بنفسه على شتى صور وأشكال العمليات العسكرية نذكر منها :

ج ـ دوريات القتال والاغارات مثل غزوة الأبواء ـ غزوة بواط غزوة العشيرة ـ غزوة بدر الأولى ـ غزوة بني سليم . . الخ .

د ـ المعارك الدفاعية : مثل غزوة بدر ـ غزوة أحد ـ غزوة الخندق .

هـ ـ المعارك الهجومية : مثل غزوة فتح مكة ـ غزوة حنين ـ غزوة تبوك .

و ـ الحصار : مثل غزوة بني قريظة ـ حصار الطائف .

ز ـ مهاجمة القرى والمواقع الحصينة والقتال في المدن : مثل غزوة خيبر .

ح ـ المطاردة : مثل غزوة حمراء الأسد .

وهكذا قدم الرسول القائد لأصحابه القدوة والمثل في قيادة كافة اشكال العمليات العسكرية ، هذا بالإضافة إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان يعينهم

---

(١) راجع الملحق و.

في قيادة الوحدات التي يتألف منها الجيش تحت قيادته في المعركة كما ذكرنا ، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

١ ـ في غزوة بدر كان الجيش يتألف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين يقودها علي بن أبي طالب ، وكتيبة الأنصار يقودها سعد بن معاذ .

٢ ـ في غزوة الفتح كان الجيش يتألف من أربعة أرتال يقودها أربعة من القادة هم الزبير بن العوام وخالد بن الوليد وسعد بن أبي عبادة وأبو عبيدة بن الجراح .

ثم إنه إذا ما راجعنا سجل الغزوات الثماني والعشرين التي قادها النبي بنفسه ، وإذا أمعنا النظر في التوزيع الزمني والكمي لهذه العمليات فسوف نخرج بالحقائق التالية :

التاريخ	عدد العمليات
السنة الثانية للهجرة	٨
السنة الثالثة للهجرة	٤
السنة الرابعة للهجرة	٣
السنة الخامسة للهجرة	٤
السنة السادسة للهجرة	٣
السنة السابعة للهجرة	٢
السنة الثامنة للهجرة	٤
المجموع	٢٨

من ذلك نرى :

○ **أولاً** : أن الرسول ﷺ حرص على مباشرة القيادة بنفسه طوال فترة الصراع من السنة الثانية إلى الثامنة للهجرة وفي كل سنة من سنواتها بلا استثناء ، مع اتاحته الفرصة ـ في نفس الوقت ـ لأصحابه أن يتولوا قيادة غيرها

من أعمال القتال .

○ ثانياً : قاد النبي في السنة الثانية للهجرة ـ أي في بداية الصراع ـ أكبر عدد من أعمال القتال وهو ثماني غزوات بينما لم يزد متوسط عدد العمليات التي قادها في كل سنة بعد ذلك عن ٣ ـ ٤ عمليات . وهذا التركيز له دلالاته التي لا تفوت القائد المحنك الخبير بفن الحرب ويعد في نظر الاستراتيجية العسكرية من علامات القيادة الحربية الفذة ، كما يعتبر ـ في مجال إعداد القادة للمستقبل ـ درساً ملياً من أعظم الدروس التي يقدمها القائد المعلم :

١ ـ فهو يتيح للقائد الأعلى ـ في بداية الصراع وقبل تصاعده ـ الفرصة لدراسة مسرح العمليات دراسة شخصية من الناحية الطبوغرافية (مثل طبيعة الأرض والطرق والهيئات الطبيعية وموارد المياه . . الخ) ومن الناحية الديموجرافية (مثل تركيب السكان وتوزيعهم ومظاهر الكثافة والتخلخل السكاني . . . الخ) وكل ما يمكن القائد من تحديد الأهداف الاستراتيجية .

٢ ـ ويتيح للقائد كذلك الفرصة لدراسة العدو عن طريق الاحتكاك المباشر وتقييم كفاءته القتالية مادياً ومنعنوياً ، ودراسة أساليبه في القتال وأسلحته التي يستخدمها واكتساب الخبرة القتالية .

٣ ـ هذه الدراسة الشخصية الشاملة تمكن القائد من التخطيط السليم لجميع العمليات الحربية المقبلة لا على المستوى الاستراتيجي فحسب بل على المستوى التعبوي والتكتيكي أيضاً ، على أساس ما اكتسبه من خبرة عملية في القتال على كل هذه المستويات ، بالاضافة إلى درايته بفن الحرب .

٤ ـ ونتيجة لذلك تنمو لدى القائد ثقته بنفسه وبكفاءته وقدراته كما تنمو لدى سائر أفراد الجيش ثقتهم في أنفسهم وفي قائدهم ، فيواجهون تحديات الصراع المقبلة واثقين من النصر .

الأساس الثامن : تولي مركز القائد الثاني في المعركة :

يجب أن يهيىء القائد على القيادة الرجل الذي يكون في مركز القائد الثاني في المعركة وأن ينمي عنده جميع صفات القيادة ويختبر فيه القدرة والكفاءة لمعالجة المواقف المختلفة ومن ثم يوجهه التوجيه السليم .

وهذا التعيين يكون عادة من قبل القيادة الأعلى أو من قبل القائد نفسه ، ويمنح هذا التعيين الفرصة لتولي القيادة إذا أصيب القائد الأصلي ، أو استشهد أو غاب عن المعركة لأي سبب . وقد اتاح الرسول القائد (صلوات الله وسلامه عليه) لأصحابه تلك الفرصة فكان حريصاً على أن يعين مع القائد الذي يختاره قائداً ثانياً بل وثالثاً في بعض الأحيان ممن يتميزون بالكفاءة والقدرة ليستخلف بعضهم بعضاً في القيادة في حالة قتل القائد لمواصلة القتال وإدامة معنويات المقاتلين وهو ما يعرف بالتسلسل القيادي في القوات المعاصرة ومن أمثلة ذلك :

١ ـ في غزوة بدر عين الرسول القائد عمير بن هشام قائداً ثانياً مع علي بن أبي طالب في قيادة كتيبة المهاجرين وحمل رايتها .

٢ ـ في غزوة مؤتة عين جعفر بن أبي طالب قائداً ثانياً ويليه عبد الله بن رواحة مع زيد بن حارثة الكلبي القائد الأصلي .

الأساس التاسع : تولي القيادة الكاملة للمعارك الكبيرة :

يهيىء الإسلام القائد للقيادة الكاملة للمعارك الكبيرة والحاسمة ويمنحه كافة الحوافز لمواجهة المواقف والأحداث والتخطيط بدقة واتقان للمعركة مع التشاور مع القادة الآخرين والتنفيذ بأقدام وشجاعة .

فقد عين الرسول القائد زيد بن حارثة الكلبي قائداً لجيش المسلمين الذي ذهب لقتال الروم (في غزوة مؤتة) ويعود ذلك لعدة أسباب نذكر منها :

١ ـ يتميز هذا القائد بخبرة حربية ممتازة وقد لازم الرسول القائد منذ غزوة بدر ، وتعلم من الرسول ﷺ الشيء الكثير في ممارسة القيادة بعد أن تدربها على يده ، فأصبح يتميز بالكفاءة العالية والأداء الجيد .

٢ ـ بلغ عدد أعمال القتال التي قادها الرسول[١] إلى ما قبل غزوة مؤتة ثلاثين عملية . قاد زيد بن حارثة خمساً منها وتعتبر تلك العمليات اختباراً وممارسة عملية للقيادة . هيأت هذا القائد لتولي القيادة في المعارك الكبيرة ، وقد حققت هذه العمليات أهدافاً حسب ما رسم لها[٢] من الرسول القائد .

٣ ـ دلت غزوة مؤتة على شجاعة القائد زيد بن حارثة في مواجهة عدوه مع فارق العدد والعدة بين جيش الروم وجيش المسلمين .

ولا بد من معرفة الأسباب التي حدت بالرسول القائد لاختيار زيد بن حارثة الكلبي لقيادة تلك الغزوة على الرغم من أنها كانت تنطوي على كثير من الظروف الصعبة من وجهة نظر فن الحرب :

١ ـ فهي تتطلب مسير اقتراب طويلاً من المدينة إلى حدود الشام (اكثر من خمسمائة كيلومتر) .

٢ ـ وسوف تدور المعركة بعيداً عن مركز القيادة العليا (في المدينة) مما يضع القائد وحده في مواجهة مواقف المعركة ويحمله المسؤولية الكاملة عن ادارتها .

٣ ـ أن يواجه جيش الروم البيزنطيين إذ كان من أهداف الغزوة إظهار قوة المسلمين لهم وهي مواجهة تحدث لأول مرة .

الأساس العاشر : رعاية الموهوبين والاشادة بكفاءتهم[٣] :

وقد كان الرسول ﷺ حريصاً على الإشادة بمن يثبتون كفاءتهم ، وبمن تظهر مواهبهم في القيادة الحربية ، بحيث تبشر بمستقبل باهر لهم ، ومن أمثلة هؤلاء خالد بن الوليد .

ولعل مما يثير العجب أن الرسول أشاد بخالد بأن سماه « سيف الله »

---

(١) (٢) راجع الملاحق أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ .

(٣) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ـ اللواء محمد جمال الدين محفوظ .

وهو مرتد على رأس جيش المسلمين منسحباً من مؤتة ، وكان المسلمون في المدينة يتلقون العائدين بالنكير والتشهير ويحثون في وجوههم التراب ، ويصيحون بهم اينما وجدوهم : يا فرار ! يا فرار ! . . . فررتم من سبيل الله ! .

إن الرسول القائد (عليه الصلاة والسلام) قد قدم بهذا صورة رفيعة لتصرف القائد الذي يحرص على ألا يدع مثل هذا الموقف يقضى على المستقبل العسكري لقائد لديه من الملكات والقدرات والمواهب مما يجعله كفؤاً لتولي القيادة الحربية على أعلى المستويات .

إن الرسول لم يواجه ذلك الموقف الذي ساد في الاتجاه العام « بالادانة » بالأساليب المعتادة التي نقرأ ونسمع عنها والتي تتراوح بين السكوت أو التبرير أو المحاكمة ـ وإن انطوت على ظلت ـ ارضاء للشعور العام . والجدير بالذكر أن خالد بن الوليد لم يكن معيناً من قبل الرسول للقيادة في غزوة مؤتة فيقول قائل إنه ينصر قائداً هو المسؤول عن اختياره ، وهو من ثم المسؤول عن ارتداده أو فراره ، ولكن خالداً اختير للقيادة بالإجماع بعد استشهاد قادة الجيش الثلاثة الذي عينهم الرسول لتولي القيادة بالتعاقب . وهكذا واجه الرسول الموقف بما لم يكن في حساب أحد ، وبما لا يمكن أن يصل إليه فكر اعظم القادة ، فسمي خالد بن الوليد « سيف الله » ولا غرابة في ذلك فالرسول هو الينبوع الفياض من تلك الفطرة العلوية التي فطرها الله لهداية الأمم وقيادة الرجال، بل لقيادة القواد الذين يروضون الأمم والرجال .

ولقد شهد التاريخ العسكري لخالد بن الوليد بعبقريته العسكرية ووضعته أعماله الرائعة في فتوحات الإسلام في اعداد القادة العظماء في التاريخ .

ووجه العبقرية فيما فعل الرسول وفراسته وعرفانه الشامل بخصائص النفوس وسبره العميق لأغوار الطبائع والأفكار ، يكمن في أنه (صلوات الله وسلامه عليه) اطلق ذلك الأسم على خالد مبكراً اثر أول معركة يشترك فيها

بعد إسلامه بشهرين أو ثلاثة ، وقبل أن يقوم بأعماله الحربية البارزة في التاريخ. ولو أن خالداً رضي الله عنه قضى نحبه في السنة العاشرة للهجرة أو بعد ذلك بقليل لعجب المؤرخون كيف سمى « سيف الله » وفيم استحق هذا اللقب الذي لا يعلوه لقب في الإسلام ، ولكن النبي وحده ، قد عرف قبل الحادية عشرة للهجرة أنه حقيق بهذا اللقب على أو في مداه ، وسماه به قبل أن يهزم المرتدين (في عهد أبي بكر) وقبل أن يهزم الفرس والروم ، وقبل أن يصون للإسلام جزيرة العرب ويضم إليها العراق والشام ، وهي الأعمال الجسام التي من أجلها يدعى اليوم سيف الإسلام . وإنما هو البصر العلوي الذي يلمح هذه القدرة في معدنها حيث ينظر الناس فيرون خالداً منسحباً من غزوة مؤتة[1] فيطلق عليه ذلك اللقب الرفيع ، فيحفظ له مستقبله العسكري العظيم الذي كان جديراً به .

---

(١) الواقع أن قرار خالد بعد توليه القيادة مباشرة بالانسحاب ، كان قراراً سليماً تماماً ، وكان هو الحل الأمثل لتخليص جيش المسلمين من الفناء في معركة غير متكافئة والمعروف أن الانسحاب من أصعب العمليات العسكرية وأخطرها ، إذ كيف يمنع القائد جيش الأعداء من مطاردته وهو منسحب والاجهاز عليه ، ذلك هو الإختبار الحقيقي لكفاءة القائد وعبقريته الحربية ؛ وهذا بالضبط ما أظهره خالد بن الوليد ، فقد صمد في المعركة حتى المساء ، ثم بدل مواقف الجيش تحت الليل فنقل الميمنة إلى الميسرة ، ونقل الميسرة إلى الميمنة ، وجعل المؤخرة في وضع المقدمة والمقدمة في وضع المؤخرة ورصد من خلف الجيش طائفة يثيرون الغبار ويكثرون الجلبة عند طلوع الصباح فلما طلع الصباح على الفريقين ، إذا بالأعداء من طوائف الغسانيين والروم يرون قبالتهم وجوهاً غير الوجوه وأعلاماً غير الأعلام ، توهمهم أن مدداً جديداً أقبل على جيش المسلمين ، وكانوا قد ذاقوا منهم أمر المذاق بغير مدد وهم مفاجأون فكيف يكون حالهم وقد أتاهم المدد ؟ وهكذا وبهذه الخطة البارعة في خداع الأعداء استطاع خالد أن ينجو بالجيش من المطاردة ويخلصه من الفناء .

مجمل بيان دوريات القتال والاستطلاح الأولى ـ ملحق «أ»

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائدسالمسلمين	قوة المشركين
١	سرية حمزة	٣٠ رجلاً من المهاجرين	حمزة بن عبد المطلب	٣٠٠ راكب
٢	سرية عبيدة بن الحارث	٦٠ رجلاً من المهاجرين	عبيدة بن الحارث	أكثر من ٢٠٠ رجل بين راكب وراجل
٣	سرية سعد بن أبي وقاص	٢٠ رجلاً من المهاجرين	سعد بن أبي وقاص	ـ
٤	غزوة ودان	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول ﷺ	ـ
٥	غزوة بواط	٣٠٠ راكب وراجل	الرسول ﷺ	١٠٠ راكب وراجل من قريش
٦	غزوة ذي العشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول ﷺ	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة
٧	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول ﷺ	ـ
٨	سرية عبد الله بن جحش	١٢ رجلاً من المهاجرين	عبد الله بن جحش	٤ رجال

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
أبو جهل بن هشام	العيص	رمضان من السنة الأولى للهجرة	حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني
أبو سفيان ابن حرب	ماء بالحجاز بوادي رابغ	شوال من السنة الأولى للهجرة	كان بينهم مناوشة ورمى سعد أبي وقاص أول سهم رمى به في الإسلام
	الخرار	ذو القعدة من السنة الأولى للهجرة	فرت قافلة المشركين
	ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	حالف بني ضمرة
أمية بن خلف الجمص	بواط	ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك المسلمون القافلة لسلوكها طريقاً غير طريق القوافل المعبدة فلم يلق المسلموك كيداً .
أبو سفيان	العشيرة	جمادي الآخرة من السنة الثانية للهجرة	وادع بني مدلج وحلفائهم بني ضمرة .
كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان	جمادي الآخرة من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك المسلمون كرز بن جابر
عمرو ابن الحضرمي	نخلة	رجب من السنة الثانية للهجرة	١ ـ أول قتيل من المشركين ٢ ـ أول أسير من المشركين ٣ ـ أول غنيمة للمسلمين ٤ ـ أول استعمال للرسائل المكتومة

الغزوات والسرايا بين بدر وأحد

ملحق «ب»

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين أو اليهود
١	حصار بني قينقاع	مسلمو المدينة	الرسول ﷺ	بنو قينقاع من اليهود في داخل المدينة
٢	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول ﷺ	بنو سليم وغطفان
٣	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة	الرسول ﷺ	٢٠٠ فارس
٤	غزوة ذي أمر	٤٥٠ راكباً وراجلاً	الرسول ﷺ	بنو ثعلبة ومحارب
٥	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	الرسول ﷺ	بنو سليم
٦	سرية زيد بن حارثة الكبيي	١٠٠ راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة قريش

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
—	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير المدينة من اليهود
—	قرقرة الكدر على طريق مكة ـ المدينة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بالغنائم دون قتال لفرار المشركين وبقوا ثلاث ليال في دور المشركين .
أبو سفيان	مطاردة قريش من المدينة حتى قرقر الكدر على طريق المدينة ـ مكة	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	١ ـ ظهور تجسس اليهود على المسلمين بالمدينة وإيوائهم أعداءهم . ٢ ـ فرار قريش وعودة المسلمين من المطاردة دون قتال
—	ذو أمر (موضع في نجد)	محرم في السنة الثانية للهجرة	فرار المشركون وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر كامل وعادوا بدون قتال
—	بحران على الطريق بين مكة والمدينة	ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بدون قتال بعد أن بقوا بديار أعدائهم حوالي شهر.
صفوا بن أمية	القردة (ماء في نجد	—	غنم المسلمون القافلة

غزوات التطهير
ملحق «ج»

تسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	
١	سرية أبي سلمة	١٥٠ بين راكب وراجل	أبو سلمة بن عبد الأسد	بنو أسد
٢	سرية عبد الله بن أنيس	دورية استطلاع بقوة شخص واحد	عبد الله بن أنيس	بنو لحيان من هذيل
٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	محمد	اليهود من بني النضير
٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب	محمد	نبو محارب وبنو ثعلبة من غطفان
٥	غزوة بدر الآخرة	حوالي ألف راكب وراجل	محمد	٢٠٠ من قريش
٦	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	محمد	قبائل دومة الجندل
٧	غزوة بني المصطلق	ألف راكب وراجل	محمد	بنو المصطلق

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
طليحة وسلمة ابنا خويلد	ديار بني أسد	ذو الحجة من السنة الثالثة للهجرة	فرار بني أسد
خالد بن سفيان الهذلي	نخلة	—	قتل خالد بن سفيان الهذلي فتشتت بنو لحيان
—	ضواحي المدينة	ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة	إجلاء بني النضير عن المدينة
—	ذات الرقاع بنجد	جمادي الآخرة من السنة الرابعة للهجرة	فرار بني محارب وبني ثعلبة
أبو سفيان	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريش أدراجها إلى مكة خوفاً من لقاء المسلمين
—	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة	فر المشركون
—	المريسيع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر بعض المشركين وأسر أكثرهم

غزوات عقاب الغادرين

ملحق «د»

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين
١	غزوة بني قريظة	٣٠٠٠ بينهم ٣٦ فارساً	رسول الله ﷺ	من ٦٠٠ ـ ٧٠٠ من بني قريظة
٢	سرية عبد الله بن عتيك	خمسة مسلمين	عبد الله بن عتيك	يهود خيبر الذين التجأ إليهم أبو رافع بن أبي الحقيق
٣	غزوة بني لحيان	حوالي ٣٠٠٠	رسول الله ﷺ	بنو لحيان من هذيل
٤	غزوة ذي قرد	—	رسول الله ﷺ	جماعة من غطفان
٥	سرية عكاشة	٤٠ رجلاً	عكاشة بن محض الأسدي	بنو أسد
٦	سرية محمد بن مسلمة	١٠ رجال	محمد بن مسلمة	بنو ثعلبة وبنو عول
٧	سرية أبي عبيدة بن الجراح	٤٠ رجلاً	أبو عبيدة بن الجراح	بنو محارب وأغار
٨	سرية زيد بن حارثة	—	زيد بن حارثة	بنو سليم

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
كعب بن أسد	حصون بني قريظة في ضواحي المدينة	نهاية شوال حتى أواسط ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
—	خيبر	ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة	قتل ابن أبي الحقيق
—	غران	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	تخويف قريش والقبائل الأخرى والتأثير على معنوياتهم
عيينة بن حصن	ماء بذي قرد	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	فر المشركون وتركوا خلفهم الإبل التي غنموها من المسلمين
—	الغمر	ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة	هرب بنو أسد فاستاق المسلمون مائتي بعير
—	ذو القصة	ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة	هربوا بعد قدوم أبي عبيدة بن الجراح على رأس أربعين من المسلمين فاستاق المسلمون النعم والشاه .
—	ذو القصة	ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة	هرب الإعراب فاستاق أبو عبيدة النعم والشاه .
—	الجموم	ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة	هربوا فأصاب نعماً وأسرى

(تابع) غزوات عقاب الغادرين

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين
٩	سرية زيد بن حارثة		زيد بن حارثة	عير قريش
١٠	سرية زيد بن حارثة	١٥ رجلاً	زيد بن حارثة	بنو ثعلبة
١١	سرية عبد الرحمن بن عوف	—	عبد الرحمن بن عوف	بنو كلب
١٢	سرية علي بن أبي طالب	١٠٠ رجل	علي بن أبي طالب	بنو سعد بن بكر
١٣	سريوة زيد بن حارثة	٥٠٠ رجل	زيد بن حارثة	بنو بدر
١٤	سرية عبد الله بن رواحة	٣٠ رجلاً	عبد الله بن رواحة	أسير بن زرام
١٥	سرية كرز بن جابر الفهري	٢٠ فارساً	كرز بن جابر الفهري	العرنيين
١٦	سرية عمرو بن أمية الضمري	رجلان فقط	عمرو بن أمية الضمري	أبو سفيان بن حرب

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
—	العيص	جمادي الأولى من السنة السادسة للهجرة	أخذوا العير وأسروا حماتها
—	الطرف	جمادي الآخرةمن السنة السادسة للهجرة	غنموا نعماً وألف بعير فأعادها الرسول ﷺ إليهم
—	دومة الجندل	شعبان من السنة السادسة للهجرة	أعلنوا إسلامهم
—	فدك	—	لم يلق كيداً وغنم غنائم وهرب بنو سعد
أم قرنة	وادي القرى	—	انتصر عليهم
أسير بن زارم	وادي القرى	—	قتل أسيراً وأصحابه
—	—	—	أعاد اللقاح وأسرهم فقتلوا
—	مكة المكرمة	—	قتل عمرو رجلين من المشركين ولم ينجح في قتل أبي سفيان

سرايا السيطرة على الأعراب ملحق «هـ»

التسلسل	اسم السرية	قوتها	تاريخها	المكان	الغرض منها	النتائج
١	سرية عمر بن الخطاب	٣٠ رجلاً	شعبان سنة سبع للهجرة	تُربة	تأديب بعض هوازن	عادت السرية بدون قتال لفرار المشركين
٢	سرية أبي بكر الصديق		شعبان سنة سبع للهجرة	ضربة في نجد	تأديب بني كلاب	قتلت السرية بعضهم وسبت الآخرين
٣	سرية بشير بن سعد الأنصاري	٣٠ رجلاً	شعبان سبع للهجرة	فدك	تأديب بني مرة	قتل بنو مرة المسلمين وعاد قائدهم إلى المدينة جريحاً .
٤	سرية غالب بن عبد الله الليثي	١٣٠ رجلاً	رمضان سنة سبع للهجرة	الميفعة بنجد	تأديب بني عوال وبني عبد بن ثعلبة	قتلوا بعضهم استاقوا النعم والشاه إلى المدينة
٥	سرية بشير بن سعد الأنصاري	٣٠ رجلاً	شوال سنة سبع للهجرة	يمن وجبار	تأديب غطفان	هربوا واستاق النعم وأسر رجلين فأسلما
٦	سرية بن أبي العوجاء السلمي	٥٠ رجلاً	ذو الحجة سنة سبع للهجرة	ديار بني سليم	تأديب بني سليم	قضى بنو سليم على سرية المسلمين

(تابع) سرايا السيطرة على الأعراب

التسلسل	اسم السرية	قوتها	تاريخها	المكان	الغرض منها	النتائج
٧	سرية غالب بن عبد الله الليثي	بضعة عشر رجلاً	صفر سنة ثمان للهجرة	كديد	تأديب بني الملوح	استاق المسلمون النعم وعادوا إلى المدينة
٨	سرية غالب بن عبد الله الليثي	٢٠٠ رجل	صفر سنة ثمان للهجرة	فدك	تأديب بني مرة	قتل المسلمون بعض بني مرة وأصابوا نعماً
٩	شجاع بن وهب الأسدي	٢٤ رجلاً	ربيع الأولى سنا ثمان للهجرة	السُّبي	تأديب بني عامر من هوازن	استاق المسلمون النعم والشاء وعادوا إلى المدينة
١٠	سرية كعب بن عمير الغفاري	١٥ رجلاً	ربيع الأول سنة ثمان للهجرة	ذات أطلاح	دعوة أهل تلك المنطقة للإسلام	استشهد رجال السرية عدا واحداً عاد وأخبر باستشهادهم
١١	غزوة مؤتة	٣٠٠٠ رجل	جمادي الأولى سنة ثمان للهجرة	مؤتة	تأديب القبائل التي غدرت برسول المسلمين إلى قيصر	أفاد المسلمون كثيراً في معرفة خواص قوات الروم وأساليب قتالها
١٢	غزوة ذات السلاسل	٥٠٠ رجل	جمادي الآخرة سنة ثمان للهجرة	ذات السلاسل	أخذ ثأر المسلمين من القبائل التي عاونت الروم في مؤتة وضرب تجمع قضاعة	شتت القبائل وأعاد هيبة المسلمين إلى نفوسهم
١٣	سرية الخَبَط	٣٠٠ رجل	رجب سنة ثمان للهجرة	قبلية	تأديب جهينة	لم يلق كيداً
١٤	إلى خضرة	١٥ رجلاً	شعبان سنة ثمان للهجرة	حاضر	تأديب غطفان	قتل بعضهم وغنم نعماً وشاء
١٥	سرية أبي قتادة إلى بطن أضم	٧ رجال	رمضان سنة ثمان للهجرة	بطن أضم	لتغطية نوايا المسلمين في مهاجمتهم أهل مكة	نجحت السرية في مهمتها دون أن تلقى كيداً

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه ملحق «و»

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١	غزوة ودان (الابواء)	٢٠٠ راكب وراجل		ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	لم يلاق قريشاً فحالف بني ضمرة
٢	غزوة بواط ناحية رضوى	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكب وراجل	بواط ناحية جبل رضوي	ربيع الأولى من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك قافلة قريش
٣	غزوة الشعيرة من بطن ينبع	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العشيرة	جمادي الأولى من السنة الثانية للهجرة	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
٤	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان بالقرب من بدر	جمادي الآخرة من السنة الثانية للهجرة	فر المشركون بما غنموه من المسلمين ولم يستطع المسلمون إدراكهم
٥	غزوة بدر الكبرى	٣١٥ معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً	٩٥٠ منهم ٢٠٠ راكب وهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية للهجرة	انتصار المسلمين على قريش
٦	غزوة بني قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع من اليهود	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير داخل المدينة من اليهود
٧	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	بنو سليم وغطفان	قرقرة الكدر بين المدينة ومكة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	فرار بني سليم وغطفان وقد تركوا أموالهم للمسلمين
٨	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من قريش	قرقرة الكدر	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	فرار قريش من مطاردة المسلمين

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
٩	غزوة ذي أمر	٤٥٠ بين راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب	ذو أمر موضع في نجد	محرم من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
١٠	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	بنو سليم	بحران على طريق المدينة-مكة	ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
١١	غزوة أحد	٧٠٠ بينهم خمسون فارساً	٢٩٠٠ من قريش وأحابيشها ومائة من بني ثقيف بين القوة مائتا فارس	جبل أحد في ضواحي المدينة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	استطاع المشركون إيقاع سبعين شهيداً بالمسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار على الرغم من تفوق قوات المشركين وتطويقها لقوات المسلمين.
١٢	غزوة حمراء الأسد	٦٣٠ بين راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش وأحابيشها ومن ثقيف	حمراء الأسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء معركة أحد مباشرة ولكن المشركين فضلوا عدم قبول المعركة وانسحبوا إلى مكة
٢٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	اليهود من النضير	ضواحي المدينة	ربيع أول من السنة الرابعة للهجرة	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة
١٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات الرقاع نجد	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	فرار بني ثعلبة وبني محارب

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١٥	بدر الآخرة	حوالي ١٠٠٠ راكب وراجل	٢٠٠٠ من قريش	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها
١٦	غزوة دومة الجندل	١٠٠٠ راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة	فرت القبائل
١٧	غزوة بني المصطلق	١٠٠٠ راجل وراكب	بنو المصطلق	المريسيع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين
١٨	غزوة الخندق	٣٠٠٠	عشرة آلاف من قريش وبني سليم وفزارة وأشجع وغطفان عدا اليهود من بني قريظة	المدينة	شوال من السنة الخامسة للهجرة	عودة الأحزاب من حصار المدينة خائبين
١٩	غزوة بني قريظة	٣٠٠ بينهم ٣٦ فارساً	٦٠٠ إلى ٧٠٠ من قريظة	ضواحي المدينة	ذو القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
٢٠	غزوة بني لحيان	حوالي ٢٠٠٠	بنو لحيان	غران	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	فر بنو لحيان
٢١	غزوة ذي قرد		غطفان	ذو قرد	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	فر بنو غطفان وتركوا الغنائم التي أخذوها من المسلمين

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
٢٢	غزوة الحديبية	١٦٠٠ راكب وراجل	قريش	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة للهجرة	عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
٢٣	غزوة خيبر	١٦٠٠ راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم من السنة السابعة للهجرة	سقوط خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء ، فتم بذلك القضاء عسكرياً على يهود الجزيرة العربية .
٢٤	غزوة عمرة القضاء	١٤٠٠ راكب وراجل	قريش	مكة	ذو الحجة من السنة السابعة للهجرة	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج عنها المشركون وهذه معركة معنويات لا معركة ميدان
٢٥	غزوة فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة	رمضان من السنة الثامنة للهجرة	فتح مكة
٢٦	غزوة حنين	١٢٠٠٠ راكب وراجل	هوازن وثقيف	وادي أوطاس قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة للهجرة	اندحار هوازن وثقيف
٢٧	غزوة حصار الطائف	١٢٠٠٠ راكب وراجل	ثقيف وبعض هوازن	الطائف	شوال من السنة الثامنة للهجرة	لم تستسلم الطائف فعاد المسلمون أدراجهم إلى المدينة
٢٨	غزوة تبوك	ثلاثون ألفاً بينهم عشرة آلاف راكب	جيش كبير من الروم وحلفائهم	تبوك	رجب من السنة التاسعة للهجرة	فضل الروم عدم الاشتباك بالمسلمين فأقام المسلمون في تبوك حوالي عشرين يوماً وصالحوا القبائل وسكان منطقة الحدود بين الحجاز والشام فأمنوا بذلك قاعدة أمينة لحركاتهم المقبلة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السابع

العلاقة بين القيادة والجندية في الإسلام

الفصل السابع
العلاقة بين القيادة والجندية في الإسلام

على القيادة أن تقوم بدورها الأساسي وذلك برعاية الجند وتدبير أمورهم الدنيوية والأخروية ـ في حماية الدين وسياسة الدنيا ـ وعلى الجنود حقوق اتجاه قيادتهم جزاء ما قدمت من الواجبات فإذا أهملت القيادة أو قصرت الرعية ، اختلت موازين الدولة وتعرضت بذلك إلى الضياع والهوان .

فلقد رأى قادة جاءوا بعد الإسلام وتعلموا منه كيف تكون العلاقة بين القيادة والجندية . ولا غرابة في ذلك فالرسول ﷺ هو الينبوع الفياض من تلك الفطرة العلوية التي فطرها الله لهداية الأمم ، وقيادة الرجال ، بل لقيادة القواد الذين يروضون الأمم والرجال . فتضم تعليمات فردريك الملقب (بالكبير) التقليدية إلى جنرالاته في العام ١٧٤٧ المقطع التالي :

« يجب أن يمارس القائد اللطف والشدة ، وأن يبدو ودوداً أمام الجنود ، ويتحدث إليهم أثناء سيرهم النظامي ، ويزورهم اثناء قيامهم بالطبخ ، ويخفف من احتياجاتهم إذا كان لديهم أي منها . . . ويجب أن لا يعاملوا بطريقة استبدادية »[1] .

ولقد حرص نابليون الذي تعلم من الإسلام الشيء الكثير حرص على

---

(١) فردريك الكبير العام ١٩٥١، ص ١١ .

أن تجمع بينه وبين جنده روابط قوية تقوم أساساً على الثقة المتبادلة ومن أعظم ما سجله له التاريخ أنه استطاع أن يفتح سهول لمبارديا بجيش من الحفاة العراة . . . ولقد خاطب جنده عند مسيره إلى إيطاليا فقال : « إني أراكم تحتاجون إلى الكثير مما تستحقون وهأنذا على رأسكم أسير بكم إلى المواطن التي تكسبكم العزة والفخر والغنيمة » وخاطب يوماً أمته فقال متحدثاً عن جيشه « لا ريب في أنني أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال » . وهكذا فعل روميل ومونتجمري الذي كان يقول حول هذا المفهوم « إنني كنت أتحدث مع جنودي كلما أمكن ذلك » .

وتدل الدراسة الشاملة ، التي أجراها صموئيل أ. ستوفر ورفاقه أثناء الحرب العالمية الثانية على أن استعداد الجنود للخدمة تحت إشراف قادتهم في السرية ارتبط مباشرة بسلوكين للقيادة وكان هما :

١ ـ اعتقاد الجندي بأن قائد سريته « كان على اطلاع بمسؤولياته » .

٢ ـ اعتقاد الجندي بأن قائد السرية اهتم بما كان الأفراد يفكرون به.

وظهر ذلك بعد توجيههم الأسئلة إلى أفراد في وحدات ذات معنويات عالية . ووحدات ذات معنويات منخفضة ، حول ممارسات قيادية معينة لضباطهم . ودلت نتائج هذا التحقيق على أن الأفراد في السرايا ذات المعنويات العالية ، كانوا أكثر ثباتاً على المبدأ ، ومن أولئك الذين كانوا في السرايا ذات المعنويات المنخفضة ، وذلك بذكرها أن ضباطهم تمسكوا بالممارسات القيادية التالية :

اظهروا اهتماماً بالرجال
فهموا حاجات الرجال
بذلوا العون للرجال
ادركوا قدرات الرجال
كانوا مستعدين لمساندة رجالهم
منحوا الرجال حصة عادلة من العطل والاجازات

منحوا الرجال فرصة للقيام بواجباتهم
استغلوا وقت التدريب أفضل استغلال
اتبعوا سياسة منصفه الأذن بالغياب والاجازات والترقية .
كانوا موفقين في اختيارهم لضباط الصف .
قدموا أحاديث حول أهمية عمل الوحدة Outfit's Job
قدموا أحاديث شخصية حول تقدم الرجال
منحوا الفرصة للرجال لمعرفة « أسباب الأشياء » .
وزعوا العقاب بصورة عادلة .

ومن أهم ما لوحظ خلال الحرب العالمية الأولى أن السير دوجلاس هيج كان لا يميل إلى لقاء جنده فبعدت الثقة بينهم وبينه وأحس أحد أركان حربه بخطورة هذا التصرف ، فأشار عليه بأن يلقاهم ويقضي معهم بعض وقته ليعرفوه عن كثب ويعرفهم هو نفسه .

ولقد اهتمت المدرسة العسكرية الإسلامية بالعلاقة بين القيادة والجندية وأكدت بأن واجبات القيادة الاسلامية نابعة من الوحي الإلهي الذي أوحاه الله إلى نبيه محمد ﷺ وان عليها أن تقوم بالواجبات التالية :

أولاً : تنفيذ الشريعة :

إن تنفيذ الشريعة ، وتطبيق حكم الله في الأرض ، هو أول واجبات القيادة وأعظم مهماتها ، ذلك لأن الله عزَّ وجلَّ إنما أمر بتنصيب الخليفة ليتحمل مسؤولية أمر المسلمين لتدبير أمورهم الدنيوية والأخروية وليقيم منهج الله في الأرض ، وليحرر البشرية من الظلم ، ويزيل الطواغيت على مختلف أشكالها وأزمانها قال تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾[1] .

والقائد المسلم عليه أن ينفذ أحكام الشريعة بكاملها ولا يسمح له أن يترك أي ركن من أركانها (فلا يقبل فيها أداء العبادة وترك القيادة ، ولا يجوز

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

معها إقامة الدين وإهمال الدولة) .

ومن واجبات القيادة تطبيق نظم الإسلام على الحياة بجميع متطلباتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، فالقائد المسلم لا يحكم بغير حكم الله ولا ينفذ غير شرع الله قال تعالى : ﴿ **إن الحكم إلاَّ لله ، أمر ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه** ﴾[1] وقال : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً** ﴾[2] .

والقائد يجب أن يكون عادلاً يحكم بالكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾[3] .

ولهذا فإن الله عزَّ وجلَّ وصف الذين يعرضون عن تنفيذ الشريعة بأخس الصفات وأبشعها ، حيث وصفهم بالكفر مرة ، وبالظلم مرة ثانية ، وبالفسق مرة ثالثة فقال جل سأنه : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ ، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[4] .

ثانياً ـ نشر الدعوة :

إن نشر الدعوة من أهم واجبات القيادة المسلمة ، وإن الله عزَّ وجلَّ لم يرسل الرسل ، ولم ينزل الكتب إلاَّ لتكون حجة على الناس وإن مما يدل على ذلك ما قام به رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد رجوع المسلمين من صلح الحديبية في أواخر سنة ست للهجرة فقد كاتب رسول الله ﷺ ملوك الأرض في ذلك الحين يدعوهم إلى الإسلام . فقد أرسل دحية الكبي بكتاب إلى قيصر ملك الروم ، وقد كان نص الكتاب ما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم ـ سلام على من اتبع

---

(١) سورة يوسف الآية ٤٠ .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٤) سورة المائدة الآيات ٤٤ ـ ٤٥ـ ٤٧ .

الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين) .

كما أرسل إلى المقوقس صاحب مصر وإلى النجاشي ملك الحبشة ، كما كتب إلى كسرى ملك الفرس .

فإذا كتب إلى كسرى يشدد اللهجة وينذره بالويل وتحمل الإثم فيقول له : « من محمد رسول الله ، إلى كسرى عظيم الفرس ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن توليت فإن إثم المجوس عليك » . ذلك لأن كسرى يعتقد أنه وارث الحق الملكي المقدس عن أجداده وسليل الملوك لا يذعن بسهولة ، ولأنه كان مجوسي المذهب لا يدين بدين سماوي فكان هذا الأسلوب أليق به من غيره .

ونراه عليه الصلاة والسلام إذا كتب إلى النجاشي ألان له الكلام لأنه رجل نصراني يؤمن بالإنجيل فيقول له : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلى النجاشي الأضخم ملك الحبشة ، سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني ، وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى) .

ولقد أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة الرسل والسرايا يدعو الناس إلى الدين من غير قتال ولا سفك دماء .

يقول الأستاذ هيكل : « وأقام محمد بمكة خمسة عشر يوماً ينظم خلالها شؤون مكة ، ويفقه أهلها في الدين ، وفي هذه الأثناء بعث السرايا للدعوة إلى الإسلام لا للقتال ، ولتحطيم الأصنام من غير سفك دماء »[1] ولقد طبق

(١) حياة محمد ص ٤٢٦ لهيكل .

هذا المبدأ أيضاً أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وجه خالداً إلى بعض أهل الردة يدعوهم إلى أحكام الإسلام أو يقاتلهم حتى يثوبوا إليه »[1] وفي عهد عمر (رضي الله عنه) والمعركة دائرة بين المسلمين والفرس وفي حملة القادسية بالذات ، يرسل القائد ـ سعد بن أبي وقاص ـ رسلاً إلى يزدجرد ملك الفرس يدعوه إلى الإسلام وعبادة الله (عزَّ وجلَّ) . كل هذه الرسل ومكاتبة الملوك من قبل رسول الله وأصحابه تهدف إلى عبادة الله وحده . فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو بدعاية الإسلام ، ولا سلام دون الإسلام والاعتراف به .

ولقد كانت كلمات رسول الله (عليه السلام) قوية جداً فهي تصدر من دولة الإسلام ذات السيادة والمكانة المرموقة وهي كلمات مسؤول مطمئن إلى النتيجة الحتمية ، ألا وهي انتصار الإسلام إن عاجلاً وإن آجلاً . تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[2] .

ثالثاً ـ إعداد الجيش والمحافظة على سلامته :

الجندي في الإسلام جندي من جنود الله يدافع عن أرضه وعرضه ويقاتل أعداء الله في أي زمان ومكان لأن الصراع بين الحق والباطل معركة مستمرة لا تنتهي أبداً ؟؟

والأمة الإسلامية مكلفة برفع الظلم عن الأفراد والجماعات في أقطار الأرض بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأديانهم لتحقيق العدالة في الأرض قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة) .

وإعداد الجيش في الإسلام يعتمد على ناحيتين مهمتين وهما التدابير المادية والتدابير المعنوية . فالتدابير المادية تشمل الاستعداد المادي ورصد الأموال لشراء الأسلحة والمعدات الحديثة وتدريب الانسان المقاتل الذي

---

(١) عبقرية عمر ص ١٨٠ للعقاد .

(٢) سورة الصف الآية ٢ .

يستخدم السلاح . والتدابير المعنوية تشمل التهيئة النفسية للجندي للتضحية والقتال في سبيل الله لاعلاء كلمته وتحقيق النصر أو الشهادة .

(والإيمان بالعقيدة الدينية شرط اساسي من شروط اعداد المقاتل المسلم لأن النصر لا يتحقق من قبل جنود يقاتلون بلا إيمان بالمبدأ الذي يقاتلون من أجله ولهذا يجب أن يؤمن الجندي المسلم أن الدين الإسلامي دين السلام والحق والعدل مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ . وعلى هذا الأساس يجب أن نعلم أن القتال واجب مقدس أمرنا الله به في سبيل اعلاء كلمته ومقاومة الظلم وقوى الكفر والعدوان)[1] .

وبعد إعداد الجيش لا بد من تقوية العلاقة بين القائد وجنده والتي تعد عاملاً هاماً من عوامل المعركة .

ولقد حرص الإسلام على أن تكون العلاقة بين القائد وجنده على مستوى المسؤولية التي يتحمل عبئها المسلمون جميعاً قادة كانوا أو جنداً . ومن أجل إيجاد هذه العلاقة دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التآخي بين المسلمين حين استقر بالمدينة (وكانت هذه الدعوة إبقاء على الصلات ودعماً للأخوة الإنسانية ومحافظة على بناء الدولة على وحدة الدين والغاية . . .) .

وقد حرص الرسول القائد على سلامة رجاله والمحافظة عليهم وعدم تفريطه في أحدهم ويؤكد ذلك عندما ذهب اثنان من المسلمين هما سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً عن السرية يطلبان بعيراً لهما ضل ، فأسرتهما قريش وأرسلت تطلب إلى الرسول فك أسيريها عثمان والحكم على أن تدفع له عليه السلام ما شاء من الفداء . ولكن الرسول القائد رأى أن لا يقبل الفدية حتى يقدم صاحباه من أسر قريش ، واشترط أن يصل الإثنان إلى المدينة قبل إطلاق سراح أسرى مكة ، وهدد بقتل أسيريه إذا أصاب رجليه أي سوء . . وخضعت قريش وأطلقت سعداً وعتبة ففاداهما رسول الله . .

---

(١) العسكرية الاسلامية الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد الرائد جمال الخفات .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقاتل عدوه في مواقع متقدمة في المعركة فقد شاركهم في أحد ، حتى أشيع أنه قد مات وعندها ارتبكت صفوف المسلمين وانتحى هؤلاء جانباً فرآهم أنس بن النضر فسألهم « ما يجلسكم ؟ قالوا : « قُتل رسول الله » فقال لهم الرجل : « ما تصنعون بالحياة من بعده ، قوموا فموتوا على ما مات عليه » . وفي بدر أبى عليه السلام أن يبقى بعيداً عن المعركة وأصرَّ على أن يشارك رجاله لقاء العدو ، وأخذ حفنة من الحصباء واستقبل بها قريشاً وقال : « شاهت الوجوه » وفي ذلك قال علي بن أبي طالب : « كنا إذا اشتد البأس إتقينا برسول الله ﷺ » .

وعلى هذا الطريق سار أبو بكر من بعده عليه السلام ، فقد كان يغضب أشد الغضب حين يعرف أن جندياً من المسلمين قد قتله الأعداء فهو يحرص على جنود الإسلام حرصه على سلامته هو ، ولهذا أمر خالد بن الوليد « لا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلاَّ قتلته ونكلت به جهرة » .

وكتب أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان قائلاً له : « إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه وإذا وعظتهم فأوجز . . . » .

وعلى طريق رسول الله عليه السلاة سار عمر بن الخطاب حين ولى أمر المسلمين فقد بعث إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد أن ولاَّه قيادة الجيش الإسلامي في الشام بكتاب قال فيه : « لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه، ولا تبعث سرية إلاَّ في كشف من الناس وإياك وإلقاء المسلمين في هلكة » .

وهذا ما أكده محمد فرج في كتابه المدرسة العسكرية الاسلامية حول حرص قادة الإسلام على سلامة جنودهم .

« كان قادة الإسلام يحرصون على سلامة جندهم . . لا يلقون بهم إلى هلكة ، ولا يجبرونهم على أمر ، ولا يتشددون في موقف ولا يتميزون عنهم في شيء ، يعيشون معهم ويقاتلون بجانبهم ويشاورونهم في الأمر ، لا فرق

بين هذا وذاك ، إلاَّ بمقدار الجهد والبذل والعطاء ، ويصفهم رجل من رجال المقوقس فيقول : « رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد » ويسمع المقوقس هذا الوصف فيقول لأصحابه : « والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقدر على قتال هؤلاء أحد » .

والقائد الذي وضع كل آماله في جنده ، يتقدمهم ، تجمعه وإياهم أهداف سامية وغايات نبيلة ، وتحيط بهم زمالة تجعله وإياهم يشعرون بالدفء ويحسون بالشجاعة . . . ويكسب الجميع المعركة بفضل تعاونهم وتضامنهم وبفضل العلاقة الطيبة التي ألفت بين قلوبهم وأفكارهم ومشاربهم . فالعلاقة بين القائد والجند هي الأساس الأول الذي تعتمد عليه المعركة وهي تؤدي بالتالي إلى النصر والوصول إلى الهدف المقدس . وقد حدد المقدم أحمد المومني في كتابه التعبئة الجهادية في الإسلام واجبات القائد نحو الجند بما يلي :

١ ـ الرفق بالمقاتلين ، والمحافظة على سلامتهم ، وتأمين حوائجهم بما يناسب الوقت والظرف ، وبما يحقق الكفاءة القتالية ، بما يرهب العدو فلا يجهدهم في المسير إلاَّ بما يستطيعه أضعفهم ، وأن يكون رحيماً بهم ، سامعاً لشكواهم ، وأن يردّ منهم من كان فيه تخذيل أو ارجاف ، فقد ردَّ رسول الله ﷺ ابن سلول في غزوة تبوك .

٢ ـ يكون مسؤولاً عن تحديد أماكن نزولهم ، وأوقات رحيلهم وتوزيع الوحدات على مناطق المسؤولية ، واختيار الهدف ، ومحاور التقدم ، والإعداد الجيد وبذل أقصى الجهد ، لإنجاح مهمة قواته ، وعمل الاحتياطات اللازمة لحفظ قواته ، وتوفير الأمن لهم وأن يحض الجنود على الصبر ، والثبات عند اللقاء ويحافظ على أداء الفروض ، فيعين من يقوم بالأذان والصلاة ويحرص على أداء هذه الفريضة في أوقاتها .

٣ ـ يعين القادة ممن يرى فيهم الكفاءة والقدرة ، ليستخلف بعضهم بعضاً في القيادة في حالة قتل القائد ، حتى لا يحدث فتور في معنويات المقاتلين . وهو ما يعرف اليوم بالتسلسل القيادي في القوات المعاصرة قال تعالى : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[٣] .

٤ ـ مشاورة أهل الرأي ، فيما يعرض له من أمور مبهمة ، وأن يعود إلى أهل الحزم فيما أشكل عليه ، قال تعالى : ﴿ **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾[٢] .

والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، وقد مدح الله المؤمنين لاتصافهم بالشورى قال تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[١] .

وكان الرسول القائد وهو مرسل من عند الله ، والقائد الأعلى للجيش الإسلامي يستشير أصحابه في الأمور المتعلقة بمصالح الحرب كما فعل في غزوة بدر الكبرى . ولم يكن يشاورهم في أمور الأحكام لأنها منزلة من عند الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾[٤] وقد اختلف العلماء في المعنى الذي أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور فيه أصحابه (فقالت طائفة منهم قتادة والربيع ، وابن إسحاق ، والشافعي ، ذلك في مكائد الحروب ، وعند لقاء العدو تطيباً لنفوسهم ورفعاً لأقدارهم وتآلفاً على دينهم وإن كان الله قد أغناه عن رأيهم بوحيه . وقال آخرون ، منهم الحسن البصري والضحاك يشاورهم فيما لم يأته فيه وحي ، ويمكن الجمع بين الرأيين ، لأن أمور الحرب ومكائدها من الأمور التي لم يأته فيه ﷺ وحي من الله بما يشمل الأمور الفرعية المستنبطة من النصوص والتجارب الحربية) .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .
(٣) سورة الشورى الآية ٣٨ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

وتشاور الصحابة بعد رسول الله ﷺ في الحروب حتى شاور عمر بن الخطاب الهرمزان ، في قتال المسلمين لكسرى ، وكان للقادة مجالس للشورى تشبه إلى حد بعيد ما يعرف اليوم بهيئة رئاسة الأركان وقادة الأسلحة والخدمات في الجيوش المعاصرة ، لإبداء الرأي في الأمور الحربية .

٥ ـ تفقد الجند ، واستعراض قوتهم في التدريبات النظرية والعملية على المستويات المختلفة ، والتأكد من صلاحيات الأسلحة والمهمات ومعدات القتال التي يجاهدون بها ، لأن استخدام آلات معطلة وغير مصانة يضعف القوة ويهبط الروح المعنوية لدى الأفراد ، وقد قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾[١] .

وأوجب الإسلام حقوقاً للقيادة جزاء ما قدمت من الواجبات ، وهذه الحقوق وضحتها السنة الشريفة ، وحدد معالمها رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان لزاماً على المسلمين أداؤها ، وكان الإهمال فيها والتقصير في القيام بها إهمالاً لواجب شرعي ، وتقصيراً في أمر من أمور الدين .

وكما أن القيادة أدت واجبها ، فعلى المسلمين أن يوفوها حقوقها وتلك الحقوق تتلخص فيما يأتي :

١ ـ السمع والطاعة :

المسلم الحق هو الذي أسلم نفسه لله عزَّ وجلَّ وليس من حقه أن يتردد في أمر يصدر إليه من أميره ، ذلك لأنه من أطاع أميره فقد أطاع رسول الله ﷺ ، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصا الله ، ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعصي أميري فقد عصاني »[٢] .

والنبي ﷺ يقول : (إنما الطاعة في المعروف)[٣] وفي حديث ابن عمر

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٢) مسلم جزء ٨ ص ٥٢٦.

(٣) مسلم جزء ٦ ص ١٥.

رضي الله عنهما : « إلاَّ أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[1] . ويروي ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره »[2] . وقال أيضاً : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »[3] ولقد كرمت المدرسة الإسلامية القائد خير تكريم ووضعته في اسمى منزلة فحق القائد في الطاعة ثابت مقرر في أكثر من آية في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[4] وليس لمسلم قط أن يتردد في أمر صدر إليه من الله ورسوله ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون** ﴾[6] .

والسمع والطاعة هما من أهم حقوق القيادة في كل زمان ومكان إذ بغير السمع والطاعة لا يمكن الضبط والربط ، كما لا يمكن تكوين جيش رادع لعدوه ، يدافع عن وطنه ، وبغير السمع والطاعة تكون الفوضى التي لا نظام فيها ، والاضطراب الذي لا استقرار معه وهذا ما اكده الدكتور محمد السيد الوكيل في كتابه القيادة والجندية في الإسلام إذ يقول أيضاً : (هكذا يربي الإسلام جنوده تربية رشيدة حكيمة تؤدي فيها القيادة واجبها وتمارس حقوقها ، فليس قائد المسلمين بالمستبد المتغطرس ، ولا هو بالجائر المتكبر ، ولكنه العادل الشفيق المتواضع الرفيق ، يحنو على جنوده ويعطف عليهم ، يدفعه إلى ذلك شعور بالواجب ، وعاطفة نبيلة تجعله يشعر أنه أب لصغيرهم ، وأخ لكبيرهم .

---

(١) مسلم جزء ٦ ص ١٥ .
(٢) مسلم جزء ٨ ص ١٥ .
(٣) رواه البخاري .
(٤) سورة النساء الآية ٥٩ .
(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .
(٦) سورة النور الآية ٥١ .

وليس الجنود عاقين متمردين ، ولا منتهزين متربصين ، ولكنهم أبرار مطيعون ، بواسل مضحون ، يدفعهم إلى ذلك إيمان عميق وعقيدة راسخة ، وشعور دفاق بحدب القيادة عليهم ، والحرص على مصالحهم .

وإذا كانت القيادة من هذا الطراز الفذ ، وكان الجنود على هذه الشاكلة الفريدة ، ثم التجاوب ، وساد الوفاق وعندئذٍ تأمر القيادة فيطيع الجنود ، وتهتف فيلبون وتخطط وهم ينفذون) .

٢ ـ المناصرة والتأييد :

وهما حق من حقوق القيادة ما دامت تقود المسلمين بأوامر الله وتحكمهم بكتاب الله . فيجب تأييدها والأخذ بيدها إلى الخير لأن في مناصرتها تأييداً للحق ، وتلك هي مهمة المسلمين وغايتهم في هذه الحياة .

ولقد أخذت المناصرة صوراً شتى ولها جوانب متعددة فقد تكون بالمشاركة الفعلية أو مناصرة باللسان أو بالسلاح وبالمال . أما بالنسبة للمشاركة الفعلية فتكون بالالتفاف حول القيادة ومشاركتها في جميع المواقف والأحداث والدفاع عنها أمام الأخطار المحدقة فحين أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما قال عمر : يا رسول الله ، ألسنا على الحق ؟ قال ﷺ بلى ، فقال عمر : ففيم الاختفاء ؟؟

وخرج المسلمون في صفين : عمر في أحدهما ، وحمزة في الآخر حتى دخلوا المسجد ، يقول عمر رضي الله عنه فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة ، فسماني رسول الله ﷺ الفاروق يومئذٍ[1] .

فكان إسلام حمزة رضي الله عنه ومن بعده عمر منعة لهم حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه : (ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر)[2] وفي البخاري عن ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمرو ومنذ

---

(١) مختصر سيرة الرسول ص ١٠٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٣ .

ذلك بدأ المسلمون يدرأون عن أنفسهم اعتداء المشركين ، ويدفعون عدوانهم بمثله .

روى عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد قال : خرجت أنا وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وخباب بن الأرت وعمار ابن ياسر ، وابن مسعود في شعب أبي دب نتوضأ ونصلي ونحن مستخفون ، إلى أن ظهر علينا نفر من المشركين قد كانوا يرصدوننا ، واتبعوا أثرنا ، أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما فعابوا علينا ذلك وأنكروا حتى بطشوا بنا ، فتضاربنا واقتتلنا، فأخذ سعد لحى جمل فضرب به رجلاً من المشركين فأشجه شجة أوضحت ، فأنكر المشركون وقوى أصحابي ، وطردناهم حتى خرجوا من الشعب ، فكنت أول من هرق دماً في الإسلام)[1] وهذه كلها مواقف للدفاع عن عقيدة الإسلام العظيمة .

المناصرة باللسان :

ناصر المسلمون القيادة بألسنتهم في جميع المواقف ومثال ذلك ما حدث لزيد بن الدثنة رضي الله عنه بعد أن تمكن منه المشركون وعلقوه ليقتلوه ، يقول القسطلاني : نادى أبو سفيان بن حرب زيداً ، يا زيد أتحب أن تكون في أهلك وولدك ومحمد في مكانك هذا فيرد زيد عليه ، لا والله ، لا أحب أن أكون في أهلي وولدي ورسول الله ﷺ يفديني بشوكة في قدمه .

قال أبو سفيان : ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً[2] وفي مختصر السيرة عن خباب رضي الله عنه قال : كنت قيناً ـ حداداً ـ بمكة ، فعملت للعاصي بن وائل السهمي ، فجئت أتقاضاه فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا . لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك)[3] فالمقاتل المسلم يستخدم جميع الوسائل لمناصرة قيادته

---

(١) الأوائل للعسكري ص ١٧٢ .
(٢) المواهب اللدنية ج ١ ص ١٠٢ .
(٣) مختصر السيرة ص ١٢٦ .

ومجاهدة العدو قال النبي ﷺ : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) فكل ما يملك الإنسان وتملك الأمة موجهة لإعلاء كلمة الله .

المناصرة بالسلاح :

لقد خاض المسلمون أعنف المعارك واقتحموا أصعب الأهوال دفاعاً عن الحق ودرءاً عن القيادة التي تمثل تلك العقيدة ويتمثل ذلك في دفاع أصحاب رسول الله ﷺ عنه في غزوة أحد فأبو دجانة رضي الله عنه تترس عن رسول الله ﷺ بظهره ، وكان النبل يقع فيه ولا يتحرك عنه ، وعلي كرَّم الله وجهه أخذ بيده وأخرجه من الحفرة التي وقع فيها ودافع بين يديه دفاعاً عظيماً .

وطلحة بن عبيد الله وقى رسول الله ﷺ بنفسه وحارب عن يمينه وشماله ، حتى روى البخاري عن قيس قال : رأيت يد طلحة ابن عبيد الله شلاء ، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم لطلحة[1] .

وفي البخاري رحمه الله : (مر أنس بن النضر بقوم قد ألقوا بأيديهم فقال : يا قوم ، ما تنتظرون ؟ فقالوا : قتل رسول الله ، فقال ما تصنعون بالحياة بعده ؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس ولقى سعد بن معذ فقال : يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ثم استقبل المشركين وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ ثم قاتل حتى قتل ، فما عرفه إلاَّ أخته ببنانه ، ووجدوا به سبعين ضربة » .

المناصرة بالأموال :

تمتد المناصرة للقيادة لتشمل كل الجوانب الاقتصادية ، وقد قدم المال على النفس لأهمية الاقتصاد في الوصول إلى هدف الحرب ويذكرنا الله عزَّ

---

(١) مختصر سيرة الرسول ص ٢٤٨ .

وجلَّ أيضاً بقيمة بذل الأموال لمناصرة العقيدة والقيادة ويبين منزلة الأموال حين تبذل ولا تكنز ، ويضحى بها ولا يضحى لأجلها . قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** ﴾[1] ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون** ﴾[2] ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾[3] ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل أولئك هم الصادقون** ﴾[4] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[5] .

ونحن نرى أبا بكر الصديق رضي الله عنه في يوم الهجرة يأخذ ماله كله ويسأله رسول الله ﷺ وماذا أبقيت لعيالك ؟ فيقول : أبقيت لهم الله ورسوله ، وكان ماله خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف)[6] .

وفي غزوة العسرة حرض رسول الله ﷺ الناس على الإنفاق فأسرع عمر رضي الله عنه واحضر نصف ماله ، وقد سبقه أبو بكر بماله كله ، وقد قام عثمان بن عفان بتجهيز مائتي بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتي أوقية من الذهب .

ويرى رسول الله ﷺ ذلك فتقر عينه ، ويثلج صدره وينظر إلى صدقة عثمان ، ويقول : اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه ما ضر عثمان ما

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧٢ .
(٢) سورة التوبة الآية ٢٠ .
(٣) سورة التوبة الآية ٤٠ .
(٤) سورة الحجرات .
(٥) سورة الصف الآيتان ١٠ ـ ١١ .
(٦) سيرة ابن هشام م ١ ص ٤٨٨ .

عمل بعد اليوم)[1] .

هكذا كان المسلمون يقدمون أموالهم طائعين ، ينصرون بها قيادتهم، ويدافعون عن عقيدتهم ملبين قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله ، بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين** ﴾[2] .

٣ ـ النصح والتسديد[3] :

والنصيحة واجبة على كل مسلم ، قادر عليها عارف بطرق تأديتها ، ولقد عظم رسول الله ﷺ شأن النصيحة التي جعلها هي الدين ، ذلك لأن إهمال النصيحة يؤدي إلى تفكك الأمة وتفرقها ، وانتشار الفوضى في أنحائها ، وتأدية النصيحة يقيم الأمة ويوحدها ، ويشد أزرها ويدعمها ، ويقضي على الفوضى ، ويدمرها ، ولهذا قال ﷺ : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[4] .

والنصيحة بهذا المعنى أعم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن النصيحة تشمل ذلك وزيادة ، وهي بهذا المعنى أيضاً تكون فرض كفاية على الأمة ، إذا قام به البعض ، سقط الإثم عن الجميع وإلاَّ أثموا جميعاً .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ كما قلت ـ من النصيحة التي يستقيم بها أمر الأمة ، وتكون بها خير الأمم جميعاً ، قال تعالى : ﴿ **كنتم خير**

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) سورة الصف الآيتان ١٠ ـ ١٣ .

(٣) القيادة والجندية في الإسلام ـ الدكتور محمد السيد الوكيل .

(٤) رواه مسلم م ١ ص ٥٣ .

أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾[1] .

ومراتبه ثلاث : أعلاها التغيير العملي ، وأدناها إنكار القلب ، وتأمله للمنكرات ، ورضاه واغتباطه بالمعروف ، وأوسطها التوجيه المخلص بالكلمة الطيبة وعلى أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله سبحانه .

واتفق العلماء على أن التغيير باليد لا يكون إلاَّ عند القدرة عليه ومن القادر عليه كأولي الأمر بمعناها العام ، حتى تشمل الوالد في بيته والرئيس في عمله ، بحيث يكون كل واحد من هؤلاء مسؤولاً عن كل من تحت يده ، وعندئذٍ يغير المنكر بيده ، ويقيم المعروف بنفسه ذلك لأنه بهذه المثابة راع على من هم تحت يده ، وهو مسؤول عن هذه الرعية مسؤولية تامة ، وعليه ليرفع عن نفسه تبعة تلك المسؤولية أن يراعى حقوق الله ، فإن رأى خللاً في عمله أو في بيته قومه وعدله ، وإن رأى حسناً أقره وحث عليه فيعاقب على التقصير بعد أن يبذل جهده في الإصلاح والتوجيه ، ويثيب ويكافىء على الإحسان والمحافظة على فعل الخير .

والله تبارك وتعالى قد أمرنا بضرب النساء بعد وعظهن وهجرهن إذا أصررن على النشوز ، وذلك تغيير باليد ، والرسول ﷺ أمرنا بضرب أبنائنا إذا بلغوا عشر سنين ولم يصلوا ، وذلك تغيير باليد .

قال تعالى : ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ﴾**[2] .

ويقول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين »[3] .

وأما الإنكار بالقلب ، والتألم لرؤية المعاصي ، فلا يجوز الاكتفاء به إلاَّ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة النساء ٣٤ .

(٣) من حديث لأحمد في مسنده .

ممن كان عاجزاً عن التغيير باليد واللسان ، لأنه أدنى مراتب الإيمان ، والحالة التي تليه مخيفة ومزعجة ، إذ ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل ، فمن رأى المنكر وسر به ، أو رأى المنكر ولم يتغير قلبه ويتألم لما رأى ، فهو على خطر عظيم ، لأنه بذلك يكون قد انحدر إلى ما دون أضعف الإيمان وفقد مثقال الحبة التي تتحقق بتألم القلب واشمئزازه من المعصية ، لهذا يقول ﷺ : « فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[1] .

وأما التوجيه والإصلاح بالكلمة الطيب ، فذلك أوسط الأمور الثلاثة ، وهو مقدور لكثير من الناس .

واشترطوا فيه شروطاً في الناصح ، وشروطاً في النصيحة .

شروط الناصح :

أولاً : أن يكون عالماً بالحكم الشرعي لما يأمر به أو ينهى عنه ، لأنه إذا لم يكن عالماً بالحكم الشرعي يتعرض للخلط والخطأ فيحسب السنة واجباً والمكروه حراماً ، ولا يفرق بين البدعة والسنة وبالعكس ، وحينئذٍ قد يقع في المحذور فيأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، ويترتب على ذلك من المفاسد ما لا تحمد عقباه ، ويكون الناصح عرضة للسخرية والاستخفاف مما يصرف الناس عنه فلا يفيد ولا يستفاد منه .

ثانياً : أن يتحرى الطريقة المناسبة عند أمره ونهيه مراعياً الظروف والأحوال التي يعيش فيها الناس لأنه إذا لم يتحر الطريقة المناسبة ، ولم يراع ظروف المنصوحين وأحوالهم عند الأمر والنهي يترتب على ذلك من الأضرار ما كان المسلمون في غنى عن الوقوع فيه ، فقد يشتد في موضع اللين فيفر منه الناس ولا يستمعون إليه ، أو يغلظ في موطن الرفق ، أو يتهاون في موقف لا يصلح فيه إلاَّ الحزم ، وعنئذٍ تضيع الفرصة وتنعدم الفائدة ، فلا يستفيد

---

(١) رواه مسلم م ١ ص ٥٠ ـ ٥١ من حديث طويل .

المنصوح ، ولا يثاب الناصح .

ثالثاً : أن يكون عاملاً بما ينصح به الناس مطبقاً له على نفسه وأهله ومن يعول ، لأنه إذا لم يعمل هو بما يأمر به الناس لا يصل نصحه إلى القلوب ، ولا تتجاوب مع كلامه النفوس ، فيظل كلامه جافاً لا يتجاوز آذان الناس ، ونصحه هزيلاً ، لا يقوى على اقتحام قلوبهم ، ويضع نفسه بذلك موضع الهمز واللمز ، وقديماً قال الشاعر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

وقال آخر :

يأيها الرجال المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ولقد نعى الله عزَّ وجلَّ على قوم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، واعتبر ذلك ضلالاً في الرأي ، وقلة في العقل ، فقال تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟** ﴾[1] .

وععتبر سبحانه وتعالى الكلام وعدم الفعل مقتاً كبيراً لا يليق بالمؤمنين فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾[2] .

والآيتان الكريمتان مصدر الاستدلال على الشرط الثالث .

وأما الشرطان الأولان فمصدرهما قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾[3] .

فالحكمة هنا هي الحجج القطعية الصحيحة كما قال صاحب فتح

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٤ .
(٢) سورة الصف ٢ ـ ٣ .
(٣) سورة النحل ١٢٥ .

القدير ، أو هي الأدلة اليقينية الموضحة للحق ، المزيحة للشبه كما صرح بذلك البيضاوي .

المعنيان متحدان في وجوب معرفة حكم الشرع وأدلته عند دعوة الناس إلى الخير ونهيهم عن الشر .

والموعظة الحسنة هي المواعظ المفيدة المستحسنة التي يستحسنها السامع لأنها تعود عليه بالنفع والفائدة .

وهذا هو ما قاله صاحبا التفسيرين السابقين وجمهور من المفسرين ، وهي تحتم ضرورة تحرى الطرق المناسبة المفيدة للمنصوح ، واتباعها عند تقديم النصيحة حتى تقع موقعها .

ولقد علمنا رسول الله ﷺ كيف نقوم بهذا الواجب في أمثلة عملية مع أصحابه رضوان الله عليهم حين جاءه أعرابي فجذبه بردائه فحمر رقبته ـ وكان رداء خشناً ـ فالتفت إليه ، فقال الأعرابي : احملني على بعيري هذين ، فإنك لا تحملني من مالك ، ولا من مال أبيك ، فقال له ﷺ : لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا أحملك حتى تقيدني من جذبتك التي جذبتني ، فقال الأعرابي : والله لا أقيدكها ، عندئذٍ دعا رسول الله رجلاً ، وقال له : احمل له على بعيريه هذين ، على بعير تمراً ، وعلى الآخر شعيراً[1] .

وعن زيد بن سعنه قال : ابتعت من رسول الله ﷺ تمراً إلى أجل ، فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة ، أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه ، ونظرت إليه بوجه غليظ ، ثم قلت ، ألا تقضيني يا محمد حقي ؟ فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، فقال عمر : أي عدو الله ، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ، ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره

---

(١) المواهب اللدنية ج١ ص ٢٩١ .

بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر ، فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته ، ففعل .

فقال زيد: يا عمر ، كل علامات النبوة عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلاَّ اثنتين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل إلاَّ حلماً ، فقد خبرتهما ، فأشهدك أن قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً[1] .

شروط النصيحة :

وليس المراد بالشرط هنا ما تعارف عليه الفقهاء ، وعرفوه بنه « ما لا يوجد المشروط مع عدمه ، ولا يلزم أن يوجد عند وجوده »[2] ولكن المراد بالشرط الأمور التي يستحسن وجودها عند القيام بالأمر حتى ترجى الفائدة منه ، وقد تكلم العلماء في ذلك ، وأكدوا على ما يأتي :

١ ـ السرية .
٢ ـ ألا تؤدي النصيحة إلى ضرر أكبر .
٣ ـ غلبة الظن باستجابة المنصوح .
٤ ـ تقديم النصيحة بصورة تؤدي إلى قبولها .

---

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .
(٢) مطالب أدلى النهر ص ٣٠٥.

الفصل الثامن

صِفَاتُ الجُنْدِيِّ الحَق

الفصل الثامن
صفات الجندي الحق[1]

لقد سطرت مدرسة الإسلام العسكرية تاريخها البطولي كفاحاً ونضالاً وإباءً من خلال تدريب جنودها على صفات ممتازة وتنشئتهم على أخلاق قتالية متميزة نذكر بعضاً منها .

١ ـ ذكر الله في ساحة المعركة وعند اليأس :

يوجه الإسلام المجاهدين إلى ذكر الله في ساحة المعركة قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾[2] فالفلاح والنجاح بذكر الله العظيم الذي يملأ النفس ثقة واطمئنان . ويعلمنا الرسول ﷺ أن ليس في الإسلام ذلك التواكل العاجز مثل أقوال توراة اليهود المزيفة حين جعلوا إلههم وقفاً لنزعاتهم فهو الذي يحارب عنهم ويقهر أعداءهم نيابة عنهم « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » وقولهم « الرب يحارب عن إسرائيل » .

ولكن الإسلام يطالب بالاستعداد للمعركة مثل تجهيز الجيش واستطلاع أخبار العدو وإعداد الخطط بدقة واتقان ثم دعاء الله عزَّ وجلَّ وهذا ما حصل

---

(١) عن كتاب (العقيدة القتالية في الإسلام) للرائد الركن أحمد بصبوص (المؤلف) .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

في معركة بدر حيث استقبل رسول الله ﷺ القبلة ثم مديده قائلاً « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » . وقد أكد الرسول على الدعاء حين البأس بقوله : « اثنان لا تردان أو قلما تردان : (الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً) وقوله أيضاً : « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث » . وبذلك كان يقول إذا غزا « اللهم أنت عضدي[1] ونصيري ، بك أصول[2] ، وبك أقاتل » وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم » فذكر الله له تأثير فعال في النصر، لأن الإيمان يمد المحارب بقوة معنوية هائلة ويحقق له النصر على الأعداء .

٢ ـ الصبر في ميدان القتال على المشقات العسكرية :

فميدان المعركة مليء بالصعوبات وقد يبتلي الله عزَّ وجلَّ بالخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، والمقاتل يجب أن لا يجزع ولا يخاف ولا تهن قوته فالصبر في الشدائد من أقوى أساليب الوقاية والعلاج لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إنَّ الله مع الصابرين** ﴾ ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** ﴾ ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله** ﴾[3] وقال أيضاً : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[4] ﴿ **ثم جاهدوا وصبروا إن**

---

(١) عضدي : عوني .
(٢) أصول : أدافع .
(٣) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .
(٤) سورة النحل الآية ١٢٦ .

ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾[1]

والمقاتل الصابر يغلب عدوه ويتفوق عليه وهو يعد بكفاءة العشرات والمئات قال تعالى : ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾[2] وفي هذا المعنى يقول محمد شديد في كتابه الجهاد في الإسلام : (وتكمن قوة المؤمن النفسية بالصبر . فالجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال ولا حماسة في موقف شدة ، ولا إقدام في معركة ، ولكنه الكفاح الدائم الذي لا ينقطع ، والجهاد المستمر الذي يستغرق العمر ، والبذل المتواصل الذي يستنفذ النفس والمال وهو عمل لا يطيقه إلاَّ من كان الصبر صفة من صفاته الأصيلة ، وعنصراً من عناصر تربيته الطويلة) ويضيف قائلاً : (ولقد كانت حياة النبي ﷺ حركة دائمة وكفاحاً متصلاً وجهاداً في سبيل الله ، لم يأنس فيها إلى راحة أو متعة ، فصبر على قومه في مكة ثلاثة عشر عاماً ، وصبر على نفسه في المدينة على تربية أصحابه ، وصبر على كيد اليهود ، والمنافقين ، وصبر على الكفاح والجهاد ، فخرج بنفسه في خمس وعشرين غزوة ، وبعث سبعاً وأربعين سرية ، وهو الحاكم المسؤول عن كل ما في المدينة ، يخلف المجاهدين في أهليهم وأموالهم ، ويصلي بالمسلمين في المسجد جميع الصلوات ، ويكفل فقيرهم ، ويعود مريضهم ، ويصلي على موتاهم ويشيع جنائزهم ، ويقضي بينهم ، وهو مع ذلك كله صاحب تسعة بيوت ولقد كانت حياته تربية للمسلمين على الصبر وتحمل متاعب الجهاد والصبر الذي يجعل الحياة كلها كفاحاً متصلاً وجهاداً في سبيل الله) .

ودخول الجنة مقرون بالصبر والمصابرة وتحمل المشاق والصعاب ، فالطريق شاق وطويل ولا بد من مواقف للصبر والجهاد قال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم**

---

(١) سورة النحل الآية ١١٠ .

(٢) سورة الأنفال الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

البأساء والضرَّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً » .

وبهذا يؤكد الإسلام بأن الأسلحة وحدها لا تشكل عناصر القوة في الجهاد بل لا بد من قلب صابر محتسب وعزيمة صادقة فالجهاد لا يكتب إلاَّ بصعوبات وهو بلاء واختبار من الله عزَّ وجلَّ قوله تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾** . وليس المسلم وحده في الميدان يعاني الشدة والبأس في القتال بل إن عدوه يعاني مثلما يعاني قال تعالى : ﴿ **إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً ﴾** وهناك مبدأ يتصل بهذا المعنى (حين تشترك في معركة عنيفة وحين يصبح موقفك سيئاً فلا بد أن تدرك أن موقف عدوك سيء بنفس الدرجة فإذا لم تستسلم أولاً فإن العدو سوف يستسلم وإذا صمدت في اللحظة الحرجة انقصم ظهر العدو) .

ويقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العقيدة الإسلامية (ذلك أن توقع الشدة يسهل احتمالها عند وقوعها ويجب على الذين يتقدمون للحرب أن يدركوا دائماً بالصبر والإيمان فإن الصبر يكون معه النصر ، والإيمان يشد العزيمة ، ويقوي الاحتمال ، فلا يتخذ القتال هزواً ولعباً ، ولا يفهم القاتل أنه ما دامت معه الآلة ، فإن النصر معه ، لأن الآلة مهما يكن فتكها قد تتحطم في يد من لا يستطيع حملها ، أما الإيمان فهو القوة الدائمة التي تدفع إلى العمل ، ولا تمل ولا تتحطم ، ولا يمكن أن تنالهاأيدي الأعداء ، وهو الذي يجدد الآلات ، والآلات لا تجدد القلوب ، ولا تدفع الوهن) وبهذا يكون نتيجة الصبر النصر بإذن الله والوصول إلى الهدف المقدس .

٣ ـ الثبات في الحرب من صفات الجندي الخالدة :

فقد أوجب الإسلام الثبات في الحرب وفي ميدان القتال لقوله تعالى :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً** ﴾[1] فأوجب الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع وإن استقام المسلم بمنهجه وكان مع الله كان الله معه وثبت أقدامه في الحرب قال تعالى : ﴿ **وليربط على قلوبكم ويثبت به الإقدام** ﴾[2] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت إقدامكم** ﴾[3] ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا** ﴾[4] .

وطلب الله عزَّ وجلَّ من المسلم أن يدعوه فالثبات والصبر في الميدان ورباطة الجأش والصمود أمام العدو حتى يكتب للمسلم النصر أو الشهادة لقوله تعالى : ﴿ **ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا** ﴾[5] ﴿ **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا** ﴾[6] وبثبات الأقدام تثبت القلوب ويكتب النصر بإذن الله عزَّ وجلَّ .

٤ ـ الشجاعة في المعركة وفي المواقف المختلفة وعدم الفرار في المعركة :

وهي من أهم مزايا الجندي المسلم ، فالمسلم لا يجبن أبداً ويجب أن يكون شجاعاً عنيفاً في القتال لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا إن الله مع المتقين** ﴾ ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾ . ويقال في هذا المعنى (إن الفن الأساسي في القتال يكمن في معرفة أساليب تقوية الرباط النفسي ،

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤٥ .
(٢) سورة الأنفال الآية ١١ .
(٣) سورة محمد .
(٤) سورة الأنفال الآية ١٢ .
(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٠ .
(٦) سورة آل عمران الآية ١٤٧ .

والمحافظة عليه في قواتنا مع محاولة تدميره وسط قوات العدو ، والعامل النفسي عامل كبير الأهمية ، فهو الذي قاد إلى إيجاد التركيبات المادية والمعنوية المختلفة التي تخلق ما أسماه نابليون (بالحدث) الذي يؤدي ظهوره إلى هبوط مفاجيء في معنويات العدو)[1] .

وإن التولي يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذٍ دبره إلاَّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾[2] وكما يفهم من قول النبي عليه الصلاة والسلام : « خمس من الكبائر لا كفارة لهن وذكر فيها التولي يوم الزحف » وقوله أيضاً : « إن من أعظم الموبقات الشرك بالله وأكل مال اليتيم والتولّي يوم الزحف وقذف المحصنات » .

وقد جعل الإسلام التولي يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين قال تعالى : ﴿ **ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **لن يضروكم إلاَّ أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون** ﴾[5] ﴿ **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل : لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسؤولاً** ﴾[6] ويصف محمود شيت خطاب في كتابه بين العقيدة والقيادة الشجاعة في الإسلام بقوله : (ولست أعرف عقيدة سماوية ولا أرضية تحث على الشجاعة حثاً حاسماً جازماً شديداً لا هوادة فيه كما فعلت العقيدة

---

(١) مدخل الاستراتيجية العسكرية ـ أندريه بوفر .
(٢) سورة الأنفال الآيتان ١٥ ـ ١٦ .
(٣) سورة الفتح الآية ٢٢ .
(٤) سورة الحشر الآية ١٢ .
(٥) سورة آل عمران الآية ١١١ .
(٦) سورة الأحزاب الآية ١٥ .

الإسلامية ، ويكفي أنها أخرجت الجبناء من مجتمع المسلمين ، فالجبن والإسلام على طرفي نقيض ، وهما ضدان لا يجتمعان . وإذا كانت الشجاعة من أهم عوامل النصر على الإطلاق فإن الشجاعة في العقيدة الإسلامية هي مزية من مزايا المسلم الحق الذي لا يكون مسلماً دونها) .

فالتخطيط في الحرب يجب أن يكون بحذر ودقة والتنفيذ بإقدام وشجاعة لأن وقت التنفيذ لا معادلات ولا حسابات بل اندفاع في المعركة دون هوادة للصول إلى النصر المحقق بإذن الله .

٥ ـ إحساس المقاتل بأنه جندي من جنود الله وأنه مؤمن بحقيقة النصر الموعود :

إن المجاهد في سبيل الله ، جندي من جنود الله ، يحارب أعداء الله في كل زمان ومكان وهذا أعظم حافز للاستبسال في القتال ، وإنه مؤمن بحقيقة النصر الموعود ، لأن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء .

قال تعالى : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[١] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[٢] ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾[٣] وفي هذا يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ (وتبلغ الحوافز المعنوية والدوافع النفسية كمالها في نفس المجاهد ، بشعوره وثقته في محبة الله لجنده الذين يقاتلون في سبيله ، ويقومون على مبادئه ، وثقته في وعده جل وعلا لهم بالنصر) ويتحقق ذلك بنصرة شريعته ، وتطبيق منهجه وقت السلم . فلا يعقل أن يخالف المقاتل ويرتكب المعاصي في وقت السلم ومن ثم يطبق شرع الله في ميدان القتال . فيجب أن يكون من البداية مع الله سواء في السلم أو في الحرب وجاء في كتاب (طريق النصر في معركة الثأر) اللواء الركن محمود شيت خطاب قوله : (الذي أعلمه علم اليقين ولا

---

(١) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٢) سورة محمد الآية ٧ .

(٣) سورة الحج الآية ٤٠ .

شك فيه أبداً هو أن الملوث جنسياً أو الملوث جيبياً لا يمكن أن يقاتل في الحرب كما يقاتل الرجال) .

وفي معارك المسلمين يظهر تطبيق هذا المبدأ ففي معركة بدر كان عدد المؤمنين وعدتهم أقل من المشركين ودعا إليهم النبي قائلاً : « اللهم إنهم ضعاف فقوهم ، اللهم إنهم قلة فكثرهم ، اللهم إنهم عالة فاحملهم ، اللهم إنهم كما ترى فانصرهم » .

وخطبهم قبل المعركة يذكرهم بحقيقة النصر وأسبابه فقال : « انظروا الذي أمركم به من كتابه . وأراكم من آياته ، وأعزكم به بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم . وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق ، وقوله صدق ، وعقابه شديد. وأمنت أنا وأنتم بالله الحي القيوم . إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا وإليه المصير » . وبذلك أنجز لهم الله وعده وأيدهم بنصره ونزلت سورة الأنفال فيها تأكيد لهذه الحقيقة : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلاَّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاَّ من عند الله . إن الله عزيز حكيم . إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾[1] .

وفي معركة مؤتة ظهرت نتائج هذه التربية في الجيش ، فقد بعث النبي جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل . فلما بلغوا مؤتة وفي رواية أخرى عندما وصلوا إلى معان وجدوا أن الروم قد أعدوا لهم إعداداً ضخماً وكان جيشهم حوالي مائتي ألف فأقاموا ليلتين ، وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر ، ليردهم أو يزيدهم رجالاً ، فشجعهم عبد الله بن رواحة أحد قواد الجيش ـ

---

(١) سورة الأنفال الآيات ٩ ـ ١٢ .

وقال : (والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . انطلقوا ؟ والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلاَّ فرسان ، ويوم أحد فرس واحد ، فإنما هي إحدى الحسنين : إما ظهور عليهم ، فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا ، وليس لوعده خلف ، وأما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم بالجنان) ولقد قاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل بها حتى ترجل عن فرسه ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

وقد أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضويه ولما استشهد أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم وهو يقول :

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلها هديت

وبعد ذلك اصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فأخذ الراية وانسحب بالجيش وجنبهم الفناء . هذه مشاهد خالدة لإيمانهم بالنصر الموعود من الله عزَّ وجلَّ عن صدق عقيدة وإيمان .

٦ ـ الرغبة في نيل الشهادة (شرف النصر أو الشهادة) كما نطلب الموت توهب لنا الحياة :

كان الاستشهاد هو الغاية القصوى للمسلمين قال تعالى : ﴿ **قل : هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنيين ؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ، فتربصوا إنا معكم متربصون** ﴾[1] .

فالخوف من الموت والحرص على الحياة يدفع المقاتل إلى الفرار من ميدان المعركة وقد أكد الله عز وجلَّ بأن الأجل محدود ومكتوب قال تعالى :

---

(١) سورة التوبة الآية ٥٢ .

﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون ﴾[1] ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلاَّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾[2] ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾[3] .

وقد أدرك جنود الإسلام حب الشهادة فخطب مالك بن سفيان في المسلمين يوم أحد فقال : « نحن والله بين إحدى الحسنيين . . إما أن يظفرنا الله بهم فلا يبقى منهم إلاَّ الشريد ، والأخرى أن يرزقنا الشهادة ، والله ما أبالي أيهما كان إن كلا لفيه الخير » . ولقد عاتب القرآن الكريم المنافقين بعد معركة أحد بقولهم لو أطاعنا الرسول في عدم الخروج من المدينة لما قتل منا من قتل ولما كانت هذه النتائج فأنزل قوله تعالى : ﴿ **وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية أيقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل : إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قتلنا ها هنا ، قل : لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور** ﴾[4] .

ومشهد آخر في غزوة أحد فقد روى ابن ماجة عن جابر بن عبد الله قال : « لما قتل أبي يوم أحد ، قال لي رسول الله : يا جابر ، ألا أخبرك ما قال الله عزَّ وجلَّ لأبيك ؟ قلت : بلى ! قال : ما كلم الله أحداً إلاَّ من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً ، فقال : يا عبدي تمن عليَّ أعطك . قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية . قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون . قال : يا رب فأبلغ من ورائي فانزل الله عزَّ وجلَّ الآية الكريمة : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من**

---

(١) سورة النحل الآية ٦١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٤ .

خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] .

ومشهد آخر عندما قتل حمزة بن عبد المطلب الذي كان أول شهيد من آل الرسول جاءت حمنة بنت جحش ، وكانت في الجيش تحمل الماء وتضمد الجراح فقال لها رسول الله : يا حمن احتسبي قالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة !

ثم قال لها : احتسبي .
قالت : من يا رسول الله .
قال : أخوك عبد الله .
قالت : إنا لله وإنَّا إليه راجعون غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ! .
ثم قال لها : احتسبي :
قالت : من يا رسول الله ؟
قال مصعب بن عمير .
قالت : واحزناه .
فقال : إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد ، ثم قال لها : لم قلت هذا ؟
فقالت : يا رسول الله ، ذكرت يتم بنيه فراعني .

وفي غزوة بدر الكبرى نجد مشاهد خالدة على حب الاستشهاد وطلب الشهادة فقد سمع عمير بن الحمام رسول الله يحض جنوده قائلاً : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم ـ رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلَّا أدخله الله الجنة » فيقول عمير وفي يده ثمرات يأكلها « بخ بخ أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلَّا أن يقتلني هؤلاء ؟ » ثم قذف الثمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم وقتل وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٦٩ ، ١٧٠ .

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاذ
غير التقى والبر والرشاد

وكانت الشهادة بالنية للمجاهد في الإسلام أمنية يتطلع إليها ويطلبها فعندما شعر أنس بن مالك بأن الرمح يخترق ظهره قال : « فزت ورب الكعبة » وكان الشهيد يردد وهو يحتضر قول الله تعالى : « وعجلت إليك رب لترضى » وكان جاره في الصف يقول له هنيئاً لك الشهادة » .

ومنافسة الإخوة على الخروج للقتال لا إلى البقاء في المدينة فيقول للآخر الذي يدعوه للبقاء « أتريد أن تخرج لكي تظفر بالشهادة دوني ؟! » .

وقول عبادة بن الصامت حول هذا المفهوم « ما منا رجل إلاَّ وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده » ويقول : « إن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورضاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء في الآخرة » وفي خطاب المغيرة بن شعبة أعداءه فيقول لهم : « يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار » أما مزايا ودرجات الشهيد فقد تحدث عنها رسول الله ﷺ فقال : « إن للشهيد عند الله خصالاً ، يغفر له من أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده في الجنة ويحلى حلية الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه » وقال أيضاً : « أفضل الشهداء الذين إذا لاقوا في الصف لا يلتفتون حتى يقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ويضحك إليهم ربك ، وإذا ضحك ربك إلى عبد من الدنيا فلا حساب عليه » .

ويصفهم المقوقس في خطاب له إلى ملك الروم : « والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم يعدل مائة رجل منا ، ذلك لأنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستبسل ، ويتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ،

ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوا منا ويقولون إنهم إن قتلوا أدخلوا الجنة ، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم » وتكفي شهادة عدوهم بهم وإذا شهد العدو بخصمه كانت الشهادة صادقة ودقيقة (رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة) .

هكذا رغبوا في نيل الشهادة إنهم لا يهابون الموت وفي هذا يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العسكرية الإسلامية (ومن الإنصاف للتاريخ والعرب أن نذكر أنهم كانوا شجعاناً لا يهابون الموت ، بل كانوا يعتبرونه في ساحة المعركة شرفاً يتباهون به ، ويعدونه في غيرها عاراً يأنفون منه ، ومن ذلك قول شاعر منهم :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيل

فلما جاء الإسلام وجه هذه النزعة في نفوسهم إلى غاية عظمى رفعت أقدارهم وهي أعلاء كلمة الله ، وإعزاز راية دينه ، وما يدخل في مفهوم كلمة « سبيل الله » من قيم فاضلة ، وقضايا عادلة ، وأهداف نبيلة) .

ولكن يبقى السؤال الذي يتساءله الجميع هل كل من مات في ساحة القتال في أي زمان ومكان في العالم هو شهيد ؟ والجواب واضح كل من مات لإعلاء كلمة الله فهو في سبيل الله في أي زمان ومكان ويتساءل محمد فرج في كتابه المدرسة العسكرية الإسلامية قائلاً : (أما هؤلاء الذين سقطوا في حروب ما بعد الإسلام والذين ما زالوا يتساقطون في حروب اليوم . فهؤلاء خرجوا مستعمرين لغيرهم يبغون تدمير العالم وتعطيل تقدمه ، أمرهم شيطان الرغبة فأخرجهم من ثياب البشر إلى طيش الرذيلة والفجور وإلى جحيم الاستعباد والاستغلال والسيطرة والعدوان ، فرحين بقوة في أيديهم وكثرة في عددهم ، يشنون حملات عدوانية مسعورة ترمي إلى إشاعة اليأس في النفوس ، وتعرقل مسيرة الإنسان وتجعل الكلمة العليا للشيطان ، وتؤكد الانحلال في المجتمعات البشرية ، وتبيح الخنوع والجهل والفقر ، وتزلزل القيم والمبادىء

التي نادت بها الأديان وفي مقدمتها ديننا الإسلامي الحنيف ، وتنشر السلبية وتعلي كلمة الباطل .

هل يجوز أن نطلق على هؤلاء الجنود الفرنسيين الذين سقطوا في ميادين القتال في مصر وأوروبا وأفريقيا وآسيا شهداء وقد شنوا الحروب تحقيقاً لآمال زعمائهم أو قادتهم كنابليون وغيره ؟

هل يجوز أن نسمي هذه الآلاف من الجند الألمان الذين راحوا ضحية غرور زعمائهم المتعطشين إلى الدم وقياداتهم المنحرفة التي سعت خلال حربين عالميتين إلى سيطرة الجنس الألماني على العالم كله شهداء ؟!

هل يمكن أن يحمل لقب الشهيد هذا الجندي الإنجليزي الذي سقط قتيلاً في الحروب المتعددة التي شنتها إنجلترا من أجل بسط نفوذها وسيطرتها على أجزاء متعددة من العالم خلال حقبة طويلة من التاريخ ؟

هل يمكن أن يكون شهيداً هذا الجندي الأمريكي الذي يعتدي على طالبي الحرية في مختلف بقاع الأرض فيصاب من أهلها ويقتل على أيديهم ؟ هل يمكن أن نصف هؤلاء وهؤلاء بأنهم شهداء . . . أبداً هذا قطعاً لا يحق ولا يجوز ولا يقبله منطق أو عقل لأن هؤلاء جميعاً خرجوا معتدين لم تكن لهم رسالة مشروعة أو هدف كريم أو رغبة خيِّرة) . بهذا عاش أجدادنا سعداء وماتوا شهداء إلى جنان الخلد والحياة الكريمة .

٧ ـ التعاون بين المقاتلين وعدم الاختلاف فيما بينهم :

من أهم العوامل لتحقيق النصر وحدة الكلمة والهدف لمواجهة العدو المشترك وعدم النزاع فيما بينهم قوله تعالى : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ وبهذا يتجرد المقاتل من المصلحة الشخصية ويسعى إلى المصلحة العامة التي لا تقبل المحاباة ولا المساومة وهدفها الأكبر إحدى الحسنيين : ﴿ **قل : هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنيين ؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم اللهبعذاب**

من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾[1] . لأن في الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف (وما أعظم أن يكون العمل جماعياً أمام العدو المشترك كأنهم رجل واحد لا يتفرقون ولا تتنازعهم إقليمية وهدفهم الأساسي الجهاد في سبيل الله والعمل ليلاً ونهاراً في سبيل مرضاته ونصره بالدفاع عن الوطن والمقدسات . ولا يمكن لأي تشكيل ووحدة عسكرية أن تنجح في القتال إذا لم تسد روح المحبة والمودة بين جميع مرتباتها وتكون كالجسد الواحد)[2] .

وفي مواجهة العدو في قتاله يجب أن يقف المقاتل إلى جانب أخيه يذود عن الديار دون أي ثغرات موجودة قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ويقول النبي ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . ولم يسجل تاريخ الإسلام اختلافاً في الهدف عند المقاتلين على مختلف المستويات ، فقد كان التفاهم ووحدة الكلمة والهدف المشترك فعندما قدم خالد بن الوليد إلى اليرموك وجد الأمراء يخططون كل واحد باتجاه معين ويرسل غارات مقابل قواته لدولة الروم فجمع أصحابه وقال لهم : « هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعز الله به الدين ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه ؟ قالوا نعم فقال : إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم محبته » قال الأمراء من الرأي ؟ فقال : « إن أبا بكر لم يبعثنا إلاَّ وهو يرى أنا سنتياسر ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من إمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه إن دانوا له ، إن تأمير

---

(١) سورة التوبة الآية ٥٢ .

(٢) العسكرية الإسلامية الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد ، جمال يوسف الخلفات .

بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ هلموا فإن هؤلاء قد تهيئوا وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وإن هزمنا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاون الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غداً ، حتى يتأمر كلكم ودعوني إليكم اليوم » وقد اتفق الجميع ووافق على رأي خالد وجعلوا له القيادة أولاً ضد عدوهم المشترك الروم . وتعرض خالد بن الوليد وهو في أوج انتصاراته على الروم في الشام إلى مثل هذا الموقف حين عزله عمر وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح فقد سلم القيادة ثم قال لحامل البريد الذي جاءه بأمر العزل « بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلني عن القيادة ولكنه لا يملك أن يجردني من سيفي ، فسأظل حاملاً هذا السيف في خدمة أمتي » وظل خالد يقاتل في المعركة كأي جندي يطيع الأوامر العسكرية وينفذها . كل هذا نتيجة الإيمان العميق وعدم مخالفة قائده لأمره العسكري وتنفيذه الأمر مهما كلف الثمن ولقد حددت المبادىء والأصول التي تحقق التعاون في كتاب المدخل إلى العسكرية الإسلامية للواء محمد جمال الدين محفوظ بما يلي :

أ ـ وحد الهدف ووحدة الصف .

ب ـ النظام .

ج ـ قوة العقيدة وهي كالأساس للبناء .

د ـ إنكار الذات في سبيل الهدف .

هـ ـ توافر قاعدة الاستمرار للصف والبناء من زاويتين ، فضرورة أن يستمر الصف قائماً فليس لأحد أن يتخلف عنه أو يعتذر عن البقاء فيه وعدم السماح بحدوث أي ثغرة فيه ، بل لا بد ـ لاستمرار ـ الصف من قوة تسدها وتسندها .

وكل هذه المبادىء من الآية الكريمة ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ وقول النبي ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وهذا مما يطلق على روح الصف تسميات معاصرة حالياً كالتعاون بين الأسلحة ، وتنسيق النيران ومعركة الأسلحة المشتركة The

. Airland Battle)

فالتعاون يؤدي إلى القوة والاتحاد وبهما تحصل الجيوش على النصر والوصول إليه بأعلى كفاءة وأقل التكاليف . فمن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله لأصحابه في ساحة الحرب « وأي امرىء منكم أحسّ من نفسه ـ رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل الله بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله . إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بسيف أهون من ميتة على الفراش » .

٨ ـ الحذر واليقظة :

الحذر من فتن العدو وميله على قواتنا وقد أوجب الله عزَّ وجلَّ الحذر واليقظة قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾[1] وقال : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا** ﴾ ﴿ **ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ . وقد أكد رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن الكلمة أمانة ويجب المحافظة على هذه الأمانة وكتمان الأسرار دون ثرثرة أو التكلم بفضول الكلام قال عليه الصلاة والسلام « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله » .

والجندي الحذر اليقظ يصعب على عدوه مهاجمته ومباغتته في زمان ومكان غير متوقعين والاستهانة بالعدو اعتماداً على الكثرة يؤدي إلى الكوارث في الحرب وجلب النكبات والويلات وبالتالي الهزيمة ويوم حنين شاهد على ذلك « وليس جندياً حقاً من ينام عن عدوه ، لأن المبدأ الحصيف في الحرب هو إدخال أسوأ الاحتمالات في الحساب ، فإذا كان احتمال هجوم العدو مثلاً واحداً بالمائة فيجب أن ندخل في حسابنا أن العدو سيهجم مائة بالمائة !

وتطبيقاً لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون الأولون في الحرب لا

---

(١) سورة النساء الآية ٧١.

ينامون ولا ينيمون وكان من زايا خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه كان لا ينام ولا ينيم وما أصدق المثل العربي القديم : « إذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له »[1] .

٩ ـ ومن تلك الصفات أن يكون الجندي مدرباً :

فالتدريب يحقق نتيجة أفضل بكفاءة عالية وبأقل خسائر في الجيش سواء في الأرواح أو المعدات (إن العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة) وقد طالب الإسلام بالتدريب الفردي واستخدام الجندي سلاحه بمهارة في جميع الظروف وكافة أنواع الأراضي فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» وقال أيضاً : «من تعلم الرمي ثم نسيه ليس منا» . وقد اشتمل التدريب في الإسلام على مواضيع إسلامية متعددة منها :

أ ـ التدريب على ركوب الخيل :

فقد قال رسول الله ﷺ : « عاتبوا الخيل فإنها تعتب » وقال : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » . والخيل كانت سلاحاً هجومياً يستخدم في معارك الإسلام .

ب ـ التدريب على استخدام السلاح والرماية :

فقد قال رسول الله ﷺ : « ألا إن القوة الرمي» وكررها ثلاثاً وقال أيضاً : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به والممد ، فارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » .

وقال أيضاً : « ارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا » .

ج ـ اللياقة البدنية :

وذلك لمواجهة الصعوبات في المعارك بكفاءة عالية وبجسم سليم

---

(١) بين العقيد والقيادة اللواء محمود شيت خطاب .

«فالعقل السليم في الجسم السليم) وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : «إن لبدنك عليك حقاً» . فقد حث الإسلام على ركوب الخيل والسباق عليها بين الفرسان وعلى الركوب على الإبل أيضاً وحث الإسلام على تعلم السباحة .

وقد قيل عن رسول الله ﷺ « بأنه كان يتمتع بلياقة بدنية قوية فكان يصرع الرجل القوي ويركب الفرس عارية فيروضها على السير ، وكان يداعب من يحب بالمسابقة في العَدو » .

ولا شك عندما يتمتع الجندي بلياقة بدنية عالية فإنه يحقق النجاح على عدوه بأعلى كفاءة وأقل وقت .

د ـ التنصيف الثقافي ومحو الأمية :

فالجندي الأمي لا يستطيع استيعاب تطور الأسلحة ومجاراة العصر حسب تحديث العلوم العسكرية والنظريات القتالية بالاستخدام التعبوي والفني للأسلحة ويستدل من خطب الرسول عليه الصلاة والسلام حول ذلك قوله : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم، وليعلمن قوم من جيرانهم يتفقهون ويتعظون أولاً عاجلتهم العقوبة ، ثم نزل رسول الله ﷺ . فقال قوم : من ترونه عني بهؤلاء ؟ قالوا : الأشعريين هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والإعراب . فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا : يا رسول الله ذكرت أقواماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ فأعاد عليهم ما ذكره في خطبته : « ليعلمن قوم جيرانهم . أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا » فقال يا رسول الله أنفطن غيرنا ؟ فأعاد عليهم ما قاله ثم أعاد وأعادوا فقال يا رسول الله أملهنا سنة فأمهلهم وقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾ .

وقد أمر عليه الصلاة والسلام كل أسير في بدر يستطيع القراءة والكتابة من المشركين أن يعلم عشرة من الصحابة الكتابة والقراءة ليكون هذا طريقاً

لإطلاق سراحه من الأسر .

هـ ـ الدورات الخارجية وتعلم اللغات الأجنبية ولغة العدو :

فقد أرسل عليه الصلاة والسلام بعثات عسكرية مكونة من اثنين من المسلمين إلى (جرش) من أرض اليمن سابقاً يتعلمان صنعه العرادات والمنجنيق[1] والدبابات وأيضاً كان يحث ويشجع على تعلم اللغات الأجنبية خصوصاً لغة العدو فقد تعلم زيد بن ثابت لغة اليهود وتعلمها في نصف شهر وأصبح يترجم كتبهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام . وبعد عودة المسلمين المدربين على المنجنيق والدبابات استخدمت في عمليات الحصار .

فكفاءة الجيوش في العالم تقاس بالنسبة لمدى كفاءتها بالتدريب والتنظيم مقرونة بروحها المعنوية وإنتمائها الأصيل ، وليس فقط بما لديها من أسلحة لأن حروب الإسلام أثبتت بأن جيشاً قليل العدد والعدة جيد التدريب والتنظيم والتسليح يستطيع إلحاق الهزيمة بجيش يمتاز بالعدد والعدة ولكنه يفتقر إلى التدريب الممتاز والتنظيم الحسن فالمثل يقول : (ليس الشرف في اقتناء السلاح إنما الشرف كل الشرف في اتقان استخدام هذا السلاح) « لا فائدة ترجى من سلاح قوي بيد ضعيفة وغير مدربة » .

وحسب المفهوم العسكري تقاس كفاءة الجيوش بخمس دعائم رئيسية هي المقاتل الكفء المدرب ، السلاح القوي ، الانضباط ، الروح المعنوية ، وروح الفريق . وكما يقولون : « ليس العبرة بالمدفع ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع » .

وبعد . . . فالذي أريد أن أنتهي إليه في نهاية الكتاب أن قائد القادة محمد ﷺ كان في صفاته ومزاياه رجلاً يعادل أمة ولذلك طرحت هذا الموضوع أمام قادة الأمة الإسلامية ليكون الرسول قدوتهم في الممارسة العملية للقيادة فأردت بذلك النصيحة بالتوجيه المقرون بالكلمة الطيبة فلتشهد على ذلك يا رب .

---

(١) اللواء محمد جمال الدين محفوظ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المراجع العربية

الكتاب ومكان الصدور	المؤلف
بين العقيدة والقيادة (بيروت ـ الطبعة الأولى)	اللواء الركن محمود شيت خطاب (بيروت ـ الطبعة الأولى)
العسكرية العربية الإسلامية	اللواء الركن محمود شيت خطاب (القاهرة ـ الطبعة الأولى)
الرسول القائد	اللواء الركن محمود شيت خطاب (بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٦٥)
قادة فتح الشام ومصر	اللواء الركن محمود شيت خطاب (مصر ـ الطبعة الأولى)
المدخل إلى العقيدة العسكرية الإسلامية	اللواء محمد جمال الدين محفوظ (الأردن ـ المنار الطبعة الثانية)
العقيدة القتالية في الإسلام	الرائد الركن أحمد عبد ربه بصبوص (المؤلف (الطبعة الأولى)
المدرسة العسكرية الإسلامية	محمد فرج (الزرقاء ـ الطبعة الأولى)
العسكرية الإسلامية وقادتها العظام	بهاء الدين محمد ـ جمال الخلفات
سيف الله خالد بن الوليد	الجنرال أ . أكرم (باكستاني)

(بيروت ـ الطبعة الرابعة)	
الدين والعلم	المشير أحمد باشا
(القاهرة ١٣٦٩ هـ)	(ترجمة حمزة طاهر)
حد السيف	اللواء شارل ديغول (تعريب
(بيروت ١٩٦٩)	أكرم ديري والهيثم الأيوبي)
الذكاء والقيم المعنوية في الحرب	(بيروت ١٩٦٨)
اللواء جان بيريه (تعريب	
الذكاء والقيم المعنوية في الحرب	اللواء جان بيريه (تعريب
(بيروت ١٩٦٨)	أكرم ديري والهيثم الأيوبي)
تولي القيادة	تحرير العقيد صامويل هيز
(فن القيادة العسكرية وعملها)	ترجمة سامي هاشم
التعبئة الجهادية في الإسلام	
(عمان ـ الطبعة الأولى)	المقدم أحمد المومني
عمر بن الخطاب	
(بيروت ـ الطبعة الأولى)	عبد غالب أحمد عيسى
عظماؤنا في التاريخ	
(بيروت ـ الطبعة الأولى)	الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله
السبيل إلى القيادة	مونتجمري (تعريب
(بيروت ١٩٦٩)	العميد الركن حسن مصطفى)
المسالك والممالك	
(طهران ١٩٦٣)	ابن خلدون
الأحكام السلطانية	
(القاهرة ١٣٥٦ هـ)	تحقيق محمد حامد الفقي
القيادة والجندية في الإسلام (القيادة)	
(المنصورة ـ الطبعة الثانية)	دكتور محمد السيد الوكيل
القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام	
(الإسكندرية ـ الطبعة الأولى)	الدكتور أحمد ماهر البقري

المراجع الأجنبية

1 — War Through the Ages : Lynn Montross.

2 — Causes of Wars : Geoffrey Blainey.

3 — Psychology For the Fighting Man : Maj. Qamar Hasnain.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
تقديم فضيلة الدكتور نوح علي سلمان مفتي القوات المسلحة الأردنية	٧
المقدمة للمؤلف	١١
● **الفصل الأول :** عموميات ومفاهيم القيادة	٢٥
● **الفصل الثاني :** مفاهيم القيادة في الإسلام	٤٣
● **الفصل الثالث :** المبادىء الحربية التي طبقها الرسول القائد وأصحابه	٦٧
● **الفصل الرابع :** توجيهات الإسلام في القيادة	١٣٣
● **الفصل الخامس :** مبادىء القيادة وصفاتها عند الرسول القائد	١٦٧
● **الفصل السادس :** نظرية الإسلام في إعداد القادة	١٩٣
● **الفصل السابع :** العلاقة بين القيادة والجندية في الإسلام	٢٢٧
● **الفصل الثامن :** صفات الجندي الحق	٢٥١

رقم الإجازة المتسلسل : ١٩٨٧/١٢/٤٩٣
رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
١٩٨٧/١٢/٥٨٤

من صفحة ٢٧١ إلى صفحة ٢٧٦
آخر الكتاب

عنوان المؤلف
الأردن ـ المفرق
هاتف : ٤٣٢٧٧٢ ـ ص . ب : ٩٥١

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com